



جمهورية السودان  
جامعة أم درمان الإسلامية  
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي



# الفهم الخاطئ

## للتصوص الشرعية في باب الاعتقاد

وأثره على سلوك الفرد والمجتمع

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

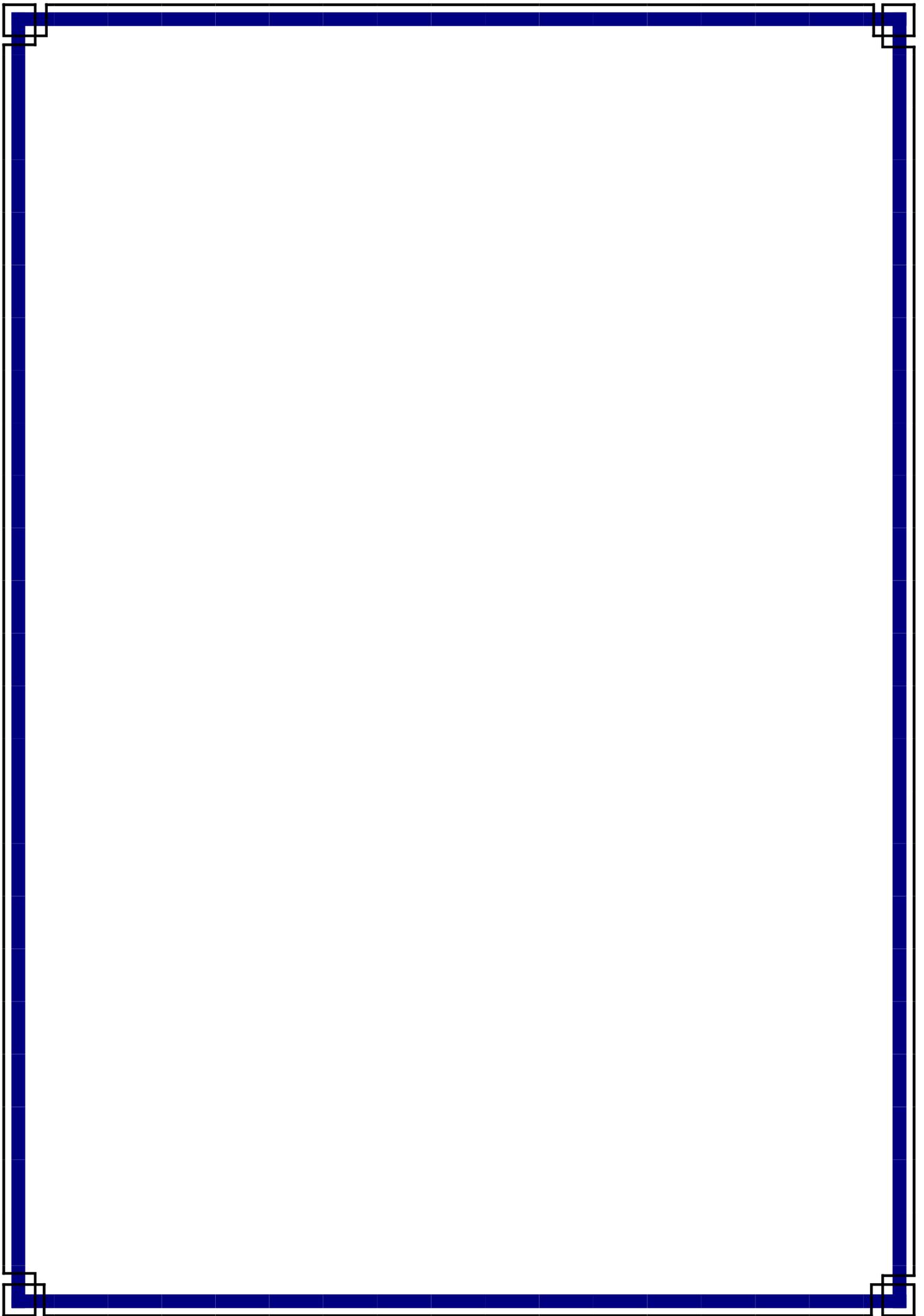
الطالب / خالد بن أحمد بن الشوافي الإمام

إشراف الدكتور

جمال الدين محمد علي تببدي

العام الجامعي

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ  
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ  
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ  
آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }

آل عمران ٧

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه ، قَالَ :  
أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَامَ فِينَا فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ مَنْ  
قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ،  
وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ : ثِنْتَانِ  
وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ »

رواه أبو داود في كتاب السنة ، باب : شرح السنة ، برقم (٤٥٩٧)

صححه الألباني في الصحيحة : ٢٠٤

«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ  
بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ  
فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

## الإهداء

إلى أُمِّي وأبِي رَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً وَجَمَعَنَا بِهِمْ فِي مَسْتَقَرِّ  
رَحْمَتِهِ مَعَ النَّبِيِّ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِدَاءِ ، إِلَى أَهْلِي  
وَعَتِيرَتِي وَزَوْجَتِي الَّتِي سَاعَدَتْنِي عَلَى التَّفَرُّغِ لِلْعَمَلِ  
الْبَحْثِيِّ وَتَلَفَّتْ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُهَامِ فِي ذَلِكَ ، إِلَى  
أَسَاتِذَتِي ، إِلَى زَمَلَائِي ، إِلَى التَّمَوُّعِ الَّتِي تَحْتَرِقُ لِلضَّمَى  
لِلْآخَرِينَ ، إِلَى كُلِّ مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا ، أَهْدِي هَذَا الْبَحْثَ  
الْمُتَوَاضِعَ رَاجِيًا مِنَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يَجِدَ الْقَبُولَ  
وَالنَّجَاحَ .



## شكر وتقدير

الحمد لله الذي لم يزل عليما قديرا و صلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله إلى الناس كافة بشيرا و نذيرا و على آل محمد و صحبه و سلم تسليما كثيرا.  
أما بعد...

فالشكر أولاً لله سبحانه وتعالى على تيسيره وإعانتته لإتمام هذا البحث وله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة أم درمان الإسلامية ، متمثلة في معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي لتعاونها وتقديم خدماتها لطلاب العلم الشرعي على مستوى العالم وإتاحتها الفرصة لي لمناقشة هذه الرسالة في كنفها وتحت مظلتها .

كما أتقدم بالشكر والدعاء لشيخني الفاضل فضيلة الدكتور: جمال الدين محمد علي تبيدي ، على ما تفضل به من إشرافه على هذا البحث وإبداء الملاحظات القيمة والتي كانت نبراسا لنا في إخراج هذا البحث بهذه الصورة .

كما أتقدم بالشكر لكل من وقف معي بجهد وعلمه وساعدني في إخراج هذا البحث .

أسأل الله أن يجزيهم جميعا خير الجزاء، وأن يرفع منازلهم في الدنيا والآخرة، وأن يضاعف لهم الأجر، ويجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



## مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة بوجه عام إلى إبراز الأسباب التي أدت إلى الانحراف عن المنهج الصحيح في فهم النصوص الشرعية ، وإظهار اهتمام الإسلام بالعقيدة الصحيحة والتحذير من الانحراف عنها والتعرف على بعض المناهج المنحرفة عن المنهج النبوي وأسباب انحرافها . كما حاولت الدراسة إيضاح المنهجية الدعوية التي يتبناها الإسلام لمعالجة الفهم الخاطئ للنصوص والعودة إلى فهم السلف الصالح والتحذير من اتباع الهوى في تفسير النصوص والاستدلال بها .

وقد بينت هذه الدراسة أيضاً أدوات الفهم الصحيح للنص الشرعي وبناء قاعدة فكرية سليمة عند المتلقي. وكذلك التحذير من أسباب انحراف الفرق الضالة عن المنهج الصحيح. وضلال وسوء فهم من يتعصب للآراء الشخصية .

وتوصل الباحث من خلال رسالته إلى العديد من النتائج منها ، أن للعلم مقاماً عظيماً في شريعتنا الغراء ، وأول ما ينبغي تعلمه التوحيد فيعرف الله تعالى، ويصحح عقيدته ، وأن مصادر العقيدة الإسلامية ثلاثة هي: القرآن الكريم ، السنة النبوية ، الإجماع ، وأن للفهم الخاطئ للنصوص الشرعية أسباب منها : الجهل ، وعدم الجمع بين الأدلة ، والتعصب والعلو والمكر للإسلام وأهله .

كما أن للفهم الصحيح للنصوص الشرعية ضوابط هي : اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال ، واعتبار المتغيرات الواقعية ، والتقوى والإخلاص، وضرورة الرجوع إلى فهم السلف الصالح لفهم النصوص الشرعية ، فالسلف علمهم أتم وأحكم ، وأعلم وأسلم ، وأن الالتزام بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة له ثمرات منها : النجاة والهداية، والعصمة من التفرق والاختلاف المذموم ، ومعرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله، وأنه يُورث الطمأنينة والأمن النفسي ، وأنه الضابط في معرفة السنة من البدعة.

وإن الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية سبب رئيسي من أسباب ظهور الفرق الضالة مثل الخوارج والشيعة وغلاة الصوفية ، وكذلك غلو البعض في التكفير والتبديع والتفسيق إنما كان بسبب عدم فهم النصوص على مراد الله ومراد رسوله ﷺ .

وعقيدة الولاية والبراء في الإسلام هي أن يعادي في الله ويوالي في الله ، وأهل السنة في عقيدة الولاية والبراء بين الغالي والجافي ، وأن العلمانيين وضعوا بعض النصوص الشرعية في غير موضعها ويحرفونها عن مراد الله ورسوله لإضلال العباد وإبعادهم عن دينهم .



## ABSTRACT

This study aims generally to highlight the reasons that led to deviation from the correct approach in understanding the religious texts, showing the interest of Islam in sound creed and warning of deviation from it in addition to recognize some misleading approaches that are deviated from the prophetic approach and reasons of their deviation.

The study tries to elaborate the methodology advocacy adopted by Islam to treat the misunderstanding of texts and go back to good ancestors and warning to follow personal explanation of religious texts.

This study also explains the tools of correct understanding of religious text and builds sound intellectual base and warns from following misleading sects and fanaticism. Through his thesis, the researcher has concluded several results that show that knowledge is ranked in high position in our religion. The first thing that should be learned in our religion is monotheism and recognizing the only true God (i.e. Allah), and that sources of Islamic Faith are three: Holy Quran, Sunnah (i.e. Prophet's sayings and deeds), and consensus . The reasons of misunderstanding religious texts include: ignorance, not linking between evidences, intolerance of opinion and betrayal to Islam and Muslims.

The sound understanding of religious texts has some controls including: following the approach of ancestors in consideration and reasoning, considering the real changes, piety and sincerity and necessity to revise the understanding of ancestor scholars to comprehend the religious texts. Ancestor scholars know the best about Islamic laws and rules. Complying with ancestor scholars' understanding to Holy Quran

and Sunnah has many fruits including: salvation and guidance, infallibility of dispersion and reprehensible difference in opinion, knowing the intent of Allah and His Messenger, having psychological security and showing difference between Sunnah and Be'ah (i.e. innovation new rituals not in Islamic religion).

The misunderstanding of religious texts is a main reason of emergence of misleading sects including, Kharijites, Shiite and Ultra Sufi, as well as the emergence of extremists who accuse Muslims with disbelief and debauchery which have resulted due to understanding texts in a way other than meant by Allah and His Messenger.

The creed of loyalty and enmity in Islam means that Muslim must like and support people who like Allah and His Messenger and antagonize Allah's and His Messenger's enemies. Secularists misplaced the religious texts and distorted them from Allah's and His Messenger's mean to mislead Muslims and take them away from Islam.

## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وبعد:

فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم ، فصلاح كل أمة ورفيها مربوط بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها ، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة ، فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقد تضاربت المفاهيم عن الإسلام وحدوده ، والإيمان ودرجاته ، وكثير من القضايا الاعتقادية التي تمس جوهر التوحيد ، كما انبنى على ذلك تضارب المفاهيم العملية التي تستمد شرعيتها من القواعد النظرية، فظهرت البدع القولية ، والعملية ، وباضت وفرخت وأخرجت لنا ما نراه اليوم من تفرق وتشتت واختلاف بين أبناء الأمة مما منع من اتحاد كلمتهم تحت لواء واحد وقيادة واحدة تعطى لها صفة اليد واللسان ، ويرفع الله بها الاختلاف المذموم .

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) النساء : ١

(٣) الأحزاب : ٧١

(٤) النحل: ٣٦

وقد قال ابن القيم<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى - : (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميين ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له ، هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد )<sup>(٢)</sup>

**أهمية دراسة علم العقيدة :**

تكمن أهمية دراسة علم العقيدة في وجهين :

**الوجه الأول :** أنها الجزء الذي يقوم عليه الدين وبالتالي فكل النصوص الآمرة بأخذ الدين وتعلمه تتناول مسائل العقيدة بالأولية .

**الوجه الثاني :** أنها أصل في أعمال الجوارح بمعنى أن صلاح العقيدة يورث صلاح العمل والعكس بالعكس ، وقد ضرب الله مثلاً لذلك بأهل الكتاب حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي

(١) الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وإمامها، البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١٤ / ٢٧٠) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرنؤوط، خراج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٨ / ٣٠٨) وذيل طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م (١٧١/٥) .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، (٢/٤٦٤) .

دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١﴾ ، فالله ﷻ جعل افتراءهم في الدين وفساد اعتقادهم سبباً لفساد أعمالهم وأصلاً لإعراضهم .

ولذا فالصحابا والتابعون أحق بالاتباع من غيرهم وذلك لصدقهم في إيمانهم وإخلاصهم في عبادتهم وهم حراس العقيدة وحماة الشريعة العاملون بما قولاً وعملاً ولذلك اختارهم الله تعالى لنشر دينه وتبليغ سنة نبيه ﷺ .

قال النبي ﷺ : « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » (٢) .

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين وحثهم على الجماعة والائتلاف والتعاون ونهاهم عن الفرقة والاختلاف والتناحر فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤)

وقال النبي ﷺ : (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد ، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة) (٥) .

وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ : ( الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك) (٦)

(١) آل عمران : (٢٣-٢٤) .

(٢) سنن الترمذي ، لحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١ ، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض (ج ٤ ، ٥) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة ، ح رقم (٢٦٤١) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٣٤٨) .

(٣) آل عمران ١٠٣

(٤) آل عمران ١٠٥

(٥) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب : ما جاء في لزوم الجماعة برقم ( ٢١٦٥ ) ( ٤/٤٦٥ ) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٦٥) (٥/١٦٥) عن ابن عمر عن أبيه ، وصحيح ابن ماجه (٢٣٦٣)

(٦) أورده اللالكائي بسنده عن ابن مسعود في كتاب السنّة، باب سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم. انظر: اللالكائي: «كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنّة»: ص ٩ (مخطوط) ، وانظر: «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة ، تحقيق: عثمان أحمد عنبر ، دار الهدى - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ و«إغاثة اللفهان من

فأهل السنة والجماعة هم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم وسلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل والذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع وهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال<sup>(١)</sup>.

### والشريعة تنقسم إلى قسمين : اعتقاديات وعمليات :

**فالاكتقاديات :** هي التي لا تتعلق بكيفية العمل مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة ، وتسمى أصلية .

**والعمليات :** هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية ، وتسمى فرعية : لأنها تُبنى على الاعتقاديات صحة وفساداً.

فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾<sup>(٣)</sup>

قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(٤)</sup>

وقد بقي النبي ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة عاماً يدعو الناس إلى التوحيد ، وإصلاح العقيدة لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين . وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين ، فكانوا يبدأون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة ، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين<sup>(٥)</sup>.

### بيان مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها :

مصادر الشيطان » ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد حامد الفقهي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (٧٠/١) .

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مراجعة وتقديم :

صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية

السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، (٣٦/١) .

(٢) الكهف (١١٠) .

(٣) الزمر (٦٥) .

(٤) الزمر (٣-٢) .

(٥) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك ، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (٥/١) .

العقيدة توقيفية فلا تثبت إلا بدليل من الشارع ، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد ، ومن ثم فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما يتره عنه من الله ﷻ ، ولا أحد - بعد الله - أعلم بالله من رسول الله ﷺ . ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقي العقيدة مقصوراً على الكتاب والسنة .

فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به واعتقدوه وعملوا به . وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نفوه عن الله تعالى ورفضوه ، ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد بل كانت عقيدتهم واحدة وكانت جماعتهم واحدة لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة والصواب في المعتقد واتحاد المنهج ، قال تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(٢)</sup> وقد قال ابن عباس<sup>(٣)</sup> عنده عند ذكر هذه الآية : فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة<sup>(٤)</sup> . وذلك يستلزم عصمته من الفتن .

ولذلك سمو بالفرقة الناجية لأن النبي ﷺ شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ولما سئل عن هذه الواحدة : قال «ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(٥)</sup> .

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ فلما أخذ الناس عقيدتهم من غير الكتاب والسنة حصل الانحراف والتفرق في الاعتقاد مما نتج عنه اختلاف الكلمة وتفرق الجماعة وتصعد بناء المجتمع الإسلامي<sup>(٦)</sup> .

## أهمية الموضوع وسبب اختياره

(١) آل عمران (١٠٣) .

(٢) طه (١٢٣) .

(٣) حبر الأمة، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس المدني،

صحابي وابن عم النبي ﷺ وترجمان القرآن، تاريخ دمشق ، لابن عساكر (٢٨٥/٢٩) .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق : سامي

بن محمد سلامة ، نشر : دار طيبة للنشر والتوزيع : الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، (٣٢٢/٥)

(٥) سنن الترمذي، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في افتراق هذه الأمة ، برقم (٢٦٤١) ، وحسنه الألباني.

(٦) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها ، لصالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان (٩/١) .

إن من أعظم نعم الله تعالى على العبد بعد نعمة الإسلام أن يوفقه للفقهِ في الدين، والفهم الصحيح لمدلولات النص الشرعي ومعرفة مراد الله ومراد رسوله منه ، فإنك ما تجد أحداً انحرف عن المنهج الصحيح القويم الذي شرعه الله لعباده إلا بسبب سوء فهمه عن الله أو عن رسوله ، «وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جنائفة، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل وصفين ومقتل الحسين والحرة ؛ وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافتترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد؟» <sup>(١)</sup>، وما تعصب المتعصب لمذهب معين أو لشيخ معين إلا عن سوء فهمه وقصر علمه .

وإن مما ميز الله تعالى به الإنسان عن كثير من مخلوقاته العلم المكتسب، وهو الذي يتوصل إليه الإنسان بالنظر والاستدلال سواء كان هذا العلم تجريبياً أم فكرياً أم إخبارياً، والقاسم المشترك بين كل هذه العلوم - والذي يسير عليه العقلاء و يضعونه منهجاً في اكتساب علومهم - هو أن أي معلومة أو فكرة أو نظرية، لا يمكن أن تقبل، ولا أن تودع في حيز الفكر إلا بالدليل، ولذا لم يُسمع ولم يُقرأ عن أحد ادعى فكراً، أو ارتأى رأياً، إلا وبرهن عليه بدليل، وإذا ما اتفق أن وجد أناس يقبلون الفكر والمعلومة بغير دليل، بل بمجرد الطرح، فيظن أن هذا شذوذ فكري وانسلاخ من الطبيعة البشرية الآدمية.

ولكن هل يكفي أن يقوم شخص ما بطرح فكرة أو ادعاء رأي، ثم يبرهن عليه ويدلل بما يحلو له؟ أليس من الممكن أن يكون صاحب الدليل متلاعباً في الدليل ماهراً في تحريف الكلم عن مواضعه؟ إنه من البديهي أن أقول: أن التحقق من صحة الدليل أمر مهم، وأن معرفة انسجام الدليل مع الفكرة والنظرية مطلب خطير، وليس إلا الساذج البسيط الذي يقبل بأي

(١) انظر : الرد على القائلين بوحدة الوجود، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (٤٦/١) .

دليل، ويسمح له بعبور حدود عقله، فيعبث له بعلومه ومعارفه، كما هو حال قوم فرعون الذين ضربهم الله مثلاً للسذاجة والسخافة، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، لقد ادعى فرعون الألوهية والربوبية على قومه، وبرهن على صحة دعواه بدليلين وهما: له ملك مصر، والأثمار تجري من تحته، ثم برهن على بطلان دعوة موسى بأربعة أدلة: وهي أن موسى ضعيف، وليس فصيحاً، وليس لديه ذهب، وليس معه جند، ولكن هل هذه الأدلة صحيحة في الدلالة على الدعوى؟ إنها أوهى من بيت العنكبوت، ولكن قوم فرعون صدقوها لحقمهم وسذاجتهم وما أجمله من تعبير ووصف، ساقه ربنا في نهاية الآيات فقال: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذا لا بد من صحة الدليل لقبول الدعوى، والدليل الصحيح في دائرة الأحكام الشرعية ما كان من الوحي، سواء من القرآن أم السنة الصحيحة، فهل استدل مسلم في دعوى ادعاها، أو فكرة تبناها، بالتوراة أو الإنجيل؟! قط، بل كل صاحب دعوى يسرد من القرآن والسنة الصحيحة أدلة كثيرة يبرهن فيها على دعواه، فهل يقبل منه ما ادعاه و يسلم له فيما أراد، لو ذكر آية أو حديثاً صحيحاً يدل فيه على مذهبه؟ لو قلت: نعم لمنحت الشرعية والصحة لكل الفرق والملل المنتسبة للأمة، ولكن الأمر ليس كذلك، فماذا بعد إذن؟ إنه الأمر الأهم، والمرحلة الخطيرة، فهم الدليل . أجل فهم الدليل، هل الدليل يعطي ويستخرج منه المعنى الذي يريده صاحبه، ويؤكد الفكرة التي يدعيها؟ هل الفهم الذي فهمه به تسعفه اللغة وتصححه أدواتها؟ أم أنه تحريف للكلم ولي لعنق النص وتناول على اللغة وقواعدها؟ وبعبارة مختصرة موجزة، هل وجه الاستدلال صحيح؟ .

(١) الزخرف: (٥١ - ٥٣) .

(٢) الزخرف: (٥٤) .

ويرى الباحث أن هذا المفرق وهذا المنعطف، هو الذي تشعبت عنه الأمة إلى ملل ونحل، وأجزم أن الذي سلك شُعبَ الفهم القائم على قواعد لغة القرآن، وذوق الراسخين في العلم، اهتدى وهدى، ومن حاد عنه إلى غيره من الشعب، ضل وأضل، ولعل تلك المناظرة التي عقدها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج، أكبر دليل على ما أقول<sup>(١)</sup>، لذا فقد أراد الباحث أن يتناول هذا الموضوع لأن سبب اختلاف المتقدمين والمتأخرين إنما نبع من الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية، وأسأل الله أن يوفقنا بمنه وكرمه وأن يتقبل عملنا هذا ويجعله خالصاً لوجهه وأن يجعله زخراً عنده إنه سميع مجيب الدعاء . وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .



(١) سيأتي الكلام عنه عند الكلام عن الخوارج تحت ذكر مناظرة ابن عباس للخوارج والدروس المستفادة .

## أهداف البحث

- ١- تهدف الدراسة بوجه عام إلى إبراز الأسباب التي أدت إلى الإنحراف عن المنهج الصحيح في فهم النصوص الشرعية .
- ٢- إظهار اهتمام الإسلام بالعقيدة الصحيحة والتحذير من الإنحراف عنها والتعرف على بعض المناهج المنحرفة عن المنهج النبوي وأسباب انحرافها .
- ٣- إيضاح المنهجية العلمية التي يتبناها الإسلام لمعالجة الفهم الخاطئ للنصوص والإنحراف عن الجادة سواء في الصدر الأول في عهد النبي ﷺ أو من جاء بعدهم .
- ٤- بيان آثار فهم النص الشرعي فهماً خاطئاً والعودة إلى فهم السلف الصالح والبعث عن اتباع الهوى في تفسير النصوص والاستدلال بها .
- ٦- بيان ضلال وسوء فهم من يتعصب للأراء الشخصية دون الرجوع إلى الدليل الصحيح الصريح في مسألة ما .
- ٧- التبصير بأدوات الفهم الصحيح للنص الشرعي وبناء قاعدة فكرية سليمة عند المتلقي.
- ٩- معرفة أسباب انحراف الفرق الضالة عن المنهج الصحيح ووسائل ذلك .
- ١٠- محاولة الخروج ببعض التوصيات ، بناءً على ما تسفر عنه الدراسة من نتائج ، للإسهام في تبصير المسلمين بالمنهج الصحيح في فهم النصوص الشرعية والاستدلال بها في موضعها الصحيح ، ونشر ذلك لعموم الناس .
- ١١- التصدي لأهل البدع والأهواء وبيان أن ذلك من سنن الهدى ومن مطالب الدين وغاياته ومن أبواب الجهاد وأعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن غايات الدعوة ومقاصدها .



## فروض البحث

- ١- ما هو الفهم .
- ٢- ما هو الفهم الصحيح في العقيدة .
- ٣- ماهي ضوابط الفهم الصحيح للنصوص الشرعية .
- ٤- ما هو الفهم الخاطئ وحدوده .
- ٥- ما هي أسباب الفهم الخاطئ .
- ٦- ما هي الأمثلة التطبيقية للفهم الخاطئ .
- ٧- ما هي آثار الفهم الخاطئ في باب العقيدة .



## الدراسات السابقة

رسائل وكتب العقيدة كثيرة جداً ، فما كتبه الباحثون والعلماء والتربويون والدعاة الذين يعملون في حقل الدعوة إلى العقيدة الصحيحة أكثر من أن نحصيها ، وبعد البحث والإطلاع على ما كُتب في مجال دراسة الباحث هذه ، واستشارة كثير من أهل الاختصاص فلم يجد الباحث - حسب علمه - قبل التقدم بمشروع هذه الخطة بحثاً منفرداً للكتابة في (الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية (باب الاعتقاد) وأثره على سلوك الفرد والمجتمع) على وجهٍ خاص، وإنما وقف الباحث على، بعض المقالات تمت الإشارة إليها في موضعها من الرسالة ، وكذلك أبحاث كثيرة جداً ومقالات متعددة تناولت الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وبيان عقيدة بعض الفرق التي انحرفت عن الجادة والإشارة إلى أسباب هذه الانحرافات من تأويل فاسد أو فهم خاطئ عن قصد أو عن غير قصد ، فكل باحث تناول تلك الانحرافات من زاوية معينة حسب حدود بحثه .

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه من خدمة دين الله ونفع عباد الله في كل مكان .



وقد قام عملي في البحث على المنهج التالي:-

١- جمعت مادة البحث من مصادرها الأصلية، واجتهدت في توثيق نسبة كل قول لقائله، وكل مذهب للقائلين به.

٢- اجتهدت في تجلية مذهب أهل السنة في المسائل موضع الخلاف بأوضح بيان، وأجلى برهان؛ لأن آراءهم هي الحاسمة عند الخلاف.

٣- حرصت عند عرض نظرية أو مفهوم عند أحد القائلين به ألا أتدخل في كلامه وعرضه إلا بالقدر الذي يسمح بعرض فكره ورؤيته الخاصة به.

٤- عزوت الآيات.

٥- خرجت الأحاديث من مظاهها، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخرجه منهما، وما كان في غيرهما اجتهدت في تتبعه من مظانه الممكنة مع بيان الحكم على إسناده بما يناسبه من صحة أو حسن أو ضعف، ما استطعت.

٦- ترجمت للأعلام المذكورين في صلب البحث ترجمة موجزة تكفي للتعريف بهم.

٧- عرفت أكثر الفرق الوارد ذكرها في البحث، وخاصة من لهم صلة مباشرة بالبحث.

٨- قمت بعمل فهرس علمية، وهي:

أ- فهرس الآيات القرآنية. ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم. د- فهرس الغرائب.

هـ- فهرس المصادر والمراجع. و- فهرس الموضوعات.

وبعد: فهذا البحث ليس بحثاً تاريخياً، وإن كان التاريخ لحمته وسداه، وليس بحثاً نقدياً، وإن كان النقد ماثلاً في ثناياه، ثم إنه ليس بحثاً فلسفياً، وإن كانت له فلسفته ورؤاه، وإنما

هو قراءة للأفكار، ورصد للأحداث، وتتبع لمسار فكر يربط بين الماضي والحاضر، وتأصيل لنظرية قد تسهم في فهم الماضي وقراءة الواقع واستشراف المستقبل.

وبعد أيضاً: فهذا موضوع متشعب الجوانب، متعدد الآراء، وجهدي جهد متواضع، فلا أدعي أنني قد وفيت الموضوع حقه، واستكملته من جميع جوانبه، ولكن حسبي أنني لم أدخر في سبيل ذلك وسعا، فإن كنت قد أدركت بعض ما أملت وأصبته، فهو محض فضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني، وأستغفر الله من سوء عملي، فالكمال لله وحده، والعصمة لرسله عليهم السلام، وإلا فحسبي أنني قد حاولت الخير جهدي، وأسأل الله تعالى لي ولكل مجتهد التوفيق والأجر، وأستغفر الله تعالى من السهو والخطأ والتقصير.

وإنه لقمن بكل واقف على هذا البحث أن يسدد ما به من خلل، وأن يستر ما به من زلل، فلقد علمت الأوائل والأواخر أنه ليس من النقص أمان، خصوصاً إذا صدر الكاتب عن وفاض ليس فيه من العلم إلا القليل، وكتب بقلم كليل.

اللهم لا تعذب يدا كتبت تريد نفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين عن دينك، ولا لسانا أراد الذب والدفاع عن شريعتك، ولا تحرميني اللهم بفضلك خير ما عندك بشر ما عندي.



وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تقسيمه إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.  
**أولاً: المقدمة:** تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث والدراسات السابقة .

**ثانياً: فصول البحث وتشتمل على ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول:** عوامل انضباط المنهج . ويشتمل على ثلاثة مباحث .

– المبحث الأول: العلم وشرفه .

– المبحث الثاني: مصادر العقيدة الإسلامية .

– المبحث الثالث: فهم النص الشرعي وضوابطه ويشتمل على خمسة مطالب.

\* المطلب الأول: معنى الفهم والعلاقة بينه وبين العلم والفقه والتفسير .

\* المطلب الثاني: أسباب الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية .

\* المطلب الثالث: ضوابط الفهم الصحيح للنصوص الشرعية.

\* المطلب الرابع: أهمية فهم السلف الصالح للنصوص .

\* المطلب الخامس: ثمرات الالتزام بفهم السلف الصالح .

**الفصل الثاني:** ظهور الفرق الضالة وبعض النماذج لها ، ويشتمل على ثلاثة مباحث

– المبحث الأول: ظهور الخوارج ، وفيه ثلاثة مطالب .

\* المطلب الأول: تعريف الخوارج ونشأتهم .

\* المطلب الثاني: بعض أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم .

\* المطلب الثالث: مناظرة ابن عباس للخوارج والدروس المستفادة منها .

– المبحث الثاني: ظهور الشيعة ، وفيه خمسة مطالب .

\* المطلب الأول: تعريف الشيعة وبداية ظهورهم .

\* المطلب الثاني: مصادر التلقي عند الشيعة .

\* المطلب الثالث: موقف الشيعة من الصحابة .

\* المطلب الرابع: بعض عقائد الشيعة .

\* المطلب الخامس: نماذج من الفهم الخاطئ عند الشيعة وتأويلاتهم الباطلة .

– المبحث الثالث: ظهور الصوفية . وفيه أربعة مطالب :

\* المطلب الأول: تعريف الصوفية لغة واصطلاحاً ونشأة التصوف .

- \* المطلب الثاني : موقف بعض الأئمة من التصوف .
- \* المطلب الثالث : بعض الانحرافات العقدية عند الصوفية ونماذج من تأويلاتهم الباطلة.
- \* المطلب الرابع : التشابه بين الصوفية والشيعة في الأفكار والمعتقدات .
- الفصل الثالث:** بعض مظاهر الانحراف الفكري عن المنهج النبوي . ويشمل ثلاثة مباحث.
- **المبحث الأول :** التبديع والتكفير . وفيه ثلاثة مطالب :
- \* المطلب الأول : تعريف البدعة وضوابطها .
- \* المطلب الثاني : ظاهرة التكفير والتبديع والتفسيق والغلو فيها .
- \* المطلب الثالث : التكفير والفهم الخاطئ لبعض النصوص
- **المبحث الثاني :** الخلط في مفهوم الولاء والبراء . وفيه ثلاثة مطالب :
- \* المطلب الأول : تعريف الولاء والبراء .
- \* المطلب الثاني : أدلة وجوب عقيدة الولاء والبراء ومكانتها في الشريعة .
- \* المطلب الثالث : أسباب الانحراف في فهم عقيدة الولاء والبراء .
- **المبحث الثالث :** الدعوة لفصل الدين عن الحياة ( العلمانية )، وفيه أربعة مطالب.
- \* المطلب الأول : تعريف العلمانية وحقيقة تسميتها بهذا الاسم .
- \* المطلب الثاني : أسباب قيام العلمانية .
- \* المطلب الثالث : أسباب رفض العلمانية
- \* المطلب الرابع : العلمانية والفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية .
- الخاتمة :** وتشتمل على ذكر النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.
- الفهارس العامة وتشمل :**
- ١- فهرس الآيات القرآنية .
  - ٢- فهرس الأحاديث والآثار .
  - ٣- فهرس غريب الألفاظ .
  - ٤- فهرس المصادر والمراجع .
  - ٥- فهرس الموضوعات .
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



# الفصل الأول

## عوامل انضباط المنهج

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العلم وشرفه .

المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلامية .

المبحث الثالث : الفهم الصحيح للنصوص الشرعية وضوابطه .

# المبحث الأول

## العلم وشرفه

## المبحث الأول

### العلم وشرفه

العلم : هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع<sup>(١)</sup>، وقيل هو إدراك الشيء على ما هو به ويقال صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات ، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه ، وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة<sup>(٢)</sup>

إن للعلم مقام عظيم في شريعتنا الغراء ، فأهل العلم هم ورثة الأنبياء ، وفضل العالم على العابد كما بين السماء والأرض .

فعن قيس بن كثير<sup>(٣)</sup> قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشقٍ فقال: ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ

قال : أما جئت لحاجة ؟! قال : لا .

قال : أما قدمت لتجارة ؟! قال : لا .

قال : ما جئت إلا في طلب هذا الحديث .

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، الناشر: دار الهداية ، (١٢٧/٣٣) .

(٢) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، باب العين ، (١٥٥/١) والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لذكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي ، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، (٦٦/١) ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ .

(٣) كثير بن قيس الشامى ، ويقال قيس بن كثير ( و الأول أكثر ) ، روى عن أبي الدرداء ، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ، تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م «

قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من سلك طريقا بيتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" (١)

والعلماء هم أمناء الله على خلقه ، وهذا شرف للعلماء عظيم ، ومحل لهم في الدين خطير؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والرجوع والتعويل في أمر الدين عليهم ، فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل ، فقال تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وهم أطباء الناس على الحقيقة ، إذ مرض القلوب أكثر من الأبدان ، فالجهل داء، والعلم شفاء هذه الأدواء ، وكما قال رسول الله ﷺ : (فإنما شفاء العي السؤال ) (٣) .

## وإليك بعض فضائل العلم :

### ١- العلم يزكي النفوس :

قال ابن القيم -رحمه الله- : " العلم هادٍ وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووارثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام . مذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه قرينة

(١) سنن الترمذي، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، برقم (٢٦٨٢) ، (٤٨/٥)، صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٢) ، سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، كتاب العلم ، باب : الحث على طلب العلم ، برقم (3641).

(٢) سورة النحل : (٤٣) .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم برقم (٣٣٦) ، (٩٣/١) .

، وبذله صدقة ، ومدارسته تُعدل بالصيام والقيام ، والحاجة إليه أعظم من الشراب والطعام " .<sup>(١)</sup>

سئل سفيان بن عيينة<sup>(٢)</sup> عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾<sup>(٣)</sup> فأمر بالعمل بعد العلم .  
وقد بَوَّبَ الإمام البخاري<sup>(٤)</sup> باباً فقال: " باب العلم قبل القول والعمل " لقوله تعالى :  
﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾ .

فالعلم مقدم على القول والعمل ، فلا عمل دون علم . وأول ما ينبغي تعلمه التوحيد فيعرف الله تعالى، ويصحح عقيدته، ويعرف أحكام دينه، ويعرف نفسه، وكيف يهذبها ويربيها؟

## ٢ - العلم إرث الأنبياء :

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ؛ وإنما ورثوا العلم فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، فأهل العلم في كل زمان ومكان هم ورثة الأنبياء وهذا من أكبر الفضائل .

## ٣ - العلم يورث الخشية من الله تعالى :

(١) مدارج السالكين ، (٢/٤٣٩) بتصرف .

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكّي ، سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (٨/٤٥٤) .

(٣) سورة محمد : (١٩) .

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي البخاري الإمام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ ، تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، (٢/٢٣٣) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قال الفضيل بن عياض: «إنما الفقيه الذي أنطقته الخشية وأسكتته الخشية، إن قال قال بالكتاب والسنة، وإن سكت سكت بالكتاب والسنة، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلى عالمه» <sup>(٣)</sup>

#### ٤ - رفعة أهل العلم في الدنيا والآخرة :

إن الله يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة ، ففي الآخرة يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ والعمل بما علموا ، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به ، كما قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ <sup>(٤)</sup>

#### ٥- الأمر بالاستزادة من العلم :

أمر الله نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم وكفى بها منقبة عظيمة للعلم ، فقال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ <sup>(٥)</sup> . قال القرطبي <sup>(٦)</sup> : فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه ، كما أمر أن يستزيده من العلم.

#### ٦ - العلم أفضل الجهاد :

(١) سورة فاطر : (٢٨) .

(٢) سورة الإسراء : (١٠٧-١٠٩) .

(٣) إبطال الحيل، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ-) ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ ، (٣١/١) .

(٤) سورة المجادلة : (١١) .

(٥) سورة طه : (١١٤) .

(٦) إبراهيم بن الحسين بن خالد، الفقيه أبو إسحاق الأندلسي القرطبي المالكي . رحل وحجَّ ولقي مُطَرِّف بن عبد الله، وعليَّ بن مَعْبَد، وعبد الله بن هشام، وغيرهم، وصنَّف تفسيراً للقرآن، وكان بصيراً بالفقه، انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، [ص١٨/١١٩] .

من الجهاد : الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء، وهو أعظم منفعة من الجهاد باليد واللسان؛ لشدة مؤنته، وكثرة العدو فيه . قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم : " فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين ، وهو جهاد المنافقين -أيضاً - فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ، ومع هذا فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن.

والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد، وطلب العلم ، ودعوة الخلق به إلى الله<sup>(٣)</sup> .  
عن أبي هريرة<sup>(٤)</sup> قال : قال رسول الله : «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ»<sup>(٥)</sup>.

#### ٧ - التنافس في طلب العلم وبذله :

إن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرغب أحداً أن يغيبط أحداً على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما :

- ١ - طلب العلم والعمل به .
- ٢ - صاحب المال الذي جعل ماله خدمة للإسلام .

(١) سورة الفرقان : (٥١-٥٢) .

(٢) سورة التحريم : (٩) .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت (٧٠/١) .

(٤) أبو هريرة الدوسي اليماني حافظ الصحابة ، الوفاة : ٥٧ هـ ، وكان حافظاً متثبتاً ذكياً مفتياً ، صاحب صيام وقيام ، تهذيب الكمال (٣٦٦/٢٤) ، تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ (٢٦٢/١٢) .

(٥) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب السنة : برقم (٢٢٧) ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٢/١) ، وصححه الألباني .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه <sup>(١)</sup> قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) <sup>(٢)</sup> .

#### ٨ - من أفضل نعم الله على العبد العلم والفقهاء في الدين :

من رزق فقهاً في الدين فذاك الموفق على الحقيقة ، فالفقه في الدين من أعظم المنن .  
عن معاوية رضي الله عنه <sup>(٣)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .» <sup>(٤)</sup> .

#### ٩ - تقديم العلم على العبادة في الفضل :

العلم مقدم على العبادة ، فإن فضلاً في علم خير من فضل في عبادة ، ومن سار في درب العلم سهل عليه طريق الجنة .

أخرج البيهقي <sup>(٥)</sup> في سننه عن عائشة ك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسَلَكًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَلَبْتُ

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبد الرحمن الهذلي، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة ، الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ م، (٧٠/٦) .

(٢) متفق عليه ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة = الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، كتاب : الزكاة ، باب : إنفاق المال في حقه ، برقم (١٤٠٩) والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، برقم (٨١٦) .

(٣) مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِيٌّ مِنْ حَرْبِ الْأَمْوِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ مَا ظَهَرَ إِسْلَامُهُ إِلَّا يَوْمَ الْفَتْحِ ، سير أعلام النبلاء (١١٩/٣) .

(٤) البخاري ، كتاب العلم ، باب : من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، برقم (٧١) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، برقم (١٠٣٧) وأخرجه الترمذي (٢٦٤٥) وقال : حسن صحيح .

(٥) أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ أبو بكر البيهقي النيسابوري الخسروجدي ، فقيه حافظ كبير أصولي جبلا من جبال العلم ، ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، انظر : طبقات الشافعية

كَرِّمَتْهُ؛ أَثْبَتَهُ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةَ، وَقَصَدُ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ فِي عِبَادَةٍ، وَمَلَكَ الدِّينِ الْوَرَعُ  
(١) (٢) .

- 
- الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ (٨/١) .
- (١) أخرجه البيهقي ، شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، كتاب المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه منه، باب: طيب المطعم والملبس واجتناب الحرام واتقاء الشبهات ، (٥٣٦٧) ، (٥٠٠/٧) ، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢٤٦).
- (٢) فضل طلب العلم، مقال لحسام الدين سليم الكيلاني، وآخر لمحمد محمود عبد الخالق، موقع صيد الفوائد، (بتصرف) .

## المبحث الثاني

### مصادر العقيدة الإسلامية

مصادر العقيدة الإسلامية الأساس ثلاثة هي:

١- القرآن الكريم .

٢- السنة النبوية .

٣- الإجماع .

## المبحث الثاني

### مصادر العقيدة الإسلامية

#### أولاً: القرآن الكريم :

القرآن هو كلام الله المتزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها<sup>(١)</sup>. وهو كتاب الله العظيم الذي أوحاه جل شأنه إلى نبيه محمد ﷺ ؛ ليكون منهج حياة ودستور أمة . وهو أول مصدر من مصادر التشريع، وأصل الأصول، وقدس الأقداس، وأساس الأحكام والمقاصد والحكم والأسرار الشرعية<sup>(٢)</sup> مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

جزم فقهاء الإسلام في كل زمان ومكان بأنه يفيد القطع من ناحية ثبوته ووجوب العمل به، وحكموا بكفر من أنكره كله أو بعضه. فهو عند جميع الفرق والمذاهب المصدر النقلي الأساسي الأول الذي لا يُعدل عنه إلى سواه .

#### ثانياً: السنة النبوية .

السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً<sup>(٤)</sup> وقال سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي<sup>(٥)</sup> .

(١) التعريفات للحرجاني (١٧٤/١) .

(٢) علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. (٣١/١)

(٣) سورة الأنعام : من الآية ٣٨ .

(٤) الفتوى الحموية الكبرى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، (٥٣٧/١) .

(٥) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، (٩٤/١) .

والسنة هي المصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية، وهي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله ﷺ أو فعل على زمانه أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضي حينئذ لفعله أو وجود المانع منه. فإنه إذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سنة<sup>(١)</sup>.

والأخبار الصحيحة عن الرسول ﷺ حجة باتفاق المسلمين؛ لكونها جاءت وحياً من الله ﷻ، أجراه على لسان رسوله ﷺ. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> قال الزهري رحمه الله وغيره من علماء الأمة رضي الله عنهم: من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم<sup>(٣)</sup>. وقال أحمد رحمه الله: السنة تفسر القرآن وتبينه<sup>(٤)</sup>.

يقول الحق ﷻ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٥)</sup>، ويقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>، ويقول الحق ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>

(١) مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، تحقیق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م (٣١٧/٢١).

(٢) سورة النجم (٣-٥).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م (٣٦٩/٣).

(٤) ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، (٥٩/٢).

(٥) سورة الحشر: (٧).

(٦) سورة النساء (٦٥).

(٧) سورة النور (٦٣).

والسنة موضحه ومفسرة للقرآن الكريم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وهي إما مفسرة لمجملات القرآن ، وإما مستقلة في التشريع بما ليس في القرآن، ولكن الرد إليها -حتى في حال الاستقلال- إنما هو رد إلى كتاب الله .

### ثالثاً الإجماع :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- الإجماع: هو الأصل الثالث؛ الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه «السلف الصالح» ؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة - أي القرآن والسنة والإجماع- جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين<sup>(٢)</sup>.

والإجماع في الشرع : هو اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ على أمر من أمور الدين<sup>(٣)</sup>، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ ؛ لأن الإجماع لا ينعقد في حياته .

قال البيهقي : احتج الشافعي في ذلك-أي الإجماع- في حكاية ذكرناها في «كتاب المدخل» بقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>

وفي الحديث الثابت ، عن معاوية بن أبي سفيان وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»<sup>(١)</sup>.

(١) سورة النحل (٤٤)

(٢) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، أعضاء السلف - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، (١٢٨/١).

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، (١٢٧) .

(٤) النساء : (١١٥) .

واحتج الشافعي -أيضا- بحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاث لا يُعْلُ (٢) عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » (٣).

وثمة أحاديث تدل على الإجماع منها: (إن الله تعالى قد أجاز أمي أن تجتمع على ضلالة) (٤)، وحديث (من فارق الجماعة قيد شبراً فقد خلع ربقة (٥) الإسلام من عنقه) (٦).

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: قوله: لا تزال طائفة من أمي (٣٦٤٠) ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمي برقم (١٠٣٧) (١٥٢٤/٣)، وغيرهما واللفظ لمسلم.

(٢) فمن قال: يغل - بالفتح - فإنه يجعله من الغل وهو الحقد والضغن والشحناء ومن قال: يغل - بضم الياء - جعله من الخيانة من الإغلال، انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (١/١٩٩).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في الحث على السماع برقم (٢٦٥٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، كتاب: الفقر والزهّد والقناعة، باب: ذكر وصف الغني (٦٨٠)، ومعرفة السنن والآثار، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مقدمة المصنف، باب: الإجماع برقم (٢٨٢).

(٤) صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، حرف الألف (١٧٨٦).

(٥) الربق: بالكسر حبل فيه عدة عرا تشد به البهم، الواحدة من العرا (ربقة) وفي الحديث: «خلع ربقة الإسلام من عنقه» والجمع (ربق) و (أرباق) و (رباق) وفي الحديث: «لكم العهد ما لم تأكلوا الرباق» انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، باب ( ر ب ق )، (١/١١٧)، وانظر: تاج العروس، باب: ربق، (٣٢٩/٢٥).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، حديث أبي ذر، برقم (٢١٥٦١)، سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي

---

السُّجِسْتَانِي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، كتاب : السنة ، باب :  
من قتل الخوارج برقم (٤٧٥٨) (٢٤١/٤) ، صحيح الجامع ( ٢١٦٨ ) .

## المبحث الثالث

### فهم النص الشرعي وضوابطه .

ويشتمل على خمسة مطالب :

\* المطلب الأول : معنى الفهم وعلاقته بالعلم والفقہ والتفسير .

\* المطلب الثاني : أسباب الفهم الخاطيء للنصوص الشرعية .

\* المطلب الثالث : ضوابط الفهم الصحيح للنصوص الشرعية .

\* المطلب الرابع : أهمية فهم السلف الصالح للنصوص .

\* المطلب الخامس : ثمرات الالتزام بفهم السلف الصالح .

## المطلب الأول :

### معنى الفهم وعلاقته بالعلم والفقه والتفسير

الفهم في اللغة : تَصَوَّرُ الْمَعْنَى مِنَ اللَّفْظِ ، وَقِيلَ : مَعْرِفَتِكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ <sup>(١)</sup> .  
قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي : ( علمناه القضية ) <sup>(٣)</sup> وفقهناها  
القضاء الفاصل الناسخ الذي أراد الله تبارك وتعالى أن يستقر في النازلة <sup>(٤)</sup> .  
قال ابن المَبَارَكِ : <sup>(٥)</sup> « أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم  
النشر » <sup>(٦)</sup>

وعن علي عليه السلام قال : ( إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم فيه ، ولا  
قراءة لا تدبر فيها ) <sup>(٧)</sup>

---

(١) تاج العروس ، مادة (فهم) (٢٢٤/٣٣) ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، مادة (فهم) (٤٥٩/١٢).

(٢) سورة الأنبياء : (٧٩) .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، (٢٩٩/٣) وذكر الشنقيطي أن ذلك باجتهاد من النبيين ، انظر أضواء البيان (٥٩٧/٤) .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، (١٧٧/١٠) .

(٥) عبد الله بن المبارك بن واضح (١٨١ هـ)، الإمام شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك بن واضح عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي، ثم المروزي الحافظ، الغازي، أحد الأعلام ، سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨-٤٢١) .

(٦) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، باب منازل العلماء (٤٧٦/١) .

(٧) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة

وقد بَوَّب البخاري في صحيحه ، باب : (الفهم في العلم) ، وذكر حديث ابن عمر لما سأل النبي ﷺ عن الشجرة التي مثلها مثل المسلم ، فأراد ابن عمر أن يقول : هي النخلة ؛ فإذا هو أصغر القوم فسكت ، فقال النبي ﷺ : ( هي النخلة ) .<sup>(١)</sup> قال الحافظ ابن حجر<sup>(٢)</sup> عند ذلك : ( الفهم فِطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل )<sup>(٣)</sup> وعليه فالفهم هو : الإدراك ، وهو ما تقرر في النفس من العلوم .  
والعلم : مُطْلَقُ الإِدْرَاكِ .<sup>(٤)</sup>

أما الفقه : الفهم والفتنة والعلم ، وغلب في علم الشريعة وفي علم أصول الدين،<sup>(٥)</sup> العلم بالشيء والفهم له . والفقه في الأصل : الفهم<sup>(٦)</sup> يقال : فقهه : بالضم إذا صار الفقه له سجية ، وفقهه : بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقهه بالكسر إذا فهم<sup>(٧)</sup> . قال الله تعالى: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾<sup>(٨)</sup> أي : ليكونوا علماء به .

العربية = السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، المقدمة ، باب : ( من قال : العلم الحشية وتقوى الله ) برقم (٣٠٣) (٧٥/١) .

(١) البخاري : كتاب العلم ، باب الفهم في العلم ، برقم (٧٢) ، ( الفتح ١/١٨٩ ) .

(٢) ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، شيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر - وهو لقب لبعض آباءه - الكنايني العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ، الشافعي ، انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١/٦٦) ، وشذرات الذهب (١/٧٤) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم (١/١٩٩) .

(٤) تاج العروس مادة (فهم) (٣٣/٢٢٤) .

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، باب الفاء (٢/٦٩٨) .

(٦) لسان العرب، لابن منظور ، ( فقهه ) (١٣/٥٢٢) ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، (٣/٤٦٥) .

(٧) فتح الباري (١/١٩٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٢ هـ، (ص ٣٨٤) .

(٨) سورة التوبة : (١٢٢) .

ودعا النبي ﷺ لابن عمه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : «اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» (١) .

أي : فهمه (٢) ، وقال : ( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ) (٣) .

قال الراغب : ( الفقه : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد . فهو أخص من العلم . قال تعالى : «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» (٤) ، والفقه : العلم بأحكام الشريعة .. وفقه أي : فهم (٥)

وقد ورد في وصف كلام المعصوم ﷺ عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ لا يسرد الكلام كسر دكم هذا، كان فصلاً بينه، يحفظه كل من يسمعه» (٦) يعني : يفهمه .

قال ابن القيم : الفقه هو : فهم المعنى المراد (٧)

وبهذا يتبين أن معاني ألفاظ الفهم والفقه والعلم متقاربة .

والفهم التام : هو ثمرة التدبر والتأمل بعد معرفة التفسير ، ودائرة التدبر أوسع وأرحب من دائرة التفسير .

والتفسير هو الجزء المعبر عنه من الفهم . وهو المتناقل عبر الأجيال بالرواية والكتابة ، وهو الكاشف عن بعض فهم السلف لا كله . والتفسير المنقول عن الصحابة قليل بالنسبة لغيرهم، وليس معنى ذلك أن فهمهم قليل بالنسبة لغيرهم .

(١) رواه أحمد في مسنده ، مسند عبدالله بن عباس ، برقم (٣٠٣٢) ، وقال إسناده قوي على شرط مسلم .

(٢) النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، (٤٦٥/٣) ، انظر لسان العرب ، (٥٢٢/٣) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب : وضع الماء عند الخلاء (١٤٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب : فضائل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) سورة النساء (٧٨) .

(٥) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم (٣٨٤) .

(٦) الآداب للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، باب : ما يستحب من ترتيب الكلام برقم (٣١١) . (١٢٨/١) .

(٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م (٣٣٢/١) .

والفهم نوعان :

الأول : فهم ذهني معرفي : وهو تفسير الغريب ، واستنباط الأحكام ، وأنواع الدلالات، وهذا مختص بأهل العلم على تفاوت مراتبهم ، وهم يغترفون من علومه على قدر ما آتاهم الله من العلم والفهم .

الثاني : فهم قلبي إيماني : وهو الذي ينتج عن تأمل القارئ للقرآن لما يمر به من آيات كريمة ، يعرف معانيها ، ويفهم دلالاتها بحيث لا يحتاج معها أن يراجع التفسير فيقف عندها متأملاً ؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، إن كان من أهلها حمد الله، وإن كان من غير أهلها حاسب نفسه واستعجب<sup>(١)</sup>

والنوع الأول : هو الذي عبّر عنه حبر الأمة ﷺ في تعريفه التفسير بقوله : ( وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله )<sup>(٢)</sup>

والنوع الثاني : هو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لما قال له أبو جحيفة ﷺ : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة»<sup>(٣)</sup> ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه

---

(١) بتصرف من مقال د/ عمر المقبل . من جامعة القصيم بعنوان : مفتاح حياة القلب (٢/٢) منشور في الشبكة في موقع المسلم بتاريخ (٦/٩/٢٠١٤هـ) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، برقم (٧١) (٧٥/١) . وينظر : مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ، (٥٠/١) .

(٣) (فلق الحبة) شقها في الأرض حتى تنبت ثم تثمر. (برأ) خلق. (النسمة) النفس ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد، باب: فكك الأسير (٦٩/٤) .

«الصحيفة»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»<sup>(١)</sup>

والأول : آله : علم العربية والمعاجم والمأثورات ، وأساليب العرب والبلاغة ونحو ذلك

والثاني : آله : زكاة النفس وقوة الإيمان ورقة القلب .

وهذا يختلف الناس فيه اختلافاً كبيراً ، ففهم الصديق رضي الله تعالى عنه للآية غير فهم أبي جهل لها مع أنهما يستويان في العربية وأساليبها ، بل إن الإنسان لتَمُر عليه الآية في صفاء فكر وحضور قلب وقوة إيمان ؛ فيفهم منها من المعاني ما لم يخطر له على بال مع أنه قد يكون حفظها وكررها مئات المرات . بل إن بعض العامة ليفهم من الآيات في بعض الأوقات ما لا يفهمه أساطين اللغة وعلماء البلاغة<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني هذا التفسير الصوفي المسمى بالإشاري واعتقاد أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وما ينبني على ذلك من انحرافات<sup>(٣)</sup> بل ما وافق الحق قبلناه وما خالفه رددناه تحقيقاً لقوله

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب: فكاك الأسير، برقم (٣٠٤٧)، ومسلم في الإيمان، برقم (١٣١).

(٢) فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية (٨-١١) بتصريف يسير (موقع صيد الفوائد).

(٣) وهو يختص بعلوم الخاطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهو ما تفردت به الصوفية، انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٠٠، وانظر تفصيل هذا الموضوع وفرق ما بين فهم السلف والتفسير الباطني وتفسير الصوفية: الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، (٤/٢٣١-٢٦١)، وكتاب: التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة (٢/٣٣٧-٤١٦) و (٢/٣٧٧) في شروط وضوابط قبول التفسير الإشاري .

تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ  
أُولُوا النَّبَابِ﴾<sup>(١)</sup> .



---

(١) الزمر (١٨) .

## المطلب الثاني

### أسباب الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية

لاشك أن الفهم الخاطئ للنص له أسبابه وعلله التي تولد عنها، تماماً كالذي ينحرف عن جادة الطريق، فإما لجهل معاملة أو لقلّة درايته بالقيادة أو ما شاكلها من الأسباب، والصورة هنا مطابقة للمثال، فالذي يزل به الفهم ويبعد عن الطريق الصحيح، لم يكن ضلاله عبثاً، ولعل بيان الله تعالى قد وضح شيئاً من هذه الأسباب حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، فيمكن أن يلاحظ من الآية أن الله تعالى وصف الذين يتبعون التأويل الفاسد بوصفين: أولهما: زيغ القلب، وهو واضح في الآية، والثاني: الجهل وذلك من وصفه لمن فهم الحق بقوله ﴿والراسخون في العلم﴾، فدل أن الفريق الأول ليسوا راسخين في العلم، فبينت الآية أن الجهل وخبث النية سبب للفهم الخاطئ، ويؤكد هذا قوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»<sup>(٢)</sup>، فيمدح النبي ﷺ أهل العلم الثقات - مصابيح الدجى ومنارات الهداية - بأنهم يتصدون بعلمهم لثلاثة أصناف من المخربين في جسد الأمة وبنیان دينها، وأولهم: الجاهل وهو الذي فقد أدوات العلم والفهم، فراح يفسر النصوص

(١) سورة آل عمران: (٧) .

(٢) مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ رقم (٥٩٩)، السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، رقم (٢٠٩١١)، بلفظ يرث هذا العلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ص: (١/١٤٠): "رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع" و كلامه يشعر بضعف الحديث، غير أنه لا يوجد في رجال الطبراني والبيهقي عمرو بن خالد هذا، والله أعلم .

بهواه، وثانيهم: الغالي الذي فقد الوسطية والاعتدال، وإذا ما صادته النصوص الصريحة المعاندة لغلوه؛ راح يحرف الكلم عن مواضعه، وثالثهم: المبطل الذي أضمر الخبث والشر في قلبه للإسلام وأهله فيتصيد في الماء العكر، ويقلب النصوص بما يخدم هواه، ويحقق غايته، ومصداق ذلك في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(١)</sup> حيث قال: «إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعييتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم»  
إذاً فالجهل والغلو والمكر أسباب تدفع بصاحبها لتغيير معاني النصوص<sup>(٢)</sup> ومن خلال الآية والحديث والأثر يمكن أن أقول: إن الذي يسبب الفهم الخاطئ للنص واحد من الأسباب التالية في الغالب:

#### أولاً: إنزال كلام الله ورسوله ﷺ على اصطلاح حادث:

فمن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل علي اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها قال الإمام النووي رحمه الله:

« والحديث يحمل على اللغة ما لم يكن هناك حقيقة شرعية أو عرفية، ولا يجوز حمله علي ما يطرأ للمتأخرين من الاصطلاح »<sup>(٣)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «... وتفريق الحنفية بين الفرض والواجب باعتبار ما يثاب به لا مشاحة فيه، وإنما النزاع في حمل ما ورد من الأحاديث الصحيحة على ذلك؛ لأن اللفظ لا يحمل على الاصطلاح الحادث - والله أعلم - »<sup>(١)</sup>.

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب أبو حفص القرشي العدوي، أمير المؤمنين الفاروق ضجيع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه ووزيره، تاريخ دمشق، لابن عساكر، برقم (٥٢٠٦)، (٣/٤٤).

(٢) الفهم الخاطئ للنص وأسبابه، د. أيمن محمد هارويش، موقع رسالة الإسلام، بتصرف.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، (٦٣/٥ - ٦٤).

ويقول العلامة الشوكاني<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - في معرض الرد علي من فرق بين النوافل وجعل بعضها مستحبة، وبعضها سنة: « والحق يقال: إن الكل يصدق عليه اسم السنة، وإن كان بعضه أكد من بعض؛ لكونه ثابتاً بالسنة النبوية، بل السنة تشمل ما ثبت وجوبه بالسنة.

فإن قلت: هذا اصطلاح، ولا مشاحة فيه.

قلت: إذا جري اصطلاح علي ما يخالف المعني الشرعي فهو مدفوع من أصله»<sup>(٣)</sup>

وقال في موضع آخر: « فالواجب حمل كلام الشارع علي لسان قومه إلا أن يثبت له اصطلاح يخالفهم، ولا يجوز حمله علي المتعارف في لسان المُتَشَرِّعِ الحادث بعد عصره»<sup>(٤)</sup>

### ثانياً: الجهل:

الجهل سبب في عدم فهم النص الشرعي، فتجده يستدل بالآيه القرآنيه في غير ما أنزلت له وبالتالي يقع في حرج ويوقع الأمة في حرج، ولذلك لما ذكر النبي ﷺ الخوارج ذكر أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فهم يقرؤونه بدون أن يفهموه، وبدون أن يعرفوا مراد الشرع بهذه النصوص وهذا هو الذي أوقعهم في الإشكال<sup>(٥)</sup>، والشرعية قد رغبت في تفهم القرآن، وتدبر معانيه يقول الله جلّ وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

(١) فتح الباري، لابن حجر، (٣/٣١٨).

(٢) الإمام العلامة المحدث محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، موسوعة مواقف السلف، (٩/٩٦)

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن حزم الطبعة الأولى، (١/١٩٩).

(٤) نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (٣/٢٨٤).

(٥) مجلة الدعوة، الأربعاء (١٤ شوال ١٤٢٨هـ)، بتصرف.

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ ، ويقول جلّ وعلا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢)

وقد رغب دين الإسلام في طلب العلم ، ورفع من شأنه ذلك ؛ لأن العلم يصون العقل من الزلل، فالعقل محل الفهم ، والعلم أدواته ، ولا ينفع المحل بلا أداة ، والجهل يخذل صاحبه، وقد قيل : الجاهل يفعل بنفسه ما لا يفعله العدو بعدوه ، ولذا حذر القرآن والسنة من خطر الجهل، وبيننا مساوئه الرذيلة، وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك منها:

— من القرآن:

أ — الجهل سبب لهلاك صاحبه . قال تعالى حكاية عن عاد قوم هود عليه السلام : ﴿قَالُوا  
أَجِئْنَا لِنُفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ\* قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ  
وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٣).

ب — الجهل سبب لانتكاس الفطرة السليمة ، كما في قصة قوم لوط عليه السلام ، قال تعالى حكاية عن سيدنا لوط عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿أَتِنُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ  
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٤).

ج — الجهل يحول بين صاحبه والإيمان بالله وإن جاءت الأدلة القاطعة ، كما في قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا  
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (٥).

د — الجهل يؤدي إلى الشرك بالله والوقوع في الفتنة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا  
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا  
إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٦).

(١) سورة ص : (٢٩) .

(٢) سورة محمد : (٢٤) .

(٣) سورة الأحقاف : (٢٢-٢٣) .

(٤) سورة النمل: (٥٥) .

(٥) سورة الأنعام: (١١١) .

(٦) سورة الأعراف: (١٣٨) .

### – من السنة:

١ – عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا" <sup>(١)</sup>.

٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج"، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده، فحرفها كأنه يريد القتل <sup>(٢)</sup>.

إن هذين الحديثين يتحدثان عن أسوأ مرحلة من مراحل البشرية، وأظلم فترة من فترات التاريخ، وهي آخر الزمن حيث هذا الفساد والانحطاط في الخلق والدين، ولكن ما سببه؟ إنه الجهل. الجهل هو الرحم السوء الخبيثة التي تفرخ الزنا والخمر والهرج، وهل هرج أيامنا إلا من الجهل؟.

٣ – حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" <sup>(٣)</sup>، فليس أصرح من هذا الحديث في الدلالة على ما أريد التعبير عنه، فعندما تدرس معالم العلم، ويذهب أربابه وأهلوه، ويصبح الراسخون في العلم أندر من الكبريت الأحمر، عندها يتصدر الجهال، ويتكلم الرويضة <sup>(٤)</sup>، ويتبوأ مقاعد الفتيا من لم يمسك من العلم بزمام، وما يلم به حق الإمام، وربما خطأ أبا حنيفة <sup>(٥)</sup> ومالك، ولم يدر أنه هالك، أو تطاول على الشافعي

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل، برقم (٨٠) (٢٧/١)، ومسلم كتاب العلم،

باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان برقم (٢٦٧١)، (٢٠٥٦/٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم – باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، برقم (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٠٠) – كتاب العلم – باب كيف يقبض العلم، (٣١/١)، ومسلم رقم (٢٦٧٣) –

كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٨/٤).

(٤) الرويضة: الفاسق يتكلم في أمر العامة. انظر تاج العروس مادة (ريضة)، (٣٣٥/١٨).

(٥) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، الإمام فقيه الملة عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوَطَى التيمي

الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/٣٩٠).

وأحمد، وظن نفسه الإمام الأوحده، وهو في الحقيقة لإبليس خير شريك، وأنصف من سماه بيضة الديك.

وهناك يقال: رحم الله أبو الحسن الفالي<sup>(١)</sup> القائل:

تصدر للتدريس كل مهوس      تسمى مجازاً بالفقيه المدرس  
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا      بيت قديم شاع في كل مجلس  
لقد هزلت حتى بدا من      كُلاها وحتى سامها كل مفلس  
هـ\_\_\_\_\_زالها

وحسبي ما ذكرته من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في التحذير من الجهل وبيان مساوئه، ولكن الجهل الذي أفسد الدين هو كالأخطبوط، تدخل أيديه في كل شعب من شعاب العلم، فهناك الجهل بالحديث رواية ودراية - أي بمصطلح الحديث - والجهل بمقاصد الشريعة، وبتاريخ التشريع، وبالأحكام... الخ. والذي يهمننا هنا هو الجهل في فهم النص، وهذا الجهل ينبع من الجهل بأدوات الفهم، ومن أدوات الفهم قواعد اللغة العربية؛ لأن النصوص الشرعية عربية اللسان، وكما هي عربية اللسان هي عربية الفهم والتفسير، فمن لم يترسخ قدمه في علوم العربية لا يستقيم فهمه لنصوص الشريعة، ولهذا يقول الشاطبي: "فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً أمران:

أحدهما: ألا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربياً، أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين، كالحليل<sup>(٢)</sup> وسيبويه<sup>(٣)</sup>

(١) علي بن أحمد بن علي أبو الحسن المؤدب، المعروف بالفالي، من أهل مدينة فالة بالقرب من إيدج، روى الحديث والأدب، وله شعر حسن منه هذه الأبيات، انظر: الكامل في التاريخ (١٤٥/٨)، والبداية والنهاية (٨٨/١٢).

(٢) الحليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، الإمام صاحب العربية ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/٤٢٩).

(٣) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، إمام النحو، حجة العرب، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/٣٥١).

والكسائي<sup>(١)</sup> والفراء<sup>(٢)</sup> ومن أشبههم وداناهم، و ليس المراد أن يكون حافظاً كحفظهم وجامعاً كجمعهم، وإنما المراد أن يصير فهمه عربياً في الجملة.

وثانیهما: إذا أشكل عليه في الكتاب أو السنة لفظ أو معنى، فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية<sup>(٣)</sup>؛ ولهذا كان السلف - رحمهم الله تعالى - يحدرون كل الحذر من تفسير نص ليس لهم به علم، خشية أن يكون فهمهم خاطئاً - مع أنهم أهل العربية وأبناء جلدتها - يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"<sup>(٤)</sup>. وقرأ عمر على المنبر **﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾**<sup>(٥)</sup> فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما هو الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: هذا هو التكلف يا عمر<sup>(٦)</sup>.

وقد ذكر الشاطبي - رحمه الله تعالى - أمثلة كثيرة عن بعض الفهوم للنصوص، والتي خرج بها أصحابها عن مدلول اللغة العربية لجهلهم بها، ولعلي أنقل شيئاً من كلامه الذي ذكر فيه هذه الأمثلة، يقول - رحمه الله تعالى - : "ومن أرباب الكلام من ادعى جواز نكاح الرجل منا تسع نسوة حرائر، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: **﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾**<sup>(٧)</sup>، ولا يقول مثل هذا من فهم وضع العرب في مثنى وثلاث ورباع، ومنهم من يرى شحم الخنزير وجلده حلالاً؛ لأن الله قال: **﴿حُرِّمَتْ**

(١) علي بن حمزة، أبو الحسن الأسدي المعروف بالكسائي النحوي، أحد أئمة القراء من أهل الكوفة، استوطن بغداد وكان يعلم بها الرشيد، تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (١١/٤٠٢).

(٢) الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، العلامة، صاحب التصانيف، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/١١٨، ١١٩).

(٣) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (٢/٨١٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/١١١).

(٥) سورة عبس: (٣١).

(٦) تفسير ابن كثير: (١/١٢)، ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، برقم (٧٢٩٣).

(٧) سورة النساء: (٣).

عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ<sup>(١)</sup> ، فلم يحرم شيئاً غير لحمه، ولفظ اللحم يتناول الشحم وغيره بخلاف العكس، ومنهم من فسر (غوى) في قوله تعالى: ﴿فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾<sup>(٢)</sup> ، أنه تخم من أكل الشجرة، من قول العرب: غَوِيَ الفصيلُ يَغْوِي غَوًى، إذا بشم من شرب اللبن، وهو فاسد؛ لأن غوي الفصيل فَعَلَ، والذي في القرآن على وزن فَعَلَ، ومنهم من قال في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ألقينا فيها، كأنه عندهم من قول الناس: ذرته الريح، وذراً مهموز، وذرا غير مهموز، وفي قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> ، أي: فقيراً إلى رحمته، من الخلة بفتح الخاء، محتجين على ذلك بقول زهير: ( وإن أتاه خليل يوم مسألة)

قال ابن قتيبة<sup>(٥)</sup>: أي فضيلة لإبراهيم في هذا القول، أما يعلمون أن الناس فقراء إلى الله، وهل إبراهيم في لفظ خليل الله، إلا كما قيل: موسى كلّم الله وعيسى روح الله؟<sup>(٦)</sup> .  
والخلاصة: إن الجهل بلغة العرب، وهي لغة النص الشرعي، أكبر مدخل وأخطر له للفهم الخاطئ للنص.<sup>(٧)</sup>

### ثالثاً : عدم الجمع بين الأدلة :

إن معقد السلامة من الانحراف عند بيان قضية عقدية وتفصيل أحكامها هو جمع ما ورد بشأنها من نصوص الكتاب والسنة على درجة الاستقصاء، مع تحرير دلالات كل،

(١) سورة المائدة : (٣) .

(٢) سورة طه: (١٢١) .

(٣) سورة الأعراف: (١٧٩) .

(٤) سورة النساء: (١٢٥) .

(٥) ابن قُتَيْبَةَ العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، الكاتب صاحب التصانيف. نزل بغداد وصنف وجمع وبعد صيته ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي لإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (٤٢/٣) .

(٦) الموافقات ، للشاطبي ، (٢٣١/٤) .

(٧) مقال بعنوان : الفهم الخاطئ للنص وأسبابه ، د . أيمن محمد هارويش ، موقع رسالة الإسلام ، بتصرف .

وتصحيح النقل عن النبي ﷺ ، واعتماد فهم الصحابة والثقات من علماء السلف الصالح  
 . ﷺ

وإذا اتضح هذا ؛ فإنه لا يجوز أن يؤخذ نص وأن يطرح نظيره في نفس الباب، أو أن  
 تعمل مجموعة من النصوص وتهمل الأخرى؛ لأن هذا مظنة الضلال في الفهم، والغلط في  
 التأويل<sup>(١)</sup>. قال الإمام أحمد - رحمه الله - : الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه،  
 والحديث يفسر بعضه بعضا<sup>(٢)</sup>

وقال الشاطبي - رحمه الله -: ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد،  
 وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة  
 الراسخين، إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها  
 وجزئياتها المرتبة عليها ..<sup>(٣)</sup>

ولما خالف أهل البدع هذه القاعدة كفر بعضهم بعضا، حيث آمن بعضهم بنصوص  
 وكفروا بأخرى، فقد آمن - مثلاً - الوعيدية<sup>(٤)</sup>: من الخوارج والمعتزلة<sup>(٥)</sup> بنصوص الوعيد،  
 كما في قول الله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ  
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ  
 حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله ﷺ : ( لا يدخل الجنة

(١) مفاتيح الفقه في الدين ، مصطفى العدوي، مكتبة ماجد عسيري، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - (ص ١٠) .

(٢) الجامع لأحلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي  
 ، تحقيق : د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، (٢/٢١٢) .

(٣) الاعتصام ، للشاطبي ، (٢١١/١) .

(٤) الوعيدية : من الخوارج يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مغلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية  
 ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ ، مجموع الفتاوى (٣/٣٧٤) .

(٥) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد بعده، وسموا معتزلة لاعتزال واصل بن عطاء  
 حلقة الحسن البصري بعد قوله المبتدع في مرتكب الكبيرة، ومن ضلالا لهم نفي صفات الله تعالى، ونفي القدر،  
 والقول بخلق القرآن، ونفي رؤية الله تعالى في الآخرة، والحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات  
 ولم يتب، ووجوب الخروج على الإمام الظالم، الاعتصام للشاطبي (١/٣٠) .

(٦) سورة البقرة : (٨١) .

(٧) سورة النساء : (١٤) .

قتات ( أي : نمام <sup>(١)</sup> ، وقوله ﷺ : ( لا يدخل الجنة قاطع ) <sup>(٢)</sup> ، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون <sup>(٣)</sup> ، وكفروا بنصوص الوعد، وقابلهم المرجئة فأمنوا بنصوص الوعد ، ومن ذلك قوله ﷺ ( من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ) <sup>(٤)</sup> ، وقوله : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » <sup>(٥)</sup> وكفروا بنصوص الوعيد، وأهل السنة والجماعة آمنوا بكلٍ وجمعوا بين النصوص، واعتمدوا على قول الله تعالى : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ <sup>(٦)</sup> وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وكذا الجبرية <sup>(٨)</sup> آمنوا بما كفر به القدرية <sup>(٩)</sup> ،

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمية، برقم (٦٠٥٦)، (١٧/٨) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : غلظ تحريم النميمة ، (١٠١/١) برقم (١٠٥) ، من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ .  
(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب : إثم القاطع ، (٥/٨) برقم (٥٩٨٤) ، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨١/٤) برقم (٢٥٥٦) ، من حديث جبير بن مطعم ﷺ .  
(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله ابن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، عن بتصحيحه: هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، (١٢٤/١) .  
(٤) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : من لقي الله بالإيمان (٥٥/١) برقم (٢٦) ، من حديث عثمان بن عفان ﷺ .

(٥) البخاري ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، برقم (١٢٨) ، ورواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب : من لقي الله بالإيمان (٦١/١) برقم (٣٢) ، من حديث معاذ بن جبل ﷺ .  
(٦) سورة الأعراف : (١٥٦) .  
(٧) سورة النساء : (٤٨) .

(٨) الجبرية : الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل، وسمي ذلك كسبا، فليس بجبري ، انظر : الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي ، (٨٥/١) .

(٩) القدرية هم نفاة القدر، وفي الحديث: "لكل أمة مجوس ومجوس أممي الذين يقولون لا قدر"، وقد ظهرت بدعة والقدر بشكل واضح في أواخر زمن الصحابة، ويُقال: إن أول من تكلم بالقدر نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر، وأخذ عنه معبد الجهنبي، وروى مسلم عن يحيى بن يعمر قال: "كان أول من تكلم في القدر بالبصرة

وكفروا بما آمن به القدرية، والحق الإيمان بجميع النصوص، واعتقاد نفي التعارض بينها. قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> فأثبت مشيئة للإنسان مقيدة بمشيئة الرحمن، لذا فمن أراد النجاة لا بد له من اتباع منهج أهل السنة والجماعة في فهم نصوص الكتاب والسنة، وذلك بجمع بعضها إلى بعض وفهمها بفهم سلف الأمة وخاصة الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، فهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله، وبهذا يصح فهمه ويعبد ربه على بصيرة.

#### رابعاً : التعصب والغلو :

من أسباب الفهم الخاطئ للنص الغلو في الفكر الذي يدين به الشخص، والتعصب للرأي الذي يقتنع به، فهو لا يرى على الحق إلا نفسه، وليس الصواب إلا حليفه وتراه يفهم التكاليف والأحكام الشرعية فهما غريباً، يعطي للسنن والمنذوبات منزلة الواجبات، وللمكروهات مرتبة المحرمات، ويدخل أنواعاً من المحرمات في باب المكفرات، فيسرف في تضليل الناس وتكفيرهم ويستخف بسلف الأمة، ويتعالى على الأئمة الذين أسسوا المدارس الفقهية ويعد اتباع هذه المدارس والانتساب إليها سبة، كل ذلك تحت اسم العمل بالكتاب والسنة، وذكر ابن كثير أن سفيان بن حسين<sup>(٢)</sup> قال : ذكرت رجلاً بسوء عن إياس بن معاوية<sup>(٣)</sup> فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا! قال: السند والهند

---

معبد الجهنّي"، وَحَاصِلُ قَوْلِهِمْ فِي الْقَدْرِ هُوَ إِنْكَارُ عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ بِالْحَوَادِثِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَأَثَبُوا بِذَلِكَ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا آخَرَ، وَهَمَّ ضِدَّ الْجَرِيَةِ، نَقَضَ الْإِمَامُ أَبِي سَعِيدِ عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ عَلَى الْمَرِيْسِيِّ الْجَهْمِيِّ الْعِنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّوْحِيدِ، لِأَبِي سَعِيدِ عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ الدَّارِمِيِّ السَّجِسْتَانِيِّ، مَكْتَبَةُ الرَّشْدِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، تَحْقِيقٌ: رَشِيدِ بْنِ حَسَنِ الْأَمْعِيِّ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (١٤٨/١).

(١) سورة التكوير : (٢٨-٢٩) .

(٢) سفيان بن حسين السلمي مولى لهم ، قال يزيد بن هارون : ويكنى سفيان أبا الحسن ، وكان ثقة يخطئ في حديثه كثيراً ، وكان مؤدباً مع المهدي أمير المؤمنين ، ومات بالري في خلافة المهدي ، الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد تحقيق : إحسان عباس، دار صادر- بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ (٣١٢/٧) .

(٣) هو إياس بن معاوية بن قره بن إياس بن هلال بن رثاب ، ويكنى أبا وائلة ، وكان ثقة ، وكان قاضياً على البصرة وله أحاديث ، وكان عاقلاً من الرجال فطناً ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، (١٧٥/٧) .

والترك، قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها<sup>(١)</sup>.

وتؤلف الكتب في هذا وذاك، وتقع مثل هذه الكتب في يد الصغار من الشباب، والعامّة من الناس الذين لم يسعدهم الحال بثقافة إسلامية أصليّة، ولم ينالوا حظهم من العلم الشرعي الصحيح، فيغترون بما فيها من آراء أصحابها، وتستقر في عقولهم لعدم وجود البديل الصالح، ويعتقونها بحماس شديد، وعصبية عمياء، ويرون أن الموت من أجلها استشهاد في سبيل الله، مع أنه قد يكون من تلك الأفكار المحسوبة على الدين أن الواحد منهم يكفر المجتمع بأسره، فلا يصلي مع الناس جمعة ولا جماعة، ولا يأكل ذبائحهم، و يرى أنه لا يجوز له المقام معهم؛ لما هم عليه من المنكر والمعاصي.

وقد يستدل بنص من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله ﷺ ويتكلف في تأويل النص بالذي يريده، فيقع في فهم خاطئ، بل ويرد النص من حيث لا يدري، وقد ذكر الإمام القرطبي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى - كلاماً جميلاً في هذا المعنى وتفسير القرآن حسب الرأي والهوى فيقول: "وإنما النهي يحمل على أحد وجهين: أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه؛ ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، وهذا النوع يكون تارة مع العلم، كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه، وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسر برأيه - أي أن رأيه حمله على ذلك التفسير - ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٣٦٧/٩).

(٢) بقيّ بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي الحافظ، أحد الأعلام؛ وصاحب "التفسير" و "المسند". تاريخ الإسلام ت بشار (٦/ ٥٢١).

القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾<sup>(١)</sup> ، ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة؛ تحسناً للكلام وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع لأنه قياس في اللغة وذلك غير جائز، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة، لتغريير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فيترلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي"<sup>(٢)</sup> .

قد بين القرطبي -رحمه الله- سبيل أهل الزيغ في تفسير النصوص سواء كانوا عامدين لهذا الإنحراف أو جاهلين به وهذا سبيل من في قلبه زيغ ، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى - معلقاً على الآية السابقة: "وكذلك ذكر في أهل الزيغ أنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به أهواءهم لحصول الفتنة، فليس في نظرهم إذاً في الدليل نظر المستبصر، حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نَظَرُ من حكم بالهوى ثم أتى بالدليل كالشاهد له، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء، حيث وقفوا في المتشابه فلم يحكموا فيه ولا عليه سوى التسليم، وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحح هواه السابق"<sup>(٤)</sup> ، وكلام الشاطبي مصداق قول النبي ﷺ في الحديث: "تحريف الغالين"، ولعله يلمح بشكل واضح في القرآن تلازم الغلو مع التحريف، فلقد وصف الله تعالى اليهود والنصارى بالغلو فيما يعتقدون، فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) سورة طه: (٢٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ص: (٣٤/١) .

(٣) سورة آل عمران : (٧) .

(٤) الاعتصام ، للشاطبي ، (٢٨٣/١) .

(٥) سورة النساء: (١٧١) .

، أي: إن اعتقادكم بعبسى أنه الإله غلو فيه ومجازة للحد المشروع ووصفهم في آية أخرى بقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾<sup>(١)</sup>، فقد جمعوا بين التحريف والغلو، ولعله لولا غلوهم ما حرفوا، وليس هذا من بعض المسلمين ببعيد، فمن أهل القبلة من يرى رأياً أو يعتقد اعتقاداً، ويغالي به إلى درجة إسباغ العصمة عليه، وقد يوالي ويخاصم عليه، ويسعى جاهداً لينطق كل نص بدعواه، ويستنبط منه مدعاه، فيقع في شرك التحريف والفهم الخاطئ، كما يروى أن قدرياً قيل له: كيف تقول: ما خلق الله شراً، وهو سبحانه يقول: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾<sup>(٢)</sup>؟ فقال: لست أقرؤها هكذا، قيل له: فكيف تقرأها؟ فقال: من شر ما خلق، فينون شراً ويجعل ما نافية<sup>(٣)</sup>، فيا لله! ماذا يفعل التعصب والغلو بأهله؟ وليس بأحسن حالاً من هذا القدري ذلك المعتزلي الذي قال لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة -: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> بنصب لفظ الجلالة؛ ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أي قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾<sup>(٥)</sup>؟! فبهت المعتزلي<sup>(٦)</sup>. والذي أدين به لله أن معنى الإيمان بألوهية الله ونبوة رسول الله ﷺ، هو قبول ما جاء عن الله وضح عن رسول الله ﷺ على المعنى الذي يدل عليه النص، بفهم سلف هذه الأمة الصالح، وبما اتفق عليه أهل اللغة وأساطينها، وبما تتحملة قواعد تفسير النصوص، وأن تحريف النصوص، وحملها على معانٍ

(١) سورة المائدة: (١٣).

(٢) سورة الفلق: (٢).

(٣) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، لشيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدر، أبو الحسن القفطي، ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، ص: (١/١٠٨).

(٤) سورة النساء: (١٦٤).

(٥) سورة الأعراف: (١٤٣).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، ص: (١/١٣٠).

لا تتصل باللغة بأواصر قربي، ولا تنتسب إليها نسبة شرعية، هو تأليه للهوى والرأي، ويصدق عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ولا شك أن التحرر من الهوى، ونبذ الغلو والعصية هو سبيل من سبل فهم الوحي فهماً صحيحاً، وجمع شتات الأمة ووحدها<sup>(٢)</sup>

#### خامساً : المكر للإسلام وأهله :

بعد أن حطمت سيوف الإسلام عروش الكفر لم يكن أعداء الإسلام ليقفوا موقف المتفرج لكنهم أدركوا أن لا طاقة لهم بمواجهة الإسلام بالسيف فلجأوا إلى أسلوب المكر والخديعة ، وبث الفتن بين صفوف المسلمين .

قرر اليهود الثأر لأسلافهم وذلك بإحداث فتنة تمزق شمل المسلمين ، وتعمل على زعزعة العقيدة في نفوسهم ، فكان عبدالله بن سبأ<sup>(٣)</sup> الماكر هو مرشح اليهودية للقيام بهذه المهمة الخبيثة مظهراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمضى ابن سبأ يتنقل بين بلاد المسلمين يبث أفكاره وضلالاته حتى انتهت فتنته بثورة مسلحة كان نتيجتها مقتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً على يد هذه الطائفة الباغية الظالمة ، ثم تولى الخلافة علي بن أبي طالب فرعم ابن سبأ أن ولايته لا تتم إلا بالبراءة من أعدائه وهم في نظره الخلفاء الراشدون السابقون له في الخلافة . وهكذا استطاع ابن سبأ بما بثه بين أتباعه من عقيدة الوصية<sup>(٤)</sup> ، والرجعة ،

(١) سورة الجاثية : (٢٣) .

(٢) الفهم الخاطئ للنص وأسبابه ، د . أيمن محمد هارويش ، موقع رسالة الإسلام ، بتصرف يسير .

(٣) عبد الله بن سبأ : هو الذي ينسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة أصله من أهل اليمن كان يهودياً وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان ابن عفان ، انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/٢٩) .

(٤) الوصية هي بدعة ابتدعتها ابن سبأ من القول بأن علياً هو وصي رسول الله، وأن الصحابة لم ينفذوا الوصية، ويولوه الخلافة.. وترتب على ذلك عند طائفة الاثني عشرية أن الصحابة خرجوا من دين الإسلام، ولا يستثنون من ذلك إلا عدداً لا يساوي أصابع اليد ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، لناصر بن عبد الله بن علي الففاري، دار النشر: بدون، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ، (٣٤٨/١) .

والبراءة<sup>(١)</sup> من الصحابة ، ثم إظهار الغلو في علي وأبنائه ، أن يضع الجذور الأساسية لفرقة تستمد مبادئها وأفكارها من اليهود في ثوب إسلامي .

قال أبو حامد الغزالي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى - في بيان سبب وتاريخ نشأة الكيد للإسلام وأهله ، يقول - رحمه الله تعالى - : (تشاور جماعة من المجوس<sup>(٣)</sup> والمزدكية<sup>(٤)</sup> وشرذمة من الثنوية<sup>(٥)</sup> الملحدين، وطائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين، لما علموا أنه لا مطمع في مقاومة أهل الإسلام بقتال، فقالوا سبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم، هم أركهم عقولاً، وأسخفهم رأياً، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وهم الروافض، وتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاز إلى أهل البيت عن شرهم، وتتودد إليهم بما يلائم طبعهم، من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم، والذل الهائل وتباكى لهم على ما حل بآل محمد ﷺ ، وتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوأهم وقدوتهم حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم، وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإن بقي عندهم

(١) سيأتي الكلام عن الرجعة والبراءة ، عند ذكر بعض عقائد الشيعة.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ، الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي، الطوسي، الفقيه الشافعي، حجة الإسلام ، [المتوفى: ٥٠٥ هـ] تاريخ الإسلام ت بشار (١١ / ٦٢) .

(٣) الثنوية : من فرق الباطنية زعمت ان النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع والظلام فاعل الشرور والمضار وان الاجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على اربع طبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الاولان مع الطبائع الاربع مدبرات هذا العالم ، انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧، (١/٢٦٩) .

(٤) المزدكية وهم صنف من الزنادقة وذلك أنهم زعموا أن الدنيا خلقها الله خلقا واحدا وخلق لها خلقا واحدا وهو آدم جعلها له يأكل من طعامها ويشرب من شرابها ويتلذذ بلذائذها وينكح نساءها فلما مات آدم جعلها ميراثا بين ولده بالسوية ليس لأحد فضل في مال ولا أهل فمن قدر على ما في أيدي الناس وتناول نساءهم بسرقة أو خيانة أو مكر أو خلافة أو بمعنى من المعاني فهو له مباح سائق وفضول ما في أيدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء، وإنما سماوا مزدكية لأنه ظهر في زمن الأكاسرة رجل يقال له مزدك فقال هذه المقالة، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ل محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملقب بالعسقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر ، (١/٩٢) .

(٥) المجوس شاركت الثنوية في اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا ان أحد الصانعين قدم وهو الاله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور، الفرق بين الفرق (١/٢٦٩) .

معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أو همنا عندهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن أمانة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث فيهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن، ثم إذا تكثرتنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء والتظاهر بنصرهم"<sup>(١)</sup>.

ومنذ أن تعاهدوا على هذا الضلال إلى يومنا هذا، تقلبوا في الأسماء و المصطلحات، لكنهم متشابهون في المنهج والمقصد، ولا تنطلي شبههم إلا على جاهل غارق في جهله، أو حاقد محترق في حقه، أو طامع يلهث خلف شهوته، وهذه بعض الأفكار التي تدل على سداجة عقولهم وعقول من يتبعهم، فقالوا: الجنابة : هي إفشاء السر، والغسل : هو التوبة منه، والطهر : هو التبرؤ من كل مذهب سوى مذهبهم، وعصا موسى : حجته التي تلقفت شبه السحرة، وانفلاق البحر : افتراق علم موسى عليه السلام فيهم، وجن سليمان : باطنية تلك الأيام، وشياطينه : هم الظاهرية<sup>(٢)</sup>، فعلى كل مسلم متبصر غيور على دينه الرجوع إلى النبع الأول في فهم نصوص الكتاب والسنة، والذب عنهما، والوقوف في وجه كل من يكد للإسلام وأهله والنصح لكل مسلم حتى يظهر الحق جلياً، ويندحر الباطل.



(١) فضائح الباطنية، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت، (١٨-١٩)، ومثله في تلبس إبليس لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (١٢٨)، بتصرف.

(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي: (٢٣٣/٤)، الاعتصام، للشاطبي، (٣٢٢/١)، تلبس إبليس، (٩٧/١).

## المطلب الثالث ضوابط الفهم الصحيح للنصوص الشرعية

### أولاً : اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال :

هذه النصوص من القرآن والسنة ليس لها أفهام جديدة، فإن معرفة مراد الرسول ومراد الصحابة هو أصل العلم، وينبوع الهدى<sup>(١)</sup>، ويستحيل عقلاً وشرعاً وحساً أن نفهم من الآية، أو الحديث فهماً جديداً لم يفهمه السلف الصالح، كيف يكون هذا والله ﷻ أثني عليهم فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>، وأثنى عليهم النبي ﷺ بقوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»<sup>(٣)</sup>، ولما أخبر ﷺ أن هذه الأمة ستفترق، وسأله الصحابة ﷺ عن الفرقة الناجية فقال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(٤)</sup>، فقرن النجاة بما كان عليه هو وأصحابه، فكيف يقول عاقل إنه يمكن أن يفهم من النص فهماً جديداً لم يفهمه السلف الصالح، فالصحابه والتابعون الذين نزل القرآن بلغتهم، وفهمهم لكلام الله وحصافة ذهنهم معلومة، وهم إذا خاطبهم الله فهموا كلامه<sup>(٥)</sup>، وعرفوا أسباب النزول، بل نزل القرآن ليحدد مسارهم ويصحح أفعالهم، عاصروا نزوله، وعاملوه عملياً ونظرياً، ولهذا يقول شيخ الإسلام: إن الصحابة ﷺ تلقوا عن النبي ﷺ معاني القرآن، وكان حرصهم على المعنى أكثر من حرصهم على اللفظ، وأدوه إلى التابعين كذلك؛ لهذا كان بعض العلماء يتحرج أن يقول بقول لم يسبقه إليه أحد.

(١) شرح حديث النزول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، (٦٥/١).

(٢) سورة التوبة: (١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي، باب فضائل أصحاب النبي (٣/٥) برقم (٣٦٥١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٤/١٩٦٣) برقم (٢٥٣٣).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٤/٣٢٣) برقم (٢٦٤١) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (2641).

(٥) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لمحمد حسن عبد الغفار، (٥/١٩).

وقد ظهرت بدعة مؤخرًا - وليست بجديدة - وهي ما يسمى بإعادة قراءة النص، يرددها بعض المنتسبين للمثقفين، والذين أرادوا أن يغيروا ويبدلوا في شرع الله ﷻ، ما معنى إعادة قراءة النص؟ إن كان المقصود به: تزييل النصوص على ما جدَّ من الحوادث فهذا أمر مسلم به، ولا ضرر فيه، ولا يزال العلماء قديمًا وحديثًا كلما جدَّت حادثة ونزلت نازلة التمسوا لها دليلا في الكتاب والسنة، والتمسوا النظائر والأشباه لها، لكن أصحاب هذه البدعة لا يريدون هذا المعنى، وإنما يريدون أن يفهم النص فهماً جديداً لم يفهمه السلف وأهل العلم قبلهم، ولهذا جنَّوا على نصوص الوحيين، وافتروا على الله وعلى رسوله؛ لأنهم حمَّلوا كلامهما ما لا يحتمل، يقولون: الله ﷻ أراد بهذه الآية كذا، وهذا ليس بصحيح، إذ لو أراد الله ﷻ بما هذا المعنى لفهمه السلف الذين هم أعلم منا ومنهم، وهؤلاء يسيئون إلى الإسلام باستخدام الإسلام نفسه، وعبادة الله عز وجل على غير مراد الله عز وجل، فليس النص وحده كافياً حتى يقال: إنك متبع، بل فهم النص أولى من النص نفسه<sup>(١)</sup>.

ولأن دليل المسلم إلى الأحكام الشرعية كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؛ فقد احتط لنا صحابة رسول الله ﷺ وسلف أمتنا الصالح منهجاً مضبوطاً محددًا في كيفية الاستدلال والاستنباط من دليلي الكتاب والسنة، وطريقاً للنظر فيما ورد لنا من (نصوص) قرآنية أو حديثية .

وقد خالف أهل الأهواء ذلك المنهج في النظر والاستدلال، وسنذكر - بإيجاز شديد - طرق أهل الحق في النظر والاستدلال .

#### ١- اتباع المحكم ورد المتشابه إليه :

المحكم: هو الواضح البين، ولهذا قال تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> يعني: هن أصل الكتاب وأساس الكتاب.

(١) انظر: الدفاع عن الله ورسوله وشرعه، لأبي الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري (٢/٦) بتصرف.

(٢) آل عمران (٧) .

قال: «وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ»<sup>(١)</sup>، المتشابهات هي التي تكون خفية الدلالة وغير واضحة المعاني.<sup>(٢)</sup>

قال الله ﷻ: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»<sup>(٣)</sup>، فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتاب وأن منه آيات محكمات وأخر متشابهات، والآيات المحكمات هي: الواضحات المعنى، والمحكم هو: الواضح المعنى، والمتشابه هو: الذي فيه إشكال عند بعض الناس، فالمتشابه نسبي يختلف باختلاف أفهام الناس، فالذين في قلوبهم زيغ وانحراف علامتهم: أنهم يتبعون المتشابه ويتركون المحكم.

وأما الراسخون في العلم فإنهم يعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ويردون المتشابه إلى المحكم، فيفسرون المتشابه بالمحكم، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»<sup>(٤)</sup>، يعني: سماهم في هذه الآية.

فعلامة أهل الزيغ أنهم يأخذون بالمتشابه، ويتركون المحكم، فيأتون للنص الذي فيه اشتباه ويلبسون به على الناس، ويتركون النصوص الكثيرة المحكمة.<sup>(٥)</sup> ولقد انقسم الناس في التعامل مع المتشابه إلى فريقين: الفريق الأول: (الذين في قلوبهم زيغ) وهم الذين يتبعون المتشابه، يأخذون النص ويبترونه، ثم يوظفونه في الشيء الذي

(١) آل عمران (٧) .

(٢) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي (١٤/٣) .

(٣) آل عمران (٧) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : العلم ، باب : النهي عن اتباع المتشابه ، برقم (٢٦٦٥) .

(٥) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، باب : وجوب الإيمان بالنصوص الشرعية ، (٣/٦)

يريدونه من الأفكار والعقائد، وأما أهل العلم فإنهم إذا وجدوا النص المشكل ردوه إلى أساسه المحكم الواضح.<sup>(١)</sup>

ومثاله: قول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فقوله: (نحن) قد يأتي إنسان ويقول: هذه الآية تدل على تعدد الآلهة، وأن الإله ليس واحداً وإنما هو مجموعة، ولهذا عبر بلفظ (نحن) التي تدل على الجماعة.

وللرد على هذا نقول: إن الله عز وجل في آيات كثيرة لا تخصي، وهي من مقررات هذا الدين الذي لاشك فيه أن الإله واحد: ﴿وَالِهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه الآية وغيرها تدل على أن الإله واحد فقط، فلفظة (نحن) تدل تارة على المجموعة، وتارة تدل على الواحد المعظم.<sup>(٤)</sup>

## ٢- الجمع بين أطراف الأدلة :

هذه القاعدة هي أحد الضوابط المعينة على الفهم الصحيح، فلا يكفي لاستنباط حكم أو إصدار فتوى الاعتماد على دليل واحد حتى ولو كان صحيحاً أو دليلاً، وإغفال النظر في مجموع الأدلة الأخرى، بل تنظر جميع الأدلة الواردة في معناه.

فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، ويحمل بعضه على بعض حتى يصح إدراك معانيه، ويحسن فهم مراميه<sup>(٥)</sup>، وكذلك الحديث النبوي، بل الأمر فيه أولى وأكد، لكثرة طرقه، واختلاف رواياته. وهذا المعنى هو الذي عبر عنه الإمام أحمد بقوله: (الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً)<sup>(٦)</sup>. فرب لفظة مشكلة في حديث ترد

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد، لعبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي (١٤/٣)

(٢) سورة الواقعة (٥٧).

(٣) سورة البقرة (١٦٣).

(٤) شرح الحموية، عبدالرحيم السلمي (٦/٤) بتصريف يسير.

(٥) من نماذج التفسير التي سلكت هذا المسلك (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير وكتاب (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) لحمد الأمين الشنقيطي.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، (٢١٢/٢).

مفسرة في حديث آخر، ورب اسم مبهم في حديث يرد مصرحاً به في حديث آخر، وقد يكون اللفظ عاماً في حديث، وله مخصص في حديث آخر، أو مطلقاً وله مقيد.. أو ما إلى ذلك. وهذا الفقه لا يتأتى إلا بجمع روايات الحديث الواحد وإعمال النظر فيها. والناظر في صنيع عدد من علماء الأمة يجده جارياً على هذا المنهج في النظر الكلي إلى الأدلة بدلا من النظر الجزئي الذي غالباً ما تزل فيه الأقدام وتطيش الأفهام .

قال الشاطبي<sup>(١)</sup> -رحمه الله- : ( فالشريعة ما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوي، فكما أن الإنسان لا يكون إنساناً حتى يستنطق فلا ينطق باليد وحدها ولا بالرجل وحدها ولا بالرأس وحده ولا باللسان وحده ، بل بجملته التي سمي بها إنساناً . كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها ، لا من دليل منها - أي دليل كان - وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل... )

فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضاً كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مثمرة .

وشأن متبعي المشابهات أخذ دليل ما - أي دليل كان - عفواً وأخذاً أولياً وإن كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي . فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكماً حقيقياً ، فمتبعه متبع متشابه ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ ، كما شهد الله به ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾<sup>(٢)</sup> ( انتهى .<sup>(٣)</sup> )

ومثال ذلك ما فعلته المرجئة ، فقد اعتمدوا على حديث الشفاعة وما ورد فيه «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٤)</sup> وغيرها من أحاديث الرجاء ، ولم يعتبروا من الأحاديث ما دل على ضرورة العمل وترتب الثواب عليه .

يقول ابن تيمية<sup>(١)</sup> : ( وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل إحكامه، وجمع حواشيه وأطرافه )<sup>(٢)</sup>

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، أصولي حافظ ، كان من أئمة المالكية .

(٢) سورة النساء (١٢٢)

(٣) الاعتصام للشاطبي ، (٣١١/١) وبعدها .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه ، كتاب : فضل الإيمان ، باب : ذكر البيان بأنه من قال : "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" دَخَلَ الْجَنَّةَ برقم (١٥١) (١/٢٦٤) .

### ٣- عدم الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة :

وقد خالف في ذلك المتبعة وأهل الأهواء فاحتجوا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وهم في المقابل يردون الكثير مما صح من الأحاديث المنقولة بنقل العدول الثقات .  
ومن أمثلة ذلك ما فعلته الصوفية في حديث النصف من شعبان .  
يقول رشيد رضا <sup>(٣)</sup> في تعليقه على ما ذكره الشاطبي من أن صيام ليلة النصف من شعبان وقيامها من البدعة <sup>(٤)</sup> : هذا هو الصواب، ولا يغترن أحد بترغيب الخطباء الجاهلين في ذلك، ولا بالحديث الذي يذكرونه على منابرهم وهو : ( وإذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله يتزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلي فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ) فإن هذا الحديث واه أو موضوع رواه ابن ماجة <sup>(٥)</sup> وعبد الرزاق

(١) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم واسمه الخضر بن محمد بن علي بن عبد الله الحراني ثم الدمشقي الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ مجد الدين المعروف بابن تيمية ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٣٢٥/١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١٦٧/١) .

(٣) السيد رشيد رضا : هو العلامة السلفي رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، (٢٨٨/١) .

(٤) انظر : الاعتصام ، للشاطبي ، (٢١٨/١) .

(٥) الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، أبو عبد الله بن ماجه القزويني، مصنف (السنن) ، و (التاريخ) ، و (التفسير) ، وحافظ قزوين في عصره ، ولد: سنة تسع ومائتين . سير أعلام النبلاء ، (٢٧٧/١٣).

(١) عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سيرة (٢) ، وقد قال فيه ابن معين (٣) والإمام أحمد (٤) أنه يضع الحديث (٥) .

وفي المقابل غلت المعتزلة في رد الأحاديث الصحيحة بحجة أنها لا تعقل مثل إثبات الصراط والميزان والحوض ورؤية الباري في الآخرة ، وقد تشبث بما روي من أحاديث عنه (العقل) وأنه هو الحكم الأول والأخير وكلها أحاديث غير صحيحة .

#### ٤- رد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية :

مما لا شك فيه أن الشريعة تقوم على قواعد كلية عامة معتبرة في كل الفروع التي هي الأحكام التفصيلية للشريعة .

وقد بين الأئمة - من مختلف مذاهب الفقه - تلك القواعد العامة في بعض ما كتبه - إذ أن ذلك لا يختلف باختلاف المذاهب الفقهية - ومن أمثال ذلك الأشباه والنظائر للسيوطي (٦) ، ومثله لابن نجيم الحنفي ، وما تفرق منها في كتابات ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله .

وعدم النظر في القواعد الكلية عند اعتبار الحكم الجزئي يؤدي إلى خلل كبير في الفتوى، فالشريعة أشبه بالبستان المتعدد الشجر ، كل شجرة لها جذر ضارب في الأرض

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، اليماني ، أبو بكر الصنعاني ، المولد : ١٢٦هـ ، الوفاة : ٢١١هـ ، ثقة حافظ مصنف شهير عمى في آخر عمره فتغير ، و كان يتشيع ، أحد الأعلام ، صنف التصانيف ، انظر تهذيب الكمال (٥٢/١٨) ، تهذيب التهذيب (٣١٠/٦) .

(٢) ابن أبي سيرة، هو: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة ، المدني ، ميزان الاعتدال (٥٩٢/٤) .

(٣) يحيى بن معين بن عون الإمام الحافظ الجهيد، شيخ المحدثين أبو زكريا الغطفاني ثم المري مولاهم البغدادي أحد الأعلام ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٤٠٨/٣) .

(٤) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله الذهلي الشيباني البغدادي أحد الأئمة الأعلام ، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ، كان يحفظ ألف ألف حديث، وفيات الأعيان ، (٦٤/١) .

(٥) مجلة المنار ، لمجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة، الباب الأول من كتاب الاعتصام ، (٥٤/١٧) .

(٦) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، توفي سنة ٩١١هـ رحمه الله تعالى، طبقات النساين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، دار الرشيد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (ص: ١٥٩) .

وفروع وثمار طارحة في الهواء ، ومهما تعددت الفروع والثمار فإنها تترد إلى جذر واحد تقوم عليه وتستمد منه ، وتلك الجذور الضاربة في الأرض هي القواعد الكلية التي يقوم عليها بناء الشريعة .

مثال : إن اليقين لا يرفع بالشك ، ولكن بيقين مثله <sup>(١)</sup> .

ومن فروع هذه القاعدة : أن من يتيقن أنه قد توضحاً للصلاة ثم شك بعدها لعله نقض هذا الوضوء أم لا ، فالأصل أنه متوضاً ؛ لأن وضوءه متيقن ونقضه مشكوك فيه .

مثال آخر : إن الضرر يزال <sup>(٢)</sup> ، وهي قاعدة عامة مضطردة في الشرع ومن فروعها : الرد بالعيب ، والحجر بأنواعه ، وأحكام الشفعة وغيرها من أبواب الفقه .

وقد بني عليها قاعدة أخرى هامة وهي أن الضرورات تبيح المحظورات . وغير ذلك من قواعد كلية عامة كقاعدة رفع الحرج ، وقاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة، وأن الأصل في الأبخاع التحريم .

يقول ابن تيمية : وَنَحْنُ نَذْكُرُ " قَاعِدَةَ جَامِعَةً " فِي هَذَا الْبَابِ لِسَائِرِ الْأُمَّةِ فَنَقُولُ : لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِنْسَانِ أُصُولٌ كَلِّيَّةٌ تُرَدُّ إِلَيْهَا الْجُزْئِيَّاتُ لِتَتَكَلَّمَ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ ثُمَّ يَعْرِفُ الْجُزْئِيَّاتِ كَيْفَ وَقَعَتْ ؟ وَإِلَّا فَيَبْقَى فِي كَذِبٍ وَجَهْلٍ فِي الْجُزْئِيَّاتِ وَجَهْلٍ وَظُلْمٍ فِي الْكَلِّيَّاتِ فَيَتَوَلَّدُ فَسَادٌ عَظِيمٌ <sup>(٣)</sup> .

وطريق الزائعين هو النظر إلى كل فرع على حده دون الرجوع إلى القاعدة التي بني عليها منع التناقض، والخلاف المترهة عنه الشريعة بنص كتاب الله في قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : الأشباه والنظائر ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ—)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ— ١٩٩١م ، (١٣/١) .

(٢) انظر : القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، لـ د. محمد مصطفى الزحيلي ، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ — ، (٢١٥/١) .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : محب الدين الخطيب، الفصل الثالث في إمامة علي (٣٢٠/١) .

(٤) سورة النساء : (٨٢) .

### ثانياً : اعتبار المتغيرات الواقعية :

الإسلام دين يقوم على الواقعية ، وهي خصيصة هامة من خصائصه .  
والواقعية تعني أنه دين لا يتعامل مع فروض نظرية مجردة ، أو أمور خيالية بعيدة عن التطبيق في أرض الواقع . بل يتعامل - في جوانب الحياة التي يتناولها من عقيدة ومعاملات بشرية في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد - مع الإنسان بكل ما فيه من قوى وضعف معتبراً قدراته الإنسانية التي خلقها له الله عز وجل منزل الشرع .  
وحقيقة أن الله سبحانه هو خالق الناس وهو كذلك منزل الشرع الذي ينظم حياة الناس تفرض أن تكون أحكام الشرع متسقة مع القدرات المخلوقة في الإنسان فتعالج نواحي الضعف فيه وتلبي حاجات الغريزة المركوزة في فطرته ، وتسمو بنواحي الرقي والقوة التي يتمتع بها سواء في الروح أو البدن .

ومن هذا المنطق ذاته كانت الفتاوى الشرعية تبنى على أمرين معاً :

١ - الحكم الشرعي الأصلي .

٢ - الواقع المراد تطبيق الحكم الشرعي عليه ، وهو ما يسميه علماء الأصول (تحقيق

المناط) .

وكمثال فإن حكم الخمر التحريم وهذا حكم أصلي ، فإذا وجدنا مشروباً ما وسأل أحد المسلمين عن حكم تناوله وجب على المفتي أن يتعرف على نوع المشروب وأثره على العقل فإن كان خمراً أفى بالتحريم<sup>(١)</sup> .

وكذلك شرط الله سبحانه العدالة في الشهود ولكنه لم يعين فلاناً بعينه هل هو عدل أم لا . لذلك وجب على القاضي أن يتحقق من عدالة الشاهد بعينه حتى يمكن قبول شهادته<sup>(٢)</sup> وهذا الأمر - وهو تحديد الواقع تحديداً دقيقاً - يتوجب على من تصدى للإفتاء في أي أمر من أمور المسلمين أن يفتن إليه ، وأن يراعيه مراعاة تامة .

(١) انظر : الموافقات ، للشاطبي ، (٣/٢٣١-٢٣٢) ، بتصريف .

(٢) انظر : مجموع فتاوى لابن تيمية (١٣/٢٥٤-٢٥٥) ، بتصريف .

فإن من أدرك حكم الله سبحانه ولم يدرك الواقع المراد التطبيق عليه فقد أخطأ الفتوى ، ومن أدرك حقائق الواقع المعروف عليه ولم يعرف حكم الله سبحانه في أمثالها فقد أخطأ الفتوى ؛ ولذلك قال العلماء بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال .

وعدم تطبيق الحكم على واقعه الصحيح هو من طرق أهل الأهواء بل من تحريف الكلم عن مواضعه ، يقول الشاطبي : تحريف الأدلة عن مواضعها : أن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المنط إلى أمر آخر موهماً أن المنطين واحد ، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله <sup>(١)</sup> .

ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام ويذم تحريف الكلم عن مواضعه ، لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له ، أو جهل يصده عن الحق مع هوى يحميه عن أخذ الدليل مأخذه فيكون بذلك السبب مبتدعاً <sup>(٢)</sup> .

والظن بمن وقع في مثل هذا الاشتباه يعرض له ، أنه يرجع عنه عند بيان الدليل ، وأن المنطين مختلفان والواقعين متغايران ، فإن أبي فهو الجهل والهوى المؤدي للبدعة.

فالواجب الشرعي للمسلم القوي المتمكن إزاء قوى الشرك والطغيان خلاف واجبه الشرعي في حالة ضعفه وقلة أنصاره ، وواجب المسلم إزاء الطغيان في عصر من العصور أو بلد من البلدان خلاف واجبه في عصر آخر أو بلد آخر .

وحيثما يتغير واقع المسلم -لأي سبب من الأسباب- يكون واجبه مكافئاً لواقعه الجديد ومتطلباته ، ومن هنا قال العلماء : إن تحقيق المناط- وهو تنزيل الحكم على الواقع واستنباط الفتوى- هو صورة من الاجتهاد الشرعي لا تنقطع حتى نهاية الدنيا <sup>(٣)</sup> .

### ثالثاً : التقوى والإخلاص :

(١) الاعتصام ، للشاطبي (٢٤٩/١) .

(٢) الاعتصام ، للشاطبي (٣١٧/١) .

(٣) الموافقات للشاطبي ، كتاب الاجتهاد المسألة الأولى، (٨٩/٣) .

ذلك أن من اتقى الله وأخلص النية له سبحانه هداه الله إلى الحق ، وأنار طريقه إليه ، وأرشده إلى الهدى والصواب بفضل منه ورحمة وليس فقه من اتقى وأصلح وأخلص كفقه من كان علمه عن جفاف قلب أو سوء طوية .

قال تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والتقوى والإخلاص ضد الهوى فلا يلتقيان في قلب عبد أبداً ، ولا نعني بالتقوى والإخلاص كثرة العبادة ، فإن الخوارج كانوا أكثر الناس عبادة ولكنهم كلاب أهل النار ، وقد صح فيهم حديث رسول الله ﷺ : (....) تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية )<sup>(٤)</sup> .

بل المقصود هو ذلك النور الذي يقذفه الله في قلب العبد ، إذا علم فيه من معاني الخوف والتوكل والرجاء والمحبة لله سبحانه ، وبهذا النور ينكشف أمام العبد وجه الحق في المسألة بمجرد رؤية الدليل ؛ فيهتدي حيث يضطرب الناس ، ويعرف الدليل الصحيح حيث يشتهب الأمر على الناس ، وهو فضل الله يؤتیه من يشاء .

يقول الشاطبي في شرح هذا المعنى : (....) وهو في الحقيقة ناشيء عن نتيجة التقوى المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقد يعبر عنه بالحكمة

(١) سورة الحديد : (٢٨) .

(٢) سورة الأنعام : (١٢٢) .

(٣) سورة البقرة : (٢٨٢) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب : استنابة المرتدين والمعاندين وقتلهم ، باب قتل الخوارج والملحدین ، برقم (٦٩٣١) ،

(١٦/٩) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤) ، (٧٤٣/٢) .

(٥) سورة الأنفال : (٢٩) .

ويشير إليها قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وقال مالك<sup>(٢)</sup>: إن الحكمة مسحة ملك على قلب العبد ، وقال : الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد ، وقال -أيضاً - : يقع بقلبي أن الحكمة الفقه في الدين ، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله (٣) .

وهذا الأمر - الذي أسماه الشاطبي بتحقيق المناط الخاص - هو ما يستدل به الفقيه بنور من الله - إن اتقى وأخلص - إلى الحق فيتبعه ، ويظهر له موطن العور فيجتنبه . (٤)



(١) سورة البقرة : (٢٦٩) .

(٢) هو شيخ الإسلام ، حجة الأمة ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي الحميري ، أبو عبد الله المدني الفقيه ( إمام دار الهجرة ) ، ١٧٩هـ ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨ / ٤٨) .

(٣) الموافقات للشاطبي (٣٤/٥) .

(٤) انظر : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، محمد العبد ، طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (بتصرف) .

## المطلب الرابع

### أهمية فهم السلف الصالح للنصوص

قال الشاطبي: " يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل".<sup>(١)</sup>

ومن المعلوم أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ﴿ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup> و ﴿ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾<sup>(٥)</sup> ، ومع ذلك بعث الله تعالى نبيه ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> وكلفه تعالى بيان القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

فالنبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يتناول هذا وهذا - اللفظ والمعنى - ، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد<sup>(٨)</sup>: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري<sup>(٩)</sup>: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به<sup>(١)</sup> .

(١) الموافقات للشاطبي ، (٣/٧٧) .

(٢) النحل (٨٩) .

(٣) يوسف (١١١) .

(٤) هود (١) .

(٥) الشعراء (١٩٥) .

(٦) إبراهيم (٤) .

(٧) النحل (٤٤) .

(٨) مجاهد بن جبر، ويقال ابن جبير، أبو الحجاج مولى عبد الله بن السائب القاري ، الجرح والتعديل ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بجيدر آباد الدكن - الهند ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، طبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ — ١٩٥٢ م ، (٣١٩/٨) .

(٩) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري من أهل الكوفة، وكان إماما من أئمة المسلمين، وعلمنا من أعلام الدين، مجمعا على إمامته بحيث يستغنى عن تركيته، تاريخ بغداد (٢١٩/١٠) .

فقام الرسول ﷺ بذلك خير قيام ، فبين ما نُزِّل إليه من ربه من الكتاب والحكمة ، وكان المتلقي لهذا البيان هم صحابته الكرام الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وتبليغ دينه من بعده فأحسنوا القيام بذلك فهماً وعلماً واعتقاداً ، وحمل الأمانة من بعدهم أتباعهم بإحسان من التابعين ، ومن بعدهم من الأئمة .

ومن المعلوم أن نصوص الشارع الحكيم في مجملها واضحة محكمة لا غموض فيها ولا التباس ولا ألغاز ولا طلاسم ، ولكن لحكمة يعلمها الله تعالى جعل من هذه الآيات آخر متشابهات فقال ﷺ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾<sup>(١)</sup> وأمر بالإيمان بالكتاب كله ، ورد متشابهه إلى محكمه .

كما أن الاختلاف في الأمة من سنن الله الكونية ، وهو واقع بينهم لا محالة ، ومن أكبر أسبابه الغلط في فهم النص، وفهمه على غير مراد الله تعالى ورسوله ﷺ .

قال شيخ الإسلام مبيناً أسباب الخلاف الوارد في الأمة : « قد يكون لخطأ الدليل والذهول عنه ، وقد يكون لعدم سماعه ، وقد يكون للغلط في فهم النص ، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح »<sup>(٢)</sup> .

فكان حرياً الرجوع إلى فهم السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم لفهم هذه النصوص على ضوء فهمهم ، فطريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به، وفهم ذلك ومعرفته، وأن ذلك هو الذي يدل عليه صريح المعقول، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب<sup>(٣)</sup> فالسلف علمهم أتم وأحكم ، وأعلم وأسلم ، فلهذا كانوا أعرف الناس بالحق وأدلتهم وبطلان ما يعارضه وكانوا أعظم الناس قياماً بدين الله تعالى ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا

(١) انظر : مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية (١/٩-١٠) .

(٢) آل عمران (٧) .

(٣) انظر : مقدمة في أصول التفسير (١/٢٠) .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، (٥/٣٧٨) .

تصدهم عن سبيل الله العظام ، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه ، ويتكلم في أحب الناس إليه من أجل دينه وإيمانه .

وهناك عدة اعتبارات توجب الرجوع إلى فهمهم لمعرفة حقيقة المراد من النصوص الشرعية، وهي خصائص لا تجتمع في غيرهم؛ لذلك كان فهمهم مقدماً على غيره من الفهوم ، ومن أهم هذه الميزات :

١- سلامة مصادرهم في التلقي؛ حيث تلقوا النصوص الشرعية بتجرد تام وتسليم مطلق وطرح للتكلف والتأويل المذموم؛ ولم يحاكموا النصوص إلى أمر خارجي.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه أمراً بالتمسك بما عليه السابقون من الصحابة في العلم والعمل والفهم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّياً فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَلَهَا تَكْلُفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما -أيضاً- للخوارج حينما ناظرهم: «أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

٢- مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتزليل الوحي بالكتاب والسنة فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التزليل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات أو تخصيص بعض العمومات فالعمل عليه صواب وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة<sup>(١)</sup>.

(١) جامع بيان العلم وفضله ، باب ما تكره فيه المناظرة والجدال والمرء ، (٢/٩٤٧) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٦٤٩) ، (٦/٣٠٩) .

(٢) السنن الكبرى ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، كتاب الخصائص ، باب مناظرة عبد الله بن عباس ، برقم (٨٥٢٢) ، (٧/٤٨٠).

يصور لنا الحافظ اللالكائي أولئك القوم فيقول : ( فأخذوا الإسلام عنه مباشرة ، وشرائعه مشاهدة وأحكامه معاينة من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه وصلة ، فحاولوها عياناً وحفظوا عنه شفاهاً ، وتلقفوه من فيه رطباً ، وتلقنوه من لسانه عذباً ، واعتقدوا جميع ذلك حقاً ، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقيناً ، فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة ، لم يشبهه لبس ولا شبهة ، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل ، ثم الكافة عن الكافة ، والصفة عن الصافة ، والجماعة عن الجماعة ، أخذ كف بكف ، وتمسك خلف بسلف ) (٢)

ومن غير أصحاب المصطفى يؤخذ عنهم ما نزل في عصرهم ورأوه بعيونهم وعاشوا أحداثه وفهموا أسبابه !

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : أنه ما نزلت آية إلا ويعلم فيمن نزلت وأين نزلت؟ ويقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : (سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل) (٣).

قال ابن تيمية - رحمه الله - : ( وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين ، كما أن لهم معرفة بأمور السنة ، وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين ؛ فإنهم شهدوا الرسول والتتيل ، وعانوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على (مراده) (٤) ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس) (٥)

لم تشب أفهامهم شبهات خارجية ؛ لأنه لم يظهر بعد ما يكدر تلك الأفهام الصافية ، بل كان النبي ﷺ يحميها من أن تشبها شائبة خارجية ، فأنكر على عمر لما رأى معه قطعة

(١) الموافقات للشاطبي ، باب الفصل الخامس في البيان ، (١٢٨/٤) .

(٢) درء التعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، (١٧٩/٧) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ، (٣٣٨/٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق ، (٣٩٨/٤٢) .

(٤) في الأصل : (مرادهم) .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، (٢٠٠/١٩) .

من التوراة ، وقال : ( لقد جئتمكم بها بيضاء نقية ) <sup>(١)</sup> ، وقال : ( قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ) <sup>(٢)</sup> ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب ) <sup>(٣)</sup> ، وقد امتثلوا ذلك بالكلية فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يأتيه رجل بكتاب من الشام فنظر فيه ابن مسعود فدعا بطست ثم دعا بماء فمرسه <sup>(٤)</sup> فيه ، وقال : (إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم ) <sup>(٥)</sup>

وهذه الكتب التي ترجمت بعد ذلك هي التي أفسدت أفهام المسلمين وغرست الشبهات في عقولهم ؛ فحصل عندهم من التشكيك وعدم اليقين ما لا يخفي ، ولبتت على الناس ما نزل إليهم ، ولا نزال نرى ضحاياها حتى في عصرنا الحاضر بعد هذا الانفتاح المعرفي ووله بعض طلبة العلم للقراءة والاستماع إلى المفتونين فأفسدت أفهامهم وأضعفت إيمانهم باسم الانفتاح ومحاربة الإنغلاق ، والاطلاع على ما عند الآخر .

فهذه المعرفة لها أثرها الكبير في مزيد اختصاصهم بفهم معاني ما أنزل الله في كتابه لا تظهر إلا بمعرفة سبب نزولها، وهذه الخاصية لا تكون إلا لأولئك الذين شاهدوا التزيل وفهموا التأويل ، ولذلك لما حمل رجل يوم القسطنطينية على العدو فقال الناس : مه ! لا إله إلا الله ، يلقي بنفسه إلى التهلكة ... مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ <sup>(٦)</sup> فذكر أبو أيوب رضي الله عنه ما فهمه من سبب نزولها وقال

(١) أخرجه أحمد ، باب مسند جابر بن عبد الله ، برقم (١٥١٥٦) ، (٣٤٩/٢٣) ، ، والبغوي في شرح السنة (١٢٦) من حديث جابر ، وفيه : مجالد بن سعيد وهو ضعيف ، وله شواهد من أجلها حسنه الألباني في إرواء الغليل ، كتاب الوقف (١٥٨٩).

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب: اتباع الخلفاء الراشدين برقم (٤٣) ، وأحمد ، مسند الشاميين ، برقم (١٧١٤٢) (٣٦٧/٢٨) ، والحاكم (٩٦/١) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : (٩٣٧) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ، برقم (٧٥٢٧) .  
(٤) (المِرَاسُ) المُمَارَسَةُ وَالْمُعَالَجَةُ. وَ (مَرَسَ) التَّمَرَّ وَغَيْرُهُ فِي الْمَاءِ إِذَا أَنْقَعَهُ وَ (مَرَّتَهُ) بِيَدِهِ، مختار الصحاح (٢٩٣/١)

(٥) مسند الدارمي ، المقدمة ، باب : من لم ير كتابه الحديث برقم (٤٩٤) ، (٤٢٤/١).

(٦) البقرة (١٩٥) .

: فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد<sup>(١)</sup> فمعرفة أبي أيوب ومعاصرتة لتزول الآية كانت سبباً في زيادة العلم بمعنى الآية ، وتصحيح المعنى الخاطئ لها .

وكذلك تصحيح عائشة ك ، لفهم عروة لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾<sup>(٢)</sup> ففهم من الآية ألا جناح على من لم يطف بهما، فأنكرت عليه ذلك ، وبينت أن الآية نزلت في الأنصار الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا بالصفاء والمروة ، لما كانوا يهلون في جاهليتهم لمائة الطاغية ، فسألوا النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup> .

وهناك النصوص الكثيرة التي لا يفهم معناها المراد كاملاً إلا بمعرفة سبب النزول مثل قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله ﷺ : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥)</sup> وغيرها .

٣- أن قروئهم من خير القرون وأفضلها، وقرهم للحق أكمل ممن جاء بعدهم، وفهومهم من أسلم الفهوم.

(١) السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، كتاب : جماع أبواب الخير ، باب : جواز انفراد الرجل والرجال بالغزو في بلاد العدو ، برقم (١٨١٩٥) ، (١٦٨/٩)

(٢) البقرة (١٥٨) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب : وجوب السعي بين الصفا والمروة ، برقم (١٦٤٣) ، ومسلم في كتاب الحج ، باب : بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن ، برقم (١٢٧٧) ، من حديث عائشة ك .

(٤) المائدة (١٠٥) .

(٥) آل عمران (١٨٨) .

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «خير أمتي القرن الذين يلونني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» . (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وكما أنه لم يكن في القرون أكمل من قرن الصحابة، فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولى بالإجماع والهدى والاعتصام بحبل الله، وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بعد عن ذلك كان أبعد عن الرحمة، وأدخل في الفتنة» (٢)

٤- أن فهمهم للنصوص الشرعية مكتسب بأيسر الطرق دون تطويل كما يحتاجه المتأخرون ، فلا يحتاجون إلى إعمال القواعد اللغوية ؛ لأنهم أهل لسان، ولا إلى النظر في أحوال الأسانيد؛ لكونهم أخذوا النصوص مباشرة، فكل شروط النظر في النص متوفرة في حقهم، ولذلك كانت فهمهم أصح الفهوم (٣)

ومما لا شك فيه أن الجهل باللسان العربي من أكبر أسباب سوء الفهم للنصوص الشرعية، ولهذا قال الشافعي : (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس) (٤) .

ويقرر الشاطبي - رحمه الله - سبب ترجيح أقوال الصحابة وفهمهم على غيرهم بقوله: معرفتهم باللسان العربي فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضل الصحابة ، برقم (٢٥٣٣) ، (٤/١٩٦٢) .  
(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٦/٣٦٨) .

(٣) انظر : مقال بعنوان : سلامة فهم السلف للنص الشرعي ، محمد بن عبد السلام الأنصاري (بتصرف) .

رابط الموضوع <http://www.assakina.com/taseel/11418.html#ixzz2OA8JhDBe>

(٤) سير أعلام النبلاء (٧٤/١٠) .

فصاحتهم فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.<sup>(١)</sup>

ويقول : (ما نقل من فهم السلف الصالح في القرآن فإنه كله جارٍ على ما تقتضي به العربية ، وما تدل عليه الأدلة الشرعية)<sup>(٢)</sup>

قال ابن القيم - رحمه الله - : فالعربية طبيعتهم وسليقتهم - أي الصحابة - ، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين ، بل قد غنوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران : أحدهما : قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، والثاني : معناه كذا وكذا ، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين ، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما ، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة، وهمهم متشعبة ، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة ، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة ، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة ، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم ، وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة ، إلى غير ذلك من الأمور ، فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن كان لهم همم تسافر إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها ، وأوهن قواهم مواصلة السرى<sup>(٣)</sup> في سواها ، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب تلك القوة ، وهذا أمر يشعر به الناظر في مسألة إذا استعمل قوى ذهنه في غيرها ، ثم صار إليها وافاها بذهن كال وقوة ضعيفة<sup>(٤)</sup>.

(١) الموافقات ، باب الفصل الخامس في البيان (١٢٨/٤) .

(٢) الموافقات (٢٥٣/٤) .

(٣) السري : سير الليل عامته يذكر ويؤنث ولم يعرف للحياني إلا التأنيث . وقول لبيد : (قلت هجدنا فقد طال السري ... وقدرنا إن جنى الدهر غفل) ، المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، (٥٦٩/٨) .

(٤) إعلام الموقعين (٢٨٥/١) .

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - : ( وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لُغَةَ الصَّحَابَةِ الَّتِي كَانُوا يَتَخاطَبُونَ بِهَا وَيَخاطَبُهُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَعَادَتُهُمْ فِي الْكَلَامِ، وَإِلَّا حَرَّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْشَأُ عَلَى اصْطِلَاحِ قَوْمِهِ وَعَادَتِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ ثُمَّ يَجِدُ تِلْكَ الْأَلْفَاظَ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْ رَسُولِهِ أَوْ الصَّحَابَةِ فَيُظَنُّ أَنَّ مَرَادَ اللَّهِ أَوْ رَسُولِهِ أَوْ الصَّحَابَةِ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ مَا يَرِيدُهُ بِذَلِكَ أَهْلُ عَادَتِهِ وَاصْطِلَاحِهِ، وَيَكُونُ مَرَادَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّحَابَةِ خِلَافَ ذَلِكَ )<sup>(١)</sup> ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال - رحمه الله - : (وهذا موجود في كلام كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة مثل من يضعون لفظ " الملائكة " على ما يثبتونه من العقول والنفوس وقوى النفس. ولفظ " الجن " و " الشياطين " على بعض قوى النفس ثم يقولون: نحن نثبت ما أخبرت به الأنبياء وأقر به جمهور الناس من الملائكة والجن والشياطين<sup>(٢)</sup>).

وبهذا يتبين أن لغة جيل الصحابة وأتباعهم هي اللغة التي يتعين فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على ضوءها ، لا ما ورد استعماله عند المتأخرين، وكم جنت المصطلحات الحادثة والألفاظ الجملة وتحميل الألفاظ من المعاني المحدثه التي لم يستعملها العرب من قبل من جنائيات فظيعة على عقائد المسلمين وزرع الشبه في أذهانهم .

#### ٥- حرصهم على طلب العلم وفهم النصوص والسؤال عما أشكل عليهم :

من المعلوم أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن بلغ البلاغ المبين، وبيّن ما نزل إليه من ربه، وما من خير إلا ودل أمته عليه، وما من شر إلا وحذرهما منه، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص : ( إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم )<sup>(٣)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى (١/٢٤٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٤٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، برقم (١٨٤٤) . (٣/١٤٧٢) .

وقد فعل ﷺ حتى قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه : ( لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً ) (١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه ) (٢) فتلقى ذلك الصحابة - رضوان الله عليهم - وفهموه ووعوه وبلغوه لمن بعدهم ، وكان إذا أشكل عليهم شيئاً من ذلك سألوا عنه رسول الله ﷺ أو من علمه منهم ، فكانوا أحرص ما يكونون على فهم القرآن والسنة - رضوان الله عليهم - .

### بعض النماذج الدالة على ذلك الحرص:

أ- فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول : ( والذي لا إله غيره ما أنزل الله سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه ) (٣)

ب- وعائشة ك تقول عنها ابن أبي مليكة : ( أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ) (٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الأنصار ، باب حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، برقم (٢١٣٦١) ، (٢٩٠/٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ برقم (٣١٩٢) (٢٨٦/٦) ومسلم بنحوه في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة برقم (٢٨٩٢) (٢٢١٧/٤) ، وأخرج البخاري نحوه عن حذيفة في كتاب القدر ، باب : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ برقم (٦٦٠٤) (٤٩٤/١١) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ﷺ ، برقم (٥٠٠٢) ،

ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل ابن مسعود وأمه ، برقم (٢٤٦٢) بنحوه .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، برقم (١٠٣) .

ج- و ابن عمر مكث على حفظ البقرة ثمان سنين يتعلمها <sup>(١)</sup> والذي حمله على ذلك : ما جاء في كتاب الله تعالى ، من قوله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> وتدبر الكلام بدون فهم معانيه غير ممكن .

ومن المعلوم أن كل كلام يقصد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلوم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكتاب الله ، فيه عصمتهم ، وبه نجاحهم في الدنيا والآخرة ؟ <sup>(٣)</sup> ، لذلك قال ابن تيمية رحمه الله : ( وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه ، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ) <sup>(٤)</sup>

د- وهذا ليس قاصراً على الصحابة ، بل على أتباعهم من القرون المفضلة ، فهذا مجاهد يقول : ( عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها ) <sup>(٥)</sup>

وطلب فهم النصوص أمر مؤكد عندهم كما دلت عليه الآيات الآمرة بالتدبر ، قال الحسن البصري : ( ما أنزل الله آية إلا وهو يجب أن يُعلم ما أراد بها ) <sup>(٦)</sup> .

٦- أنهم كانوا أحرص الناس على العمل بما سمعوه ، ولا يمكن العمل إلا عن فهم وعلم ودراية .

أ- وقد شهد النبي ﷺ للصحابة بذلك فقال : ( ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ) <sup>(٧)</sup> .

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان في المقدمة ، فصل في تعظيم القرآن، باب تعلم القرآن ، برقم (١٨٠٤) .

(٢) سورة : ص (٢٩) .

(٣) التفسير والمفسرون ، (٥٠/١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥٣/١٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٥٢٤/٢) .

(٦) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، (٢٠٨/١) .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ... ، برقم (٥٠) .

ب- وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : (حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) <sup>(١)</sup> ، وقال ابن مسعود: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) <sup>(٢)</sup> ، وقد أقام ابن عمر ثمان سنين على حفظ سورة البقرة يتعلمها .

قال ابن تيمية : (ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وأتباعهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فمن خالف قولهم ، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً ...) <sup>(٣)</sup> .

٧- أنهم أعظم الناس عقلاً وفهماً وحساً وإدراكاً ، وأكثرهم بركة ، وذلك لأن قوة الإيمان والتقوى واعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه ويجعل للبعد فرقاناً ونوراً يفرق به بين الحق والباطل. قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ... ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ولا شك أن الصحابة والتابعين وأتباعهم هم خير من حقق هذه الخصال فتحقق لهم موعود الله تعالى الذي لا يخلف، ولذا فهم ( أكمل الناس عقلاً ، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً، وأسداهم كلاماً، وأصحهم نظراً وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهاماً وأحدهم بصراً ومكاشفة، وأصوبهم سمعاً)

(١) مصنف ابن أبي شيبة، برقم : (٩٩٧٨) (٤٦٠/١٠) ، فضائل القرآن، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفِرْيَابِي، تحقيق وتخرُّيج ودراسة: يوسف عثمان فضل الله حبريل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة:

الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، برقم (١٦٩) ، والطبري في تفسيره (٨٠/١) .

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤٤/١) .

(٣) مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، (٣٨/١) .

(٤) الأنفال (٢٩) .

(٥) محمد (١٧) .

(٦) النساء (٦٦) .

(١) كيف وقد ورد التزويل موافقاً لاجتهادات بعضهم كما حصل لعمر غير مرة كما في فداء الأسرى ، والحجاب وغيرهما (٢)

ولهذا يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : ( من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً ... قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد كانوا على الهدى المستقيم) (٣)

وورد ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه (٤) ، وعن الحسن البصري (٥) ونحوه في رسالة عمر بن عبدالعزيز لعدي بن أرطأه (٦) .

فمن المحال أن يجرم الله من هذه صفته الفهم الصحيح للدين الذي حملوه لنا، وبلغوه ثم يوفق إلى فهمه الصحيح من جاء من بعدهم .

ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما بعثه علي رضي الله عنه لمحاوراة الخوارج فقال لهم في أول ما قال : ( أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار من عند ابن

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/٤) .

(٢) انظر : الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٣٠١/٢) .

(٣) حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، (٣٠٥/١) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبدالبر ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ (٩٤٧/٢) .

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة ، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري ، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، (٣١٩/١) .

(٦) سنن أبي داود (عون المعبود ٣٦٥/١٢) ، والشريعة للأجري برقم (٥٢٩) (٥٥٥/١) الإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٥٦٠) (٣٣٥/٢) .

عم رسول الله ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد<sup>(١)</sup> .

وفي هذا يقول الإمام الشافعي : ( وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله ، وهنأهم بما آتاهم من بلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي يتزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً، وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا) قال : ( وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم، واستنبت به آراؤهم أحمد وأولى بنا من آرائنا لأنفسنا)<sup>(٢)</sup>

بل إن السلف الصالح رضوان الله عليهم هم أكثر الأمة بركة ليس ذلك في فهم نصوص الكتاب والسنة بل حتى في الغزو والحروب الطاحنة مع أعداء الله تعالى كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : ( يأتي على الناس زمان ، فيغزو فئام من الناس، فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم، فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان ، فيغزو فئام من الناس ، فيقال لهم: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم ، فيفتح لهم )<sup>(٣)</sup> .

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٨/٥٣٠) بإسناد صحيح ، الصحيح المسند من أسباب النزول، لمُقبِلُ بنِ هَادِي بنِ مُقبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَانِي الوَادِعِيّ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م (٧١١) ، بإسناد حسن .

(٢) إعلام الموقعين ، لابن القيم ، (٦٣/١) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل صحابة النبي ﷺ من صحب النبي أو رأه من المسلمين فهو من أصحابه ، برقم (٢٦٤٩) ، (٥/٧) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، برقم (٢٥٣٢) ، (١٩٦٢/٤) .

وكما فتح الله لهم الأمصار فقد فتح قلوبهم للنور الإلهي والوحي الرباني، وفتح لهم قلوب العباد فاستناروا بنور الله، واستضاءوا بهدي نبيهم ﷺ، ولما ذكر النبي ﷺ مثل ما بعثه الله به من الهدى والعلم قال: «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى، والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (١).

قال ابن تيمية: (ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن وريثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسول حقاً، وهم بمثلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة في الدعوة؛ ولذلك كانوا وريثة الأنبياء الذين . قال الله فيهم: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٢) فالأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار: البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقهاء في الدين والبصر والتأويل

(١) أخرج البخاري في كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلم، برقم (٧٩)، (٢١١/١)، ومسلم في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم (٢٢٨٢)، (١٧٥٧/٤).

(٢) سورة: ص (٤٥).

ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهماً خاصاً...  
(<sup>١</sup>)

ويتقرر بما سبق أن فهم السلف - رحمهم الله - من أوثق ما يفسر به النصوص الشرعية، وكل فهم حاد عن إجماع فهمهم أو استنباطهم فهو فهم زائغ عن سبيل المؤمنين ، والذين حذر الله تبارك وتعالى بمن زاغ عنه أن يوله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيراً.

وأنه كلما كانت عدالة الشخص أكمل كان لذلك أثر في موافقته الحق أكثر من غيره، وهذا ما أوجب تقديم فهم الصحابة وأتباعهم على غيرهم ممن جاء من بعدهم . (<sup>٢</sup>)



١ - مجموع الفتاوى (٩٢/٤-٩٣) .

٢ - انظر : فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية ، د. عبدالله بن عمر الدميحي ( بتصرف ) .

## المطلب الخامس

### ثمرات الالتزام بفهم السلف الصالح .

لا شك أن الالتزام بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة العاصمة من كل فتنة مضلة له ثمرات يانعة ، وآثارٌ تحفظ المرء في عقيدته وعبادته وتعصمه بإذن الله من الأهواء والمفاهيم الشاذة والأفكار المنحرفة ، ومن أبرز هذه الثمرات :

#### ١- النجاة والهداية المحضة موقوفة على متابعة فهم السلف:

فإن من التزم بفهم السلف وسار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه له النجاة والهداية المحضة . قال الشاطبي رحمه الله «فإن ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فهي مؤدية إلى التعارض والاختلاف، ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ولا أحدا من المختلفين في الأحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة، وقد مر من ذلك أمثلة، بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها إلى الشريعة المترهنة، وفي كتب التواريخ والأخبار من ذلك أطراف ما أشنعها في الافتتاح على الشريعة، فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل»<sup>(١)</sup>

ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه<sup>(٢)</sup> .

وللوصول إلى النجاة والهداية المحضة لابد من اتباع ثلاثة أركان هم الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة الصالح ، لكن الذي جعل الفرق الإسلامية تنحرف عن الصراط هو إغفالها الركن الثالث ، والذي جاء التنويه به في الوحيين جميعاً ، وقد اشتملت سورة

(١) الموافقات ، للشاطبي (٢٨٩/٣)

(٢) انظر : الصَّارِمُ الْمُنْكَي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِ ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى:

٧٤٤هـ-) ، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، (٣١٨/١) .

الفاتحة على هذه الأركان الثلاثة في أكمل بيان فقوله تعالى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ اشتمل على ركني الكتاب والسنة، والكتاب والسنة متفق عليهما من قبل المسلمين من ناحية أنهما الطريق الموصل إلى النجاة والهداية، وقوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ اشتملت على فهم السلف لهذا الصراط ، وهو الكتاب والسنة ، مع أنه لا يشك أحد في أن من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى ، إلا أنه لما كان فهم الناس للكتاب والسنة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلاف بفهم الأسلاف.

## ٢- أنه سبب للعصمة من التفرق والاختلاف المذموم :

فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف<sup>(١)</sup> وفي اتباع السلف الصالح النجاة، وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج عن جماعتهم .<sup>(٢)</sup>

وقد حث النبي ﷺ على اتباع هديهم وحذر من مخالفتهم في قوله «إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».<sup>(٣)</sup>

قال السندي في حاشيته عند قوله ( وسنة الخلفاء الراشدين ) قيل: هم ومن سار سيرتهم من أئمة الإسلام المجتهدين في الأحكام فإنهم خلفاء الرسول - عليه الصلاة والسلام - في إعلاء الحق وإحياء الدين وإرشاد الخلق إلى الصراط المستقيم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢٦٧/١٣)

(٢) الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري ، المكتبة الثقافية - بيروت ، باب : في الرؤيا والتناؤب والعطاس (٧٢٢/١) .

(٣) رواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب لزوم الجماعة ، برقم (٤٦٠٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٩/١) برقم (٢٥٤٩) .

(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، باب : اتباع سنة الخلفاء (٢٠/١) .

فهم أولى الناس بفهم مراد الله ورسوله وهم القدوة في قضايا الشورى والحكم وإقامة العدل ونصر الحق ، وإحياء السنة وإماتة البدعة ، لذا كان اتباعهم سبباً للعصمة من التفرق والاختلاف؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب لابن عباس رضي الله عنهما : ( كيف تختلف هذه الأمة ونبیها واحد وقبلتها واحدة ؟ قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيمن نزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون في من نزل ، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا )<sup>(١)</sup>

٣- أنه السبيل لمعرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ، إذ هي غاية كل مسلم يريد الاعتصام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً ؛ لينجو من الفتن ويحقق عبودية ربه على هدىً وبصيرة.

فمقصود السلف هو معرفة مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ الذي هي ينبوع الهدى ، وهو غاية السالكين وطريق النجاة لطالبيها، كما أن الإنحياز إلى جانب الصحابة واتباعهم والتمسك بطريقتهم وهديتهم هو عين الفلاح ، وأساس النجاح .

فأسعد الناس وأسدهم رأياً في جميع أمور الدين وما يقرب من رب العالمين هو من تلقى من ( مشكاة الوحي المبين ، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين، وتشكيكات المشككين، وتكلفات المتنطعين ، واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين، فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشفقت، وجمعت وفرقت، وأوضحت وبينت، وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن )<sup>(٢)</sup> .

ثم إن عامة ما عند السلف من العلم والإيمان هو ما استفادوه من نبیهم ﷺ الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وهداهم به إلى صراط العزيز الحميد الذي قال الله فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* لِنَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٩٤)، برقم (١٥٨٧) وانظر كثر العمال رقم (٤١٦٧) .

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، المقدمة (٣/١) .

عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ<sup>(٣)</sup> .

ولا شك أن أعلم الناس بهذا الصراط وأحرصهم على الهداية إليه هم صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم من أئمة السلف الصالح ، وكل خير في اتباعهم فهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، ومنهم يستقى العلم والفهم الصحيح ، أما من جاء بعدهم فلا شك أنهم أدنى منهم في العلم والفهم .

٤- أنه أهم وسيلة لحسم مادة الابتداع وإغلاق باب البدعة والإحداث في الدين ؛ لأن المبتدعة عادة ما يتعلقون ببعض النصوص ويتأولونها على غير تأويلها ، ويفهمونها على غير مراد الله ومراد رسوله ﷺ ولكن على مرادهم هم لتوافق أهواءهم وما استحدثوه من البدع، وفهم السلف هو الفيصل في هذه المسألة ، وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال . قال تعالى : ﴿فَإِن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ<sup>(٤)</sup> .

قال ابن تيمية : ( وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً ، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه ... ) إلى أن قال : ( ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وأنهم كانوا أعلم

(١) الحديد (٢٨-٢٩) .

(٢) آل عمران (١٦٤) .

(٣) الشورى (٥٢ ، ٥٣) .

(٤) البقرة (١٣٧)

بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ فمن خالف قولهم ، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول ... (١)

بل إن العدول عن فهم السلف للنصوص هو من أخطر أبواب الإنحراف والضلال ، فمن فسر القرآن الكريم والسنة المطهرة ( وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين فهو مفتر على الله ﷻ ، ملحد في آيات الله ، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتحٌ لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان من دين الإسلام (٢) ) . (٣)

٥- أنه يُورث الطمأنينة والأمن النفسي القاطع لشوائب الاحتمالات المقدرة، الراجع للإشكالات المتوهمة ، فالذي يلتزم بنصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة يقل خطأه ويكثر صوابه وتوفيقه ، وهذا الخطأ يكون بسبب نقص علم المستدل أو قصور فهمه أو سوء قصده، فمتى علم المتفقه وطالب العلم أن فهمه للدليل موافق لفهم السلف الصالح كان ذلك حاسماً للترددات شاهداً صادقاً على صحة الاستدلال بالدليل مصداقاً له .

قال ابن عقيل: « أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكُن مثلهم، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أوفى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت قالَ وَقَدْ أَفْضَى الْكَلَامَ بِأَهْلِهِ إِلَى الشُّكُوكِ وَكَثِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى الْإِلْحَادِ » (٤) ، وهذا ما أدى بهم إلى عدم الطمأنينة والرجوع في آخر حياتهم إلى منهج السلف، وتمني بعضهم أن يموت على عقيدة عجائز أهله ، كما قال الإمام أبي المعالي ابن الجويني في مرض موته قالَ: « اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْ كُلِّ مَقَالَةٍ قُلْتُهَا أُخَالِفُ فِيهَا مَا قَالَ السَّلْفُ الصَّالِحُ وَإِنِّي أَمُوتُ عَلَى مَا تَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورِ ». قال الإمام الحافظ

(١) مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، (٣٨/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٣) ، وانظر (٣٦١/١٣) و (٩٤/١٥) و (٥١/١٦) .

(٣) انظر : فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية ، د. عبدالله بن عمر الدميحي .

(٤) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، باب : ذكر تلبيس إبليس على أمتنا (٧٧/١) .

الذهبي: قلت: هذا معنى قول بعض الأئمة: عليكم بدين العجائز - يعني: أئمن مؤمنات بالله على فطرة الإسلام، لم يدرين ما علم الكلام<sup>(١)</sup>

٦- أنه الضابط في معرفة السنة من البدعة :

فكل دين وعبادة لم يكن معروفاً عند السلف، فهو من الابتداع والإحداث في الدين، وتقدم مأخذ ابن عباس على الخوارج : بأنه ليس فيهم أحد من صحابة رسول الله ﷺ الذين هم أعلم الناس بتأويل القرآن .

فدل على أن الحجة بفهم الصحابة وما كانوا عليه وليس العكس ، وأن أهل البدع هم الذين انشقوا عن الجماعة وخالفوا الصحابة والأئمة ، ولذلك ( فلا أحد يسلم من البدعة ، ولا يسلم له عقيدة إلا أن يسلم كما أسلم السلف ، وأن يفهم النصوص كما فهموا، ويترك علم ما لم يكلف، وهذا مسلك أئمة السنة ) .

ومن عدل عن سبيلهم ( وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم أو غير الحق ، وهذا مما حرمه الله ورسوله .. )<sup>(٢)</sup>

فالشاهد على المتخاصمين ، والحكم بين المتنازعين : النظر في حال السلف، وهل كانوا يفهمون هذه النصوص على هذا النحو أم لا ؟ وهل كانوا آخذين فيها ؟ أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟! مع القطع بتحققهم بفهم القرآن ، ويشهد لهم بذلك النبي ﷺ والجم الغفير ، فلينظر امرؤ أين يضع قدمه<sup>(٣)</sup> .

٧- السكوت عما سكت عنه السلف:

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال، والاعتقاد وغيرها من

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، لمؤسسة الخافقين ومكنتها دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٠٢ هـ ، (١/١٠٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٨٨) .

(٣) انظر : الموافقات (٣/٣٧٦) ، وانظر : القرآن الكريم ومزنته بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام أهري - دار التوحيد للنشر، الرياض ، الطبعة: الأولى، 1426 هـ (٧٥٩) .

كل فضيلة أن خيرها -: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأهم أولى بالبيان لكل مشكل<sup>(١)</sup>، فمن علم ذلك وسعه ما يسعهم ووجب عليه أن يقف على حدود ما أصّله في مسائل الاعتقاد والإيمان والاستدلال والتقرير.

قال عمر بن عبد العزيز: عليك بلزوم السنة؛ فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم على علم وقفوا، وبيصر نافذ قد كفوا وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى. فلئن قلت: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر، لقد قصر عنهم آخرون فجفوا، وطمح عنهم فغلوا وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مسعود، والحسن البصري: " من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم،

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية، لعبدالله بن عبدالعزيز بن حمادة آل جبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، التمهيدي، (١٥/١).

(٢) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي، باب الأدلة من النظر على ذم البدع (١/٦٥-٦٦)، ذم الكلام وأهله (٢٤٢٥/٥)

واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (١) ، وقال غيره: (عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي، ولم يحدث بعدهم خير كامن لم يعلموه). (٢)



---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٦٤٩) ، (٣٠٩/٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٨/٤) .

## الفصل الثاني

### ظهور الفرق الضالة وبعض النماذج لها

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : ظهور الخوارج .
- المبحث الثاني : ظهور الشيعة .
- المبحث الثالث : ظهور الصوفية .

# المبحث الأول

## ظهور الخوارج

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : تعريف الخوارج ونشأتهم .
- المطلب الثاني : بعض أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم .
- المطلب الثالث: مناظرة ابن عباس للخوارج والدروس المستفادة منها .

## المبحث الأول

### ظهور الخوارج ونشأتهم

**المطلب الأول : تعريف الخوارج ونشأتهم :**

**أولاً : تعريف الخوارج :**

قال ابن نجيم<sup>(١)</sup> رحمه الله : ( الخوارج : قوم لهم منعة وحمية خرجوا عليه بتأويل يرون أنه على باطل كفر أو معصية توجب قتاله بتأويلهم يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويسبون نساءهم ويكفرون أصحاب رسول الله ﷺ )<sup>(٢)</sup>

وقال النووي<sup>(٣)</sup> رحمه الله : ( الخوارج : صنف من المبتدعة يعتقدون أن من فعل كبيرة كفر، وخلد في النار، ويطعنون لذلك في الأئمة ولا يحضرون معهم الجمعة والجماعات )<sup>(٤)</sup>

قال ابن تيمية رحمه الله : (وهؤلاء الخوارج ليسوا ذلك المعسكر المخصوص المعروف في التاريخ بل يخرجون إلى زمن الدجال)<sup>(٥)</sup>

وتخصيصه ﷺ للفئة التي خرجت في زمن علي بن أبي طالب ﷺ إنما هو لمعان قامت بهم، وكل من وجدت فيه تلك المعاني ألحق بهم، لأن التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم بل لحاجة المخاطبين في زمنه ﷺ إلى تعيينهم)<sup>(٦)</sup>

(١) زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي، من العلماء. مصري ، الأعلام للزركلي (٣/٦٤).

(٢) البحر الرائق شرح كتر الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري، وبالْحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ (١٥١/٥) ، وانظر : المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، (٥٢٤/٨) ، بتصرف .

(٣) الإمام الحافظ محيي الدين يحيى بن شرف بن مرا بن حسن، أبو زكريا الحزامي النووي، ذو التصانيف النافعة، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/٤٠٣) .

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، (٥١/١٠) .

(٥) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٢٨/٤٩٥-٤٩٦) .

(٦) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٢٨/٤٧٦-٤٧٧) .

قال الآجري<sup>(١)</sup> رحمه الله: (لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله وعبيدك ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة ، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس ذلك بنافع لهم لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهونون ، ويموهون على المسلمين )<sup>(٢)</sup>

ولهذا عندما خرجوا لقتال علي رضي الله عنه: قال بعضهم لبعض تهياً للقاء الرب الرواح الرواح إلى الجنة . وقالوا: والله ما قنعنا بالبقاء في الدنيا شئ بعد أخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو أننا شربنا أنفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فتأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد<sup>(٣)</sup>

### ثانياً : نشأة الخوارج

اختلف المؤرخون في تحديد بدء نشأة الخوارج هل كان ذلك في عهد النبي ﷺ أو في عهد عثمان<sup>(٤)</sup> أو في عهد علي<sup>(٥)</sup> رضي الله عنهما .

**القول الأول :** أن أول الخوارج هو ذو الخويصرة<sup>(٦)</sup> أو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبي ﷺ في قسمة الفيء واتهامه إياه بعدم

(١) الإمام، المُحدِّث، القُدْوَةُ، شَيْخُ الحَرَمِ الشَّرِيفِ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الآجَرِيِّ ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٦ / ١٣٣)

(٢) الشريعة ، للآجري ، باب : ذم الخوارج وسوء مذاهبهم (١ / ٣٢٥) .

(٣) تلبيس إبليس ، (١ / ٨٥) .

(٤) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، القرشي، أمير المؤمنين، ﷺ . موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلمه ، السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل ، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، (٢ / ٤٢٩) .

(٥) علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد الله بن هاشم القرشي، أبو الحسن الهاشمي، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله ﷺ ، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلمه (٣ / ٣٩) .

(٦) ذو الخويصرة التميمي، وهو حرقوص بن زهير. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد (٢ / ٣٤٣) .

العدل ، وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء منهم ابن الجوزي<sup>(١)</sup> وذلك في قوله: أن أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويرة . وقوله: فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٢)</sup> . ومنهم ابن حزم، وهو رأي الشهرستاني<sup>(٣)</sup> أيضاً حيث يقول: وهم الذين أولهم ذو الخويرة وآخرهم ذو الثدية<sup>(٤)</sup>، واعتبر اعتراض ذي الخويرة خروجاً صريحاً؛ إذ إن الاعتراض على الإمام الحق يسمى خروجاً فكيف بالاعتراض على رسول الله ﷺ؟!

**القول الثاني:** وهو للقاضي علي بن علي بن أبي العز الحنفي شارح (الطحاوية)، الذي يرى أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان عليه السلام في تلك الفتنة التي انتهت بقتله وتسمى الفتنة الأولى - يقول: فالخوارج والشيعية حدثوا في الفتنة الأولى<sup>(٥)</sup>. ويسمى ابن كثير الذين ثاروا على عثمان وقتلوه خوارج فيقول: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً<sup>(٦)</sup>.

**القول الثالث:** أن نشأتم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي عليه السلام وخروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين

(١) الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة، وعرف جدهم = بالجوزي لجوزة في وسط داره بواسط، انظر، سير أعلام النبلاء، (٣٦٥/٢١)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٢١٢).

(٢) تلبس إبليس (٨٢/١).

(٣) حمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، شيخ أهل الكلام والحكمة. برع في الفقه على الإمام أحمد الخوافي، وأخذ الكلام عن أبي نصر ابن القشيري. صنف كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام وكتاب الملل والنحل وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٨٦/٢٠)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ١٤٠).

(٤) الملل والنحل، للشهرستاني، الحكمة الأولى (١١٦/١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، (١/ ٥٤٢).

(٦) البداية والنهاية، لابن كثير، (٧/ ٢١١).

خرجوا على علي بعد التحكيم ، ومن هؤلاء الأشعري فقد أرّخ للخوارج، وأقدم من أرّخ لهم منهم هم الخارجون على الإمام علي وقال عنهم: "والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>. وقد تابعه في صنيعة البغدادي؛ حيث بدأ التاريخ للخوارج بذكر الخارجين على علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يرى أبو الحسين الملقب<sup>(٣)</sup> أن الفرقة الأولى للخوارج هي المحكمة<sup>(٤)</sup>.

وقد أصبح إطلاق اسم الخوارج على الخارجين عن الإمام علي أمرا مشتهرا بحيث لا يكاد ينصرف إلى غيرهم بمجرد ذكره.

والواقع أن نزعة الخروج - أو بتعبير أدق بدء نزعة الخروج - قد بدأت بذرتها الأولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتراض ذي الخويصرة عليه. لكن هل كان خروجاً حقيقياً أم كان مجرد حادثة فردية اعترض فيها واحد من المسلمين على طريقة تقسيم الفيء طمعا في أن يأخذ منه نصيباً أكبر؟ وهو الأمر الذي سنرجحه فيما بعد.

ولقد مضى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يكن لذي الخويصرة ذكر في هذه العهود بعد تلك الحادثة لا بنفسه ولا مع من يمكن أن يكونوا على شاكلته. ولم يذكر التاريخ - فيما اطلعت عليه - أنه كان كذلك من الثائرين على عثمان رضي الله عنه أو أنه كان له أبناء أو أصحاب ينتسبون إليه في تلك الثورة مع أن الفارق الزمني بين ورود الحديث فيه وبين أحداث الفتنة الكبرى يسمح بمثل هذا لو كان.

كل هذا يجعل من هذه الحادثة التي ارتكبتها ذو الخويصرة حادثة فردية في وقتها؛ حيث لم يشتهر بالخروج ولم تعرف له آراء خاصة يتميز بها ولم يكون له حزبا سياسيا معارضا

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري ، (١٢٧/١) .

(٢) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ، (٧٤) .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملقب العسقلاني: عالم القراءات. من فقهاء الشافعية: من أهل "ملطبة" نزل بعسقلان، وتوفي بها. له تصانيف في الفقه وغيره ، الأعلام للزركلي (٣١١ / ٥) .

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملقب العسقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، (٤٧/١) .

وإن لم يمنع هذا من اعتباره الفيء لمجرد نزعة الخروج في صورة ساذجة، إذا صح أن يكون الاعتراض على تقسيم الفيء خروجاً.

وأما القول بأن نشأتهم تبدأ بثورة الثائرين على عثمان رضي الله عنه، فلا شك أن ما حدث كان خروجاً عن طاعة الإمام إلا أنه لم يكن يتميز بأنه خروج فرقة ذات طابع عقائدي خاص لها آراء وأحكام في الدين، غاية ما هنالك أن قوما غضبوا على عثمان واستحوذ عليهم الشيطان حتى أدى بهم إلى ارتكاب جريمة قتله ثم دخلوا بين صفوف المسلمين كأفراد منهم.

وهكذا يتضح الفرق بين مجرد وجود نزعة الاعتراض أو الثورة خروجاً عن طاعة الإمام، وبين الخروج في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة؛ كخروج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه منذ وقعة صفين<sup>(١)</sup>، وهم الذين ينطبق عليهم مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وهذا هو القول الأخير الذي نختاره في هذه الرسالة .

والواقع أن هذا هو ما يشهد له واقع تلك الحركة التي أحدثت دوياً هائلاً في تاريخ هذه الأمة الإسلامية عدة قرون تميزت فيها بآراء ومعتقدات وأنظمة لفتت إليها أنظار علماء التاريخ والفرق الإسلامية، بخلاف ما سبقها من حركات فإنها لم يكن لها أثر فكري أو عقائدي يذكر<sup>(٢)</sup>.

(١) معركة صفين (شرق الشام) ٣٧ هـ/٦٥٧ م، حدثت بين علي ومعاوية، فقد سارت الرسل بين علي ومعاوية بدون نتيجة، حتى عسكر الفريقان في صفين، ونشب القتال، وقتل الكثير من الطرفين، وكاد علي أن ينتصر، فرفع أهل الشام المصاحف، وطلبوا تحكيم كتاب الله، وهذه حيلة دبرها عمرو بن العاص (قائد جيش معاوية) لإيقاف القتال فجح في ذلك، وتوقف القتال، والتقى حكما الفريقين، ولم يصل إلى اتفاق، وكتبت صحيفة التحكيم. وعادت الجيوش إلى بلادها.

(٢) انظر : الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية ، لغالب عواجي ١٣٩٨-١٣٩٩ هـ (٣٨) ، بتصرف .



## المطلب الثاني

### بعض أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة

- ١- التكفير بالمعاصي (الكبائر) وإلحاق أهلها (المسلمين) بالكفار في الأحكام والدار والمعاملة والقتال .
- ٢- الخروج على أئمة المسلمين اعتقاداً وعملاً - غالباً - أو أحدهما أحياناً .
- ٣- الخروج عن جماعة المسلمين ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراء منهم وامتحنانهم، واستحلال دمائهم .
- ٤- صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم وقتال المخالفين
- ٥- كثرة القراءة الجهلة فيهم والأعراب، وأغلبهم كما وصفهم النبي ﷺ : (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام) <sup>(١)</sup> .
- ٦- ظهور سيما الصالحين عليهم، وكثرة العبادة كالصلاة والصيام ، وأثر السجود ، وتشمير الثياب ، مسهمة <sup>(٢)</sup> وجوههم من السهر ويكثر فيهم الورع - على غير فقه - والصدق والزهد، مع التشدد والتنطع في الدين كما وصفهم النبي ﷺ : (تحقرون صلاتكم عند صلاتهم) <sup>(٣)</sup> .
- ٧- ضعف الفقه في الدين وقلة الحصيلة من العلم الشرعي ، كما وصفهم النبي ﷺ : يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.
- ٨- ليس فيهم من الصحابة ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد ، كما قال ابن عباس : ( وليس فيكم منهم أحد) يعني الصحابة .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة في الإسلام ، برقم (٣٦١١) ، وأبو داود ، كتاب : السنة ، باب: قتال الخوارج ، برقم (٤٧٦٧) .

(٢) السهومي : العيوس ، لسان العرب (٣٠٩/١٢) ، تاج العروس (٤٤٣/٣٢) ، .

(٣) رواه البخاري ، كتاب : فضائل القرآن ، باب: من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو تفخر به، برقم (٥٠٥٧) .

- ٩- الغرور والتعالم والتعالي على العلماء ، حتى زعموا أنهم أعلم من علي وابن عباس وسائر الصحابة ، والتفوا على الأحداث الصغار والجهلة قليلي العلم من رؤوسهم .
- ١٠- الخلل في منهج الاستدلال ؛ حيث أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد ، واستدلوا بالآيات الواردة في الكفار وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين كما قال فيهم ابن عمر<sup>(١)</sup> رضي الله عنهما : ( انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين )<sup>(٢)</sup> .
- ١١- الجهل بالسنة واقتصارهم على الاستدلال بالقرآن غالباً .
- ١٢- سرعة التقلب واختلاف الرأي وتغييره (عواطف بلا علم ولا فقه) ، لذلك يكثر تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم ، وإذا اختلفوا تفصلوا وتقاتلوا .
- ١٣- التعجل في إطلاق الأحكام والمواقف من المخالفين (سرعة إطلاق الحكم على المخالف بلا تثبت) .
- ١٤- الحكم على القلوب واتهامها ، ومنه الحكم باللوازم والظنون .
- ١٥- القوة والخشونة والجلد والجفاء والغلظة في الأحكام والتعامل وفي القتال والجدال .
- ١٦- قصر النظر وضيق العطن وقلة الصبر ، واستعجال النتائج .
- ١٧- يقتلون أهل الإسلام ويخاصموهم ، ويدعون أهل الأوثان<sup>(٣)</sup> . كما جاء وصفهم في الحديث « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد »<sup>(٤)</sup>

---

(١) عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ، أبو عبدالرحمن القرشي ، العدوي ، المكي ثم المدني ، أسلم وهو صغير ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٢٠٣ ، ٢٠٤) .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدية بعد إقامة الحجة عليهم ، (٨٥/٢٤) .

(٣) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار أشبيلية ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، (٣٤/٢) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله عز وجل ﴿فأما عاد فأهلكوا بالطاغية﴾ ، برقم (٣٣٤٤) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، برقم (١٠٦٤) .



## المطلب الثالث

### مناظرة ابن عباس للخوارج: (١)

ناظر العالم الرباني ترجمان القرآن وخادم رسول الله عبد الله بن عباس الخوارج ليعين لهم الفهم الصحيح للنصوص فيما أشكل عليهم فرجع من رجع منهم، وبقي من لم يرجع على ضلاله فقد روى الحاكم في مستدركه قصة مناظرة ابن عباس للخوارج وفيها قول ابن عباس رضي الله عنه: (أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً (٢) فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٣)

قال ابن عباس: وأتيت قوما لم أر قوما قط أشد اجتهاداً منهم مسهمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تُتْنَى عليهم فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول قلت: أخبروني ماذا نعمتم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً، قلت: ما هن؟ قالوا: أمّا إحداهنّ فإنّه حكّم الرّجال في أمر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (٤)

وما للرّجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة!!

قالوا: وأما الأخرى فإنّه قاتل ولم يسب ولم يغتم، فلئن كان الذي قاتل كفّاراً لقد حلّ سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم، قلت: هذه ثنتان فما الثالثة؟؟

قالوا: إنّه محا نفسه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا حسبنا

هذا!

(١) اقتضرت بهذه المناظرة لابن عباس مع الخوارج والدروس المستفادة منها كنماذج من الفهم الخاطئ للنصوص عند الخوارج .

(٢) عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقد كان قرشياً وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الزخرف أية ٥٨

(٤) سورة الأنعام أية ٥٧

فقلت لهم: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يُردُّ به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم .

فقلت: أمّا قولكم: حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد ردَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، في أرنب ونحوها من الصيد فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ (١)

فَنَشَدْتَكُمْ اللَّهُ :

أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟! وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يُصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢)

فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم . قال: وأمّا قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أممكم عائشة، ثم تستحلون منها ما يُستحل من غيرها؟! فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أممكم، ولئن قُلتم: ليست أمنا لقد كفرتم!!!

إن الله يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٣) فأنتم تدورون بين ضاللتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت أخرجت من هذه؟ قالوا نعم! وأمّا قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو (٤) وأبا سفيان بن حرب (١)، فقال

(١) سورة المائدة (٩٥) .

(٢) سورة النساء (٣٥)

(٣) سورة الأحزاب (٦)

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن شمس بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ابن غالب

أبو يزيد العامري القرشي، أحد خطباء قريش، له صحبة، أسلم يوم فتح مكة، تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣)/

رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين : اكتب يا علي ؛ هذا ما اصطاح عليه محمد رسول الله فقال المشركون: لا والله! لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أعلم أنني رسول الله، اكتب يا علي هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله، فو الله لرسول الله خير من علي وما أخرجه من النبوة حين محافسته .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : ( فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة ) (٢)

### الدروس المستفادة من الأثر:

#### ﴿ الدرس الأول ﴾

لقد أتى الخوارج من قبل فهمهم السقيم لنصوص الشرع ويرجع ضلالهم إلى أسباب أهمها:  
١- فهم النصوص ببدئ الرأي، وسطحية ساذجة، دون التأمل والتثبت من مقصد الشارع من النصوص، فوقعوا في تحريف النصوص وتأويلها عن معناها الصحيح.  
٢- أخذهم ببعض الأدلة دون بعض، فيأخذون بالنص الواحد ويحكمون على أساس فهمهم له دون أن يتعرفوا على باقي النصوص الشرعية في المسألة نفسها، فضربوا بعض النصوص ببعض وبهذا أسكتهم ابن عباس رضي الله عنه فقد كان يأتيهم بباقي الأدلة في الموضوع نفسه، فلا يجدون لذلك جواباً وسبب ضلال الخوارج هو سبب ضلال طوائف عديدة من المسلمين، يقول الشاطبي - رحمه الله - أن أصل الضلال راجع إلي (الجهل بمقاصد الشريعة، والتخصر على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم) (٣) .

#### ﴿ الدرس الثاني ﴾

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ابن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب ، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ، ويوم الخندق ، أسلم يوم الفتح ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ١٠٥) .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، كتاب قتال أهل البغي (٢/ ١٦٤) وقال «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» .

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٨٢) .

الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم، وتوحد صفهم وهذا ظاهر من موقف علي رضي الله تعالى عنه ابتداء حين جعل يأتيه الرجل فيقول يا أمير المؤمنين : إن القوم خارجون عليك فيقول : دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوا وسوف يفعلون فكان ﷺ حريصاً على أن لا يأتي إلى الخوارج بشيء من القتال ونحوه يفرق به المسلمين، ويضعف شوكتهم ما لم يخرجوا هم عليه أو يؤذوا المسلمين بيدعتهم . وهذا الأصل متمثل أيضاً في موقف ابن عباس -رضي الله عنهما - في حرصه على الخروج إليهم وانتدابه نفسه للتفاهم معهم، وتفنيد شبهتهم وإرجاعهم إلى الحق. فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون من الامتناع عما يضعف شوكتهم، ومن بذل الجهد في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم .

### ﴿الدرس الثالث﴾

إن وحدة المسلمين بمعناها الشرعي الصحيح، تعني أن يعودوا جميعاً إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح، هكذا وهكذا - فقط - يمكن أن نتحد، وهذا هو السبيل الوحيد لوحدة الصف، وهذا الذي سلكه ابن عباس وأقره عليه علي -رضي الله تعالى عنهما جميعاً- .

ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج حتى يعيدهم إلى الصف الإسلامي، فبين لهم أولاً وقبل أن يناظرهم المنهج الصحيح، فقال: ( أرأيت إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون ... ) إذن هو الكتاب والسنة والعودة إليهما، وقد كان صرح لهم قبل ذلك بالفهم الذي ينبغي أن نفيء إليه إذا اختلفت أفهامنا فقال: (جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهره، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله ) فما أنصع هذا المنهج . وما أشد وضوحه . الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح .

وبعد أن بين لهم المنهج شرع يدحض حججهم ، ويفند شبهتهم ويوضح فساد منهجهم فمن عاد منهم وتنازل عن معتقداته وآرائه، واعتقد اعتقاد جماعة المسلمين فقد عاد إلى الصف، ومن أبى وأصر على معتقده فهو خارج على الصف ولا سبيل للوحدة معه، بل عندما أثار بقية الخوارج الفتنة، قام إليهم علي ﷺ فقاتلهم ولم يتحرج في ذلك .

### ﴿الدرس الرابع﴾

الحكم في تقييم الرجال : إن أحوال الخوارج من كثرة العبادة والاجتهاد فيها غير خافية على أحد . وقال ابن عباس في وصفهم كما في هذا الأثر: (لم أر قط أشد اجتهاداً منهم أيديهم كأنها ثفن الإبل<sup>(١)</sup> ووجوههم معلمة من آثار السجود)<sup>(٢)</sup> ومع كل هذا فلقد أتوا ببدعة خطيرة، ووضعوا بذور الخلاف بين المسلمين وليس من مسلم سليم العقيدة إلا ويذكرهم في معرض الذم ، ولم يذكرهم العلماء في مصنفاتهم إلا للتحذير من بدعتهم وبيان فساد معتقدتهم دون أدنى فخر واعتزاز بعبادتهم .

إن المنهج الإسلامي الواضح، يدلنا على أنه يجب تقييم الرجال أولاً من منطلق معتقداتهم وتصوراتهم، وجميع السمات الأخرى إذا أقرها الشرع تأتي بعد ذلك لا قبله. فلو انطلقنا في الحكم على الخوارج من خلال شدة اجتهادهم في العبادة وجعلنا ذلك هو المقياس الأول في الحكم عليهم، لكان ينبغي أن نبجلهم ونحترمهم، فنرفع درجاتهم حتى فوق درجة الصحابة، إذ يقول الرسول ﷺ لصحابته في شأن الخوارج: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم) ولكن الأمر يختلف تماماً، ويعود إلى نصابه الصحيح، عندما يحكم عليهم خلال معتقداتهم وتصوراتهم فنرى أنهم قد ابتدعوا في دين الله بدعة خطيرة فاحشة، فوضعوا بذور الخلاف والفتنة.

إن الاعتقاد الصحيح، يليه العمل الصالح، هو الذي يُميز المسلم الحق المنتمي إلى أهل السنة والجماعة، أما كل الاعتبارات الأخرى فإنه يشترك فيها المسلم الحق مع غيره من أهل البدع والضلال. فلا ينبغي أن تكون معياراً أساسياً.

لقد شاع تعظيم بعض الرجال وتقديسهم على ما هو أقل من ذلك، مثل قدمه في مجال الدعوة، أو كثرة الأفراد الذين اهتموا على يديه، أو شدة التعذيب الذي لاقاه في السجن، أو أنه أمضى حياته في أرض الجهاد، ولا نعي بكلامنا أبداً أن مثل تلك الأعمال لا وزن لها، بل لها فضل عظيم إن صح الأصل الأول، وحتى لو لم يصح فنحن نعترف بالحق، وثبت الفضل لكل صاحب فضل، ولكن المحذور هو الانسياق وراء العواطف الجياشة بحب الله والجنة، فنعظم

(١) ثفن: مفردھا ( ثفنة) بكسر الفاء: وهي ما ولى الأرض من كل ذات أربع إذا برکت، كالركبتين وغيرهما ،

النهاية في غريب الحديث ١/٢١٥-٢١٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر ، باب : قتل الخوارج (٢٨٩/١٢).

الرجال وتحمس لهم، ونشهد بعدلهم وصدقهم ونزاهتهم، بل وكثيراً ما نسمع من يشهد لهم  
بالجنة!! لأجل اعتبار من تلك الاعترافات (١).

#### ﴿الدرس الخامس﴾

إن تبني الخوارج لموقفهم ابتداء لم يكن عن تثبت وتمحيص ونظر ولذلك فقد زالت شبهتهم،  
ودحضت حججهم بعد دقائق معدودة من بداية المناظرة، وإن كان القسم من الخوارج الذي  
فاؤوا إلى الحق يمدحون على ذلك لتجردهم وعودتهم إلى الجادة الصحيحة حينما تبين لهم ذلك  
دون ممارسة ولا ملاحظة، وإن كانوا يمدحون على ذلك فإنهم ينتقدون على سرعة تبنيهم للفكرة  
ابتداء دون تثبت وتمحيص. إن الذين لا يعتقدون الفكرة عن اقتناع عميق بالفكرة ذاتها، وبعد  
تثبت من أدلتها الشرعية الصحيحة بمنهج سليم، يكثر التثقل.

#### ﴿الدرس السادس﴾

إن مخالفة ابن عباس التامة للخوارج في جميع الأفكار والتصورات لم تمنعه من العدل في  
القول، فقد كان بمقدوره السكوت لكن العدل مع المخالفين جعله يصفهم بما وجد فيهم قال :  
(فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهاداً منهم في العبادة ) فعلى العاملين في حقول الدعوة إلى  
الله الاتصاف بالعدل مع مخالفيهم، وعدم الامتناع من ذكر محاسنهم، بل ويحرصوا على أن يستفيدوا  
منها (٢).

#### ﴿الدرس السابع﴾

ما كان هذا الدرس بحاجة إلى أن يذكر لظهوره ووضوحه وكثرة الأدلة عليه، لولا أن  
التفريط فيه قد وقع من كثير من العاملين للإسلام فضلاً عن عامة الناس، ألا وهو الحرص على  
صلاة الجماعة ولقد سمعنا حوادث عديدة عمن يفرطون في حضور الصلاة جماعة مع المسلمين  
في المساجد بحجة انشغالهم بطلب العلم، أو ببعض البحوث الهامة، أو أنه وإخوانه يتداولون أمراً  
يهم المسلمين فيعتذرون بذلك عن تفويتهم الجماعة فعلى هؤلاء وغيرهم، أن يتأملوا في حال  
ابن عباس، وقد انتدب نفسه لمهمة عظيمة، لا شك في أن فيها مصلحة للمسلمين، ومع

(١) انظر : مجلة البيان (٢٢/١٢) ، د/ معن عبد القادر ، بتصرف يسير ، المكتبة الشاملة .

(٢) انظر : مقال: (وإذا قلتم فاعدلوا) من مجلة البيان أعداد رقم ٥ ، ٦ .

ذلك فحرصه على صلاة الجماعة شديد إذ يقول لعلي عليه السلام (أبرد عن الصلاة، فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم).

### ﴿الدرس الثامن﴾

ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنهج الصحيح ألا يأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فهاهم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها (حتى أن عبد الرحمن بن ملجم<sup>(١)</sup> قد قتل علياً تقريباً إلى الله بقتله) ومع ذلك فقد عاد منهم كثير إلى الحق بعد أن تبين لهم، فلا ينبغي أن نياس من عودة تلك الطوائف المنحرفة إلى الحق، خاصة وأن كثيراً من المنتسبين إليها هم من الأتباع حجبهم مشايخهم و متبعوهم عن الاستماع للمخلصين خوف تذبذب موقفهم وتخليهم عنهم، فلم يصل الحق إلى كثير من الأتباع حتى تحصل لهم المقارنة بينه وبين ما هم عليه. فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على الوصول إلى الأتباع بعيداً عن المأل والمشايع والقادة هذا، ولا يزال في القصة دروس عظيمة، منها أسلوب المناظرة والجدل مع أهل البدع، ونشير في الختام إلى بعض الدروس الأخرى التي لا يتسع المقام للتفصيل فيها، ولعل في الإشارة إليها كفاية لأولي الألباب ففيها أن يتتدب الكفاء نفسه للمهام، وأن الإخلاص وحده لا يكفي في صحة العمل، وأن على الداعية أن يغشى الناس في مجالسهم، وعليه أن لا يستثار لانتقاد ذاته، وفيها أيضاً استذنان الفرد قائده إذا هم بفعل ما.<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير رحمه الله: ( وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم . وما أحسن ما قيل عن الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٣)</sup>

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمِ الْمُرَادِيِّ، المتوفى: ٤٠ هـ، قاتل علي عليه السلام، خارجيٌّ مُفْتَرٍ، ذكره ابن يونس في "تاريخ

مصر" فقال: شهد فتح مصر، واختطَّ بها مع الأشراف. تاريخ الإسلام ت بشار (٢/ ٣٧٣).

(٢) مجلة البيان (٢٢/١٢)، د/ معن عبد القادر، بتصرف يسير، المكتبة الشاملة.

(٣) سورة الكهف (١٠٣-١٠٤).

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس و يتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضربهم ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها ، فيوافوهم إليها ، ويكون اجتماعهم عليها ، قال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدرن عليها فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جونا ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يُفطن بكم . فكتبوا كتاباً عاماً إلى من هم على مذهبهم ومسلكتهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابة ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب والموبقات والعظائم والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته مادامت أرواحهم في أجسادهم وقد تدارك جماعة منهم بعض أولادهم وقرابتهم وإخوانهم فردوهم ووجوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك ، فلحق بالخوارج فحسر إلى يوم القيامة ، وذهب الباقيون إلى ذلك الموضع ، ووافق إليهم كاتبوه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جندٌ مستقلون وفيهم شجاعةٌ وثباتٌ وصبرٌ وعندهم أنهم متقربون بذلك إلى الله ﷻ ، فهم قومٌ لا يصطلى لهم بنارٍ ولا يطمع أحدٌ أن يأخذ منهم بثأراً والله المستعان. (١)

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ، خروج الخوارج من الكوفة ، (٣١٧/٧) .



# المبحث الثاني

## ظهور الشيعة

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشيعة وبداية ظهورهم .

المطلب الثاني : مصادر التلقي عند الشيعة .

المطلب الثالث : موقف الشيعة من الصحابة .

المطلب الرابع : بعض عقائد الشيعة .

المطلب الخامس : نماذج من الفهم الخاطئ عند الشيعة وتأويلاتهم

الباطلة .

## المبحث الثاني

### ظهور الشيعة

#### المطلب الأول : تعريف الشيعة وبداية ظهورهم

**أولاً : تعريف الشيعة لغة :** أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة. قال الأزهري<sup>(١)</sup>: (والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة)<sup>(٢)</sup>. وقال الزبيدي: (كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة)<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>

#### ثانياً : التعريف في الاصطلاح :

يعرف الإمام الشهرستاني الشيعة فيقول: (الشيعة هم الذين شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً، وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيّة من عنده وقالوا: "ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة" وينتصب الإمام بنصيبهم، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب،

(١) العلامة أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٢ / ٣٢٨) .

(٢) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (٤٠/٣) .

(٣) تاج العروس (٤٠٥/٥) .

(٤) القصص : (١٥) .

وثبت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك<sup>(١)</sup> ويعتبر من أكثر التعاريف شمولاً لعقائد الشيعة .

### ثالثاً : بداية ظهور التشيع :

ولقد اضطرت آراء القوم أنفسهم في بدء نشأة التشيع وتكوينه حيث قال إمام الشيعة في الفرق النوبختي أن نشأته لم تكن إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أول من ابتدع الرفض، وكان منافقاً زنديقاً يقال له عبد الله بن سبأ، فأراد بذلك فساد دين المسلمين، كما فعل بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم، وكان يهودياً فأظهر النصرانية نفاقاً لقصد إفسادها، وكذلك كان ابن سبأ يهودياً ففسد ذلك وسعى في الفتنة، لقصد إفساد الملّة، فلم يتمكن، لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة قتل فيها عثمان - رضي الله عنه -، وجرى ما جرى من الفتنة، ولم يجمع الله - ولله الحمد - هذه الأمة على ضلالة، بل لا تزال فيها طائفة قائمة بالحق لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها حتى تقوم الساعة<sup>(٣)</sup> .



(١) الملل والنحل، للشهرستاني : (١٤٦/١ - ١٤٧) .

(٢) الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ ، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) ، إدارة ترجمان السنة،

لاهور - باكستان ، الطبعة: العاشرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، (٢٤/١) .

(٣) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية (٧٠/١ - ٧١) .

## المطلب الثاني

### مصادر التلقي عند الشيعة

مصادر التلقي عندهم أربعة: كتاب، وخبر، وإجماع، وعقل.

**أولاً: الكتاب:** أما (الكتاب) فهو القرآن المنزل الذي لم يبق حقيقةً بأن يستدل به بزعمهم الفاسد، لأنه لا اعتماد على كونه قرآناً إلا إذا أخذ بواسطة الإمام المعصوم، وأنه لا يليق الاستدلال به لوجهين:

الأول: لما روى جماعة من الإمامية عن أئمتهم أن القرآن المنزل وقع فيه تحريف في كلماته عن مواضعها، بل أسقط منه بعض السور وترتيبه هذا أيضاً غير معتدّ لكونه متغيراً عن أصله<sup>(١)</sup>، وما هو موجود الآن في أيدي المؤمنين هو مصحف عثمان الذي كتبه وأرسل منه سبع نسخ إلى أطراف العالم وألجأ الناس على قبوله وقراءته على ما رتبته وآذى من خالف ذلك، فلا يصح التمسك به .

الثاني: أن نقلة هذا القرآن مثل ناقلي التوراة والإنجيل، لأن بعضهم كانوا منافقين كالصحابة العظام والعياذ بالله تعالى، وبعضهم كانوا مدهنين في الدين كعوام الصحابة فإنهم تبعوا رؤساءهم أي بزعمهم طمعاً في زخارف الدنيا، فارتدوا عن الدين كلهم إلا أربعة أو ستة<sup>(٢)</sup> فغيروا خطاب الله تعالى، فجعلوا مثلاً مكان (من المرافق) إلى المرافق<sup>(٣)</sup> و مكان (أئمة هي أزكى) ﴿ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾<sup>(٤)</sup> . فكما أن التوراة والإنجيل لا يُعمل بهما أصلاً فكذلك هذا القرآن، وكما أن التوراة والإنجيل نُسخا بالقرآن المجيد فكذلك القرآن نُسخت أشياء كثيرة منه<sup>(٥)</sup> .

### ثانياً: الخبر:

أما أقسام أخبارهم فاعلم أن أصولهم عندهم أربعة: صحيح وحسن وموثق وضعيف :

(١) ولكن قاموا بطباعة بعض المصاحف في إيران الآن مثل مصاحف أهل السنة استخداماً للتقية ، وتلبساً على

العوام واقتصرُوا في ظاهرهم على تحريف كلام الله بالتأويلات الفاسدة .

(٢) انظر الكافي (٢/٢٤٤) ، تأويل الآيات (١/١٢٣) ، بحار الأنوار (٢٢/٣٣٣) ، (٣٥٢) .

(٣) سورة المائدة : (٦) .

(٤) سورة النحل : (٩٢) .

(٥) انظر : أخبار الشيعة وأحوال رواتها ، لحمود شكر الألويسي ، تحقيق : محمد مال الله (٢٧) .

- أما الصحيح: فهو ما اتصلت روايته إلى المعصوم بعدل إمامي، فيدخل فيه ما اعتراه إرسال وقطع. وزاد بعض المتأخرين أن يكون الاتصال بالعدل المذكور في جميع الطبقات، ولكن اعترف بإطلاق الصحيح على ما كان رجال طريقه عدولا إمامية، ويطلقون الصحيح أيضا على ما كان بعض رجاله من لا يعلم حاله، وعلى ما رواه من يكذب بعض الأئمة في دعوى الإمامة، ومن ينكر إمامة الإمام الحق ويقول بإمامة غيره، ويطلقونه أيضا على خبر من دعا عليه المعصوم بالشر لفساد عقيدته، أو شهد عليه بظلال مذهبه، أو أظهر البراءة منه، وعلى خبر من اشتهر بالكذب واعترف به، أو لم ينته عما نهاه عنه إمامه، أو خالف الأئمة في العقيدة .

#### - وأما "الحسن"

ما اتصلت روايته إلى معصوم بإمامي ممدوح، من غير نص على عدالته، سواء أكان جميع رواة طريقه ممدوحا أو بعضها، بأن كان أحدهم إماميا ممدوحا، والباقي من الطريق رجاله رجال الصحيح، وهذا التعريف أيضا غير مانع؛ لأنه صادق على ما لحقه إرسال أو قطع، وزاد فيه بعض المتأخرين منهم ما زاد في الصحيح، ولكنه اعترف بإطلاق الحسن على المرسل والمقطوع، فزيادة هذا القيد في التعريفين مما لا طائل تحتها، بل إن هذا القيد مضر، حيث صار التعريف بسببه غير جامع ويطلقون الحسن أيضا على ما كان بعض رجاله من المستورين ولم يعرف بقادح ولا مادح .

- وأما (الموثق) ويُقال له: (القوي) أيضا، وهو ما دخل في طريقه من نص على توثيقه مع فساد عقيدته، ولم يشتمل باقي الطريق على ضعف. وقد أطلقوا الموثق على الضعيف، وقد يطلق أيضا على ما رواه إمامي غير ممدوح ولا مذموم<sup>(١)</sup>.

- وأما (الضعيف) فكل ما اشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه أو مجهول الحال .

(١) انظر: السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة، وهو: مختصر لكتاب (الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة)، مؤلف الأصل: نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (١/٢٦٧)، بتصرف .

وعندهم إن ناقل الخبر إما من الشيعة أو غيرهم، ولا اعتبار لغيرهم أصلاً، لأن الصدر الأول من غيرهم الذي هو منتهى الأسانيد كانوا مرتدين ومحرفين كتاب الله تعالى ومعادين أهل بيت النبوة. فلا بد أن يكون من الشيعة، وبين الشيعة اختلاف كثير في أصل الإمامة وتعيين الأئمة وعددهم، ولا يمكن إثبات قول من أقوالهم إلا بالخبر، لأن كتاب الله تعالى لا اعتماد عليه<sup>(١)</sup>.

**ثانياً : الإجماع :** وأما (الإجماع) فباطل أيضاً، لأن كونه حجة ليس بالأصالة بل لكون قول المعصوم في ضمنه، فمدار حجّيته على قول المعصوم لا على نفس الإجماع، وثبوت عصمة الإمام وتعيينه إما بخبره أو بخبر معصوم آخر، فقد جاء الدور الصريح أيضاً. وأيضاً إجماع الصدر الأول والثاني - يعني قبل حدوث الاختلاف في الأمة - غير معتبر، لأنهم أجمعوا على خلافة أبي بكر<sup>(٢)</sup> وعمر، وحرمة المتعة، وتحريف الكتاب، ومنع ميراث النبي ﷺ، وغضب فداك من البتول<sup>(٣)</sup>. وبعد حدوث الاختلاف في الأمة وتفرّقهم بفرق مختلفة كيف يتصور الإجماع، ولا سيما في المسائل الخلافية المحتاجة إلى الاستدلال وإقامة الحجة القاطعة؟

**رابعاً : العقل :** وأما (العقل) فهو باطل أيضاً لأن التمسك به إما في الشرعيات أو غيرها، فإن كان في الشرعيات فلا يصح التمسك به عند هذه الفرقة أصلاً، لأنهم منكرون أصل القياس ولا يقولون بحجّيته.

وأما في غير الشرعيات فيتوقف العقل على تجريده عن شوائب الوهم والإلف والعادة والاحتراز عن الخطأ في الترتيب والفكر في صورة الأشكال، وهذه الأمور لا تحصل إلا بإرشاد إمام، لأن كل فرقة من طوائف بني آدم يشبّون بعقولهم أشياء وينكرون أشياء أخرى، وهم

(١) انظر : أخبار الشيعة وأحوال رواتها ، لعمود شكري الألوسي ، تحقيق وتعليق : محمد مال الله (٢٧) .  
 (٢) عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، خليفة رسول الله ﷺ ، أمه أم الخير ، سلمى بنت صخر . ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . كان أول من آمن من الرجال ، لقب بعتيق . أنفق أمواله على النبي ﷺ وفي سبيل الله ، انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير ، تحقيق : علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، (٣/٣١٠) ، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/١٠) .

(٣) شبهات حول الصحابة والرد عليها - أبو بكر الصديق ، ص ١٤٨ وما بعدها .

متخالفون فيما بينهم بالأصول والفروع، ولا يمكن الترجيح بالعقل فقط، فالتمسك إذن بقول الإمام، ومع ذلك لا يمكن إثبات الأمور الدينية بالعقل الصرف لأنه عاجز عن معرفتها تفصيلاً بالإجماع. نعم يمكنه معرفتها إذا كان مستمداً من الشريعة. وهاهنا فائدة جليلة لها مناسبة مع هذا المقام، وهي أن رسول الله ﷺ قال: « يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث ثابت عند الفريقين أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أن رسول الله ﷺ أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين الثقلين العظيمي القدر، والرجوع إليهما في كل أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً في الأمور الشرعية اعتقاداً وعملاً فهو ضال، مذهبه باطل وفساد لا يُعبأ به، ومن جحد بهما فقد غوى، ووقع في مهاوي الردى. وليس المتمسك بهذين الحبلين المتينين إلا أهل السنة، لأن كتاب الله ساقط عند الشيعة عن درجة الاعتبار كما سبق بيانه قريباً.

وأما العترة الشريفة فهي بإجماع أهل اللغة تُقال لأقارب الرجل، والشيعة ينكرون نسبة بعض العترة كرقية وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، ولا يعدون بعضهم داخلياً في العترة كالعباس عم رسول الله ﷺ وأولاده وكالزبير بن صفية عمه الرسول ﷺ بل ويغضون أكثر أولاد فاطمة - رضي الله تعالى عنهم - ويسبونهم<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من الأمور الشنيعة التي يعتقدونها في حق العترة الطاهرة، نعوذ بالله من جميع ذلك، ونبرأ إليه جلّ شأنه من سلوك هاتيك المسالك<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ برقم (٣٧٨٦)، المعجم الكبير، لسليمان ابن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية (٢٦٨٠)، ح، بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (١٧٦١).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية، ألف أصله باللغة الفارسية: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية: (سنة ١٢٢٧ هـ) الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١ هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ، (١/٥٣).

(٣) انظر: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، لمحمود شكر الألوسي، تحقيق: محمد مال الله (٤٧).



## المطلب الثالث

### موقف الشيعة من الصحابة

الشيعة الذين يزعمون أنهم أتباع أهل البيت والمحبون الموالون لهم، هم في الأصل أبناء الجحوس واليهود، اجتمعوا ناقمين حاقدين على أصحاب رسول الله ﷺ ، وتقنعوا بقناع الحب لآل البيت - وآل البيت منهم براء - وسلّوا سيوف أقلامهم وألستهم ضد أولئك المجاهدين المحسنين رفاق رسول الله ﷺ ، وناقمين على فتوحاتهم الجبارة الكثيرة التي أرغمت أنوف أسلافهم.

تقوم عقيدة الشيعة ومنهم الإمامية على القول بردة الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة وما دونهم فهم مرتدون ، خائنون ظلموا أمير المؤمنين علياً وهضموه حقه<sup>(١)</sup>.

يروى الكشي عن أبي جعفر : (كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup> ، وأبو ذر الغفاري<sup>(٣)</sup> ، وسلمان الفارسي<sup>(٤)</sup>)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام ، ربيع بن محمد السعودي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، (٨٩) .  
(٢) المقداد بن الأسود الكندي ، المقداد بن عمرو بن ثعلبة صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين ، شهد بدرًا والمشاهد. وثبت أنه كان يوم بدر فارسا ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/١٢٥) .

(٣) جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ، أحد السابقين الأولين، يقال: كان خامسًا في الإسلام، ثم انصرف إلى بلاد قومه، وأقام بها بأمر النبي ﷺ ، ثم لما هاجر النبي ﷺ هاجر أبو ذر إلى المدينة، تاريخ الإسلام ت بشار (٢/٢١٨) .  
(٤) سلمان الفارسي ويكنى أبا عبد الله ، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكان قبل ذلك يقرأ الكتب ويطلب الدين ، وكان عبدا لقوم من بني قريظة فكاتبهم فأدى رسول الله ﷺ كتابته ، وعتق وهو إلى بني هاشم وأول مشاهده الخندق، وقد كان نزل الكوفة وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان، من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم، الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١٦/٦) ، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/١٥٣) .

(٥) كتاب مفتاح الجنان : (١١٤) ، نقلًا عن كتاب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٨٩) .

وفي كتاب تنقيح المقال في أحوال الرجال ، لشيخ الطائفة الجعفرية ، آية الله المقاني ، وهذا الكتاب يقرأ في المجالس وعند المشاهد والحسينيات وهو من أكبر كتب الجرح والتعديل عند الإمامية الإثني عشرية يقول فيه : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاقوتيهما وابتتيهما ، يريدون بابتتيهما أم المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما (١) .

ولسائل أن يسأل هؤلاء الأشقياء وأين ذهب أهل بيت النبي بما فيهم العباس عم النبي، وابن عباس ابن عمه، وعقيل أخ لعلي، وحتى علي نفسه، والحسنان سبطا رسول الله؟ (٢)

ويقول علامتهم محمد الباقر في كتاب حق اليقين بالفارسية ، وترجمته ( وعقيدتنا الشيعة في التبرؤ من الأصنام الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية والنساء الأربع عائشة وحفصة وهند وأم الحكم ، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض ، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم ) (٣) .

فأي عقيدة هذه التي تنطوي قلوب أصحابها ويطبق القدماء منهم والمحدثون على سب سلف الأمة ، إنها صورة مشوهة للغدر والجفاء وإخفاء الحق .

أي عقيدة هذه التي تُجرد سلف الأمة من الإيمان ، وتحكم على هذه الأمة المؤلفة من الصحب الكرام بالكفر ، وتقذف أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات وتسب أتباع النبي ﷺ بأحط الألفاظ ، وأقذع الشتائم ثم تتمسح بحب آل بيت النبي ﷺ ؟

(١) انظر : الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الاسلام (٨٩) .

(٢) انظر : الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، (٤٤) بتصرف .

(٣) حق اليقين ، للعلامة محمد الباقر المجلسي ، (٥١٩) ، نقلا عن كتاب : الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام (٩١) .

وهل سمع التاريخ عن قوم يقعون في أعراض أزواج نبيهم ثم يدعون الإنتساب إلى ملته ؟ إنه والله هو القبح الصريح<sup>(١)</sup>.

ونسي هؤلاء أن الأخبار كثرت وتواترت عن الله ورسوله في تزكية هذا الجيل الفريد وبيان فضائله وأن الله اختارهم واصطافهم لصحبة نبيه ﷺ فقد أثنى الله ﷻ عليهم في مواضع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك أثنى عليهم النبي ﷺ بقوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»<sup>(٣)</sup>

وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة النبي ﷺ فقال: «وندين الله بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونثني عليهم بما أثنى الله عليهم ونتولاهم .

ونقول: إن الإمام بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين، وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله للصلاة؛ ثم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -؛ ثم عثمان بن عفان نصر الله وجهه، قتله قاتلوه ظلما وعدوانا، ثم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -؛ فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله، وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله، ونتولى أصحاب النبي، ونكف عما شجر بينهم، وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلا لا يوازهم في الفضل غيرهم»<sup>(٤)</sup>.



(١) انظر: الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام، لربيع السعودي (٩١-٩٢).

(٢) سورة التوبة: (١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي، باب فضائل أصحاب النبي (٣/٥) برقم (٣٦٥١)، ومسلم،

كتاب: فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٤/١٩٦٣) برقم (٢٥٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (٦/٦٥٨).

## المطلب الرابع

### بعض عقائد الشيعة

١ - عقيدة البداء لله تعالى : يطلق البداء في اللغة على معنيين :

المعنى الأول : ( الظهور بعد الخفاء ) .

يقال : بدا الشيء بُدوًّا أي : ظهر ظهوراً بيناً . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> أي ظهر لهم من الله العذاب ما لم يكن في حسابهم .

المعنى الثاني : ( تغير الرأي عما كان عليه ) .

قال ابن فارس<sup>(٢)</sup> : ( تقول بدا لي في هذا الأمر بداءً : أي تغير رأبي عما كان عليه ) .

وقال الجوهري<sup>(٣)</sup> : ( بدا له في الأمر بداءً أي : نشأ له فيه رأي ) .

والبداء بمعنييه المتقدمين غير جائز على الله تعالى ؛ لأنه يستلزم الجهل بالعواقب ، وحدوث العلم ، والله تعالى متزه عن ذلك .

قال ابن الأثير<sup>(٤)</sup> : ( البداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله غير جائز )<sup>(٥)</sup> .

والرافضة يجيزون البداء على الله تعالى ، بل لهم في ذلك مبالغات عظيمة تفوق حد الوصف ، حتى أصبحت هذه العقيدة الفاسدة من أقوى العقائد عندهم ، جاء في الكافي الذي يعد من أصح الأصول عندهم تحت باب (البداء) من كتاب التوحيد عن زرارة بن أعين عن بعض

(١) سورة الزمر : (٤٧) .

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة ، وفيات الأعيان (١ / ١١٨) .

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغوي، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، الأعلام للزركلي (١ / ٣١٣) .

(٤) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الحزري، ثم الموصلي، المتوفى: ٦٠٦ هـ ، الكاتب البليغ، مصنف " جامع الأصول " ، ومصنف " غريب الحديث " ، وغير ذلك. تاريخ الإسلام ت بشار (١٣ / ١٤٦) .

(٥) انظر : لسان العرب لابن منظور (٦٦ / ١٤) .

الأئمة : ( ما عبد الله بشيء مثل البداء ) . وفيه عن أبي عبد الله : ( ما عَظَّمَ اللهُ بِمِثْلِ الْبِدَاءِ )<sup>(١)</sup> .  
 وعنه أيضاً : ( لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه )<sup>(٢)</sup> .  
 وعقيدة البداء هي محل إجماع الرافضة ، كما نقل إجماعهم عليها إمامهم المفيد وصرح  
 بمخالفة الرافضة فيها لسائر الفرق الإسلامية . يقول : ( واتفقوا - أي الإمامية - على إطلاق  
 لفظ البداء في وصف الله تعالى ، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس ... وأجمعت  
 المعتزلة ، والخوارج ، والزيدية ، والمرجئة ، وأصحاب الحديث ، على خلاف الإمامية ) .  
 والبداء عند الرافضة من أعظم ما شنع به الناس عليهم ، ولذا حاول بعضهم التخلص من  
 هذه الفضيحة بتأول معنى البداء على الله بأنه لا يستلزم الجهل ، وأنه نسخ في التكوين كالنسخ  
 في التشريع .<sup>(٣)</sup>

## ٢ - الإمامة :

للشيعة الإمامية في الإمام اعتقاد خاص يخالف ما عليه جمهور المسلمين إذ يعتقدون أن  
 الإمامة ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة والشهادتين، وهي عندهم أمر عينه النبي ﷺ  
 نصاً وتعييناً، وللأئمة عندهم منزلة قد تصل إلى مرتبة الأنبياء، وقد وصل بالشيعة الأمر أن  
 يكفروا من لم يقر بأمر الإمامة، فهم يعتبرون الإمامة أصلاً من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا  
 بالاعتقاد بها<sup>(٤)</sup> .

واتفقوا على انه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل  
 الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والاحبار والمعقولات واتفقوا على انه المتصدي لهذا  
 الأمر وان ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع إذ يكون فيه إهمال  
 الحق وتغطيته على الخلق وإبطال قوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع الا سببي

(١) الكافي (١/١١١) .

(٢) الكافي (١/١١٥) .

(٣) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، لإبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي، مكتبة العلوم  
 والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (١/٤١) .

(٤) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ، المؤلف: علي أحمد السالوس، دار الثقافة - الدوحة ، ١٤٠٥ -  
 ١٩٨٥ ، (٢٨) .

ونسبي وقوله ألم أترك فيكم القرآن وعترتي واتفقوا على أن الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الامور الا انه لا يتزل اليه الوحي<sup>(١)</sup>.

يقول الكليني: القرآن لا يكون حجة إلا بقيم وإن علياً كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، كان الحجة على الناس بعد رسول الله<sup>(٢)</sup>. ومعنى ذلك: أن النص القرآني لا يكون حجة إلا بالرجوع للإمام، ولذلك سمو الإمام بالقرآن الناطق، والقرآن بالقرآن الصامت، ويروون عن علي رضي الله عنه: أنا كتاب الله الناطق<sup>(٣)</sup>.

وتكون الإمامة بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور الهامة التي لا يجوز أن يفارق النبي ﷺ الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأياً بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه والمعول عليه.

\* يستدلون بذلك بأن النبي ﷺ قد نص على إمامة علي من بعده نصاً ظاهراً يوم غدِير خم<sup>(٤)</sup>، وذلك ليس بصحيح ولكن الصحيح أن النبي ﷺ أوصى آل بيته خيراً، وأوصى بالتمسك بكتاب الله، كما ورد ذلك في صحيح مسلم من حديث يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم، إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يزيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه لقد لقيت، يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر،

(١) انظر: فضائح الباطنية (٤٣/١).

(٢) أصول الكافي، للكليني، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة: الاولى، ٢٠٠٥، (١/٧٨).

(٣) أصول الكافي، للكليني، (١/٦١).

(٤) خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة، معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ—)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، (٣٨٩/٢).

ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكر كم الله في أهل بيتي، أذكر كم الله في أهل بيتي، أذكر كم الله في أهل بيتي؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيتي؟ قال: نساؤه من أهل بيتي، ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم<sup>(١)</sup>.  
\* ويزعمون أن علياً قد نص على ولاية الحسن والحسين . وهكذا فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه ويسموهم الأوصياء .

٣- العصمة : وهي عندهم تعني أن الإمام معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لا يزل عن الفتيا ولا يخطئ في الجواب ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا<sup>(٢)</sup>. وهذا هو رأي الشيعة بالنبي أيضاً ويسون الإمام به حيث يقولون: ( ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل ما ظهر منها وما بطن كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي )<sup>(٣)</sup>.

٤- العلم اللدني : كل إمام من الأئمة أودع العلم من لدن الرسول ﷺ بما يكمل الشريعة ، وهو يملك علماً لدنياً ولا يوجد بينه وبين النبي ﷺ من فرق سوى أنه لا يوحى إليه ، وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليعينوا للناس ما يقتضيه زمانهم .

٥- خوارق العادات : يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام ، ويسمون ذلك معجزة وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الأئمة السابق عليه وجب أن يكون غياث الإمامة في هذه الحالة بالخارقة .

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب برقم : (٢٤٠٨) ، (١٨٧٣/٤) .

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري ، دار الحديث ، الطبعة الأولى (١٧٤/١) .

(٣) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر ، شبكة الفكر ، (٥١) .

٦- الغيبة : يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً ، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه ، كما زعموا وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى ، وهذا من أساطيرهم.

٧- الرجعة : يعتقدون أن محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقف بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد قدموا مركباً ، فيهتفون باسمه ، ويدعون له للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثم ينصرفون ويرجعون الأمر إلى الليلة التالية. ويقولون بأنه حين عودته سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة ، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الموات .

قال الألويسي: « والعجيب أن هؤلاء الكاذبين مختلفون بينهم في هذا الكذب أيضاً»<sup>(١)</sup> وقد قرروا في عقائدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليّ والحسن والحسين وبقية الأئمة سيرجعون. وفي المقابل يرجع أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ويزيد وابن ذي الجوشن، وكل من آذى أهل البيت بزعمهم.

كل هؤلاء سيرجعون إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة عند رجوع المهدي إلى الظهور - كما قرره لهم عدو الله ابن سبأ- يرجعون ليتم عقابهم كما آذوا أهل البيت واعتدوا عليهم ومنعواهم حقوقهم، فينالهم العقاب الشديد ثم يموتون جميعاً، ثم يحيون يوم القيامة للجزاء الأخير مرة أخرى<sup>(٢)</sup>.

٨- النقية :

(١) انظر : مختصر التحفة الأثني عشرية (٢٠١) .

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنوية على الإنترنت dorar.net ، المطلب الثالث ، رجعة المهدي ومتى تتم (٦/٩٦) .

والتقية في مفهوم الشيعة معناها: أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن، أي أن معناها: النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطر المكره<sup>(١)</sup>. وقد ذمهم في هذا الموقف بعض علمائهم الذين يجبون الإنصاف، فهذا الدكتور موسى الموسوي يقول ( لقد أراد بعض علمائنا - رحمهم الله - أن يدافعوا عن التقية، ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة وأملتتها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى إطلاقاً، إنها تعني أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر، أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق وأنت لا تعتقد به، ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك )<sup>(٢)</sup>

ونجد مصداق هذا في أصح الكتب عندهم حيث يروي الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: (خالطوهم بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية)<sup>(٣)</sup>.

وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>(٤)</sup> وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله : ( التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له ) وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير .

٩- المتعة : فمن أكاذيبهم الشيعة الخبيثة عليه ﷺ ما ينسبونه إليه زوراً وبهتاناً أنه قال: من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع<sup>(٥)</sup>

وأقبح منه وأشنع ما افتروا عليه بأنه قال عليه الصلاة والسلام: من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار<sup>(٦)</sup>

(١) انظر : الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، لحب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، تقديم: محمد نصيف، (٧) ، والشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية (٨٦) ، والشيعة وتحريف القرآن ، لمحمد مال الله (٣٦) .

(٢) انظر : الشيعة والتصحيح - الصراع بين الشيعة والتشيع ، ل: د موسى الموسوي رحمه الله، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، باب : التقية (٥٢/١) .

(٣) الكافي ، للكليني (١٧٥/٢) .

(٤) سورة آل عمران (٢٨) .

(٥) تفسير منهج الصادقين" للملا فتح الله الكاشاني - فارسي (٤٨٩/٢) .

(٦) تفسير منهج الصادقين(٤٩٢) نقلاً من "حضرة من خصه الله باللطف الأبدي، خاتم مجتهدي الإمامية بالتوفيق السرمدي، الغريق في بحار رحمة الله الملك الشيخ علي بن عبد العالي رَوَّحَ اللهُ روحه" في رسالته في باب المتعة .

فانظر إلى القوم ما أقبحهم وأكذب بهم، وما ألعنهم وأبعد بهم من الشريعة الإسلامية الغراء، وتعاليمها النقية البيضاء، وما أجرأهم على الملدات والشهوات التي أصبغوا عليها صبغة الدين والشريعة، وما أشجعهم على الافتراء على رسول الله الصادق الأمين، الناهي عن المنكرات، والمحترز المجتنب عن السيئات؟<sup>(١)</sup>

١٠- البراءة : إنهم يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم - كما يزعمون- اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال ، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن ، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة ك .  
فيقولون و « عمر كان يعرف بأنه كافر ومناقق، وعدو لأهل البيت وفي عنقه وزر جميع الشهداء»<sup>(٢)</sup>

ويقولون أيضاً « وأما ما ذكر في الكتب المبسوطة من دناءة نسب عمر وحسبه، وكونه ولد الزنا فلا يسعه هذا المختصر»<sup>(٣)</sup> ويقولون في ذي النورين عليه السلام مثل ما قالوه في الصديق والفاروق رضي الله عنهما : « إن كبار الصحابة اتفقوا على تفسيقه وتكفيره وكان حذيفة يقول: الحمد لله، لا أشك في كفر عثمان، أما الذي أشك فيه هو هل كان قاتله من الكفار قتل كافراً، أم كان مؤمناً قد زاد إيمانه من جميع المؤمنين، وأيضاً إن الذي يعتقد في عثمان بأنه قتل مظلوماً يكون ذنبه أشد من ذنب الذين عبدوا العجل»<sup>(٤)</sup> .

١١- المغالاة : بعضهم غالى في شخصية علي عليه السلام ، والمغالون من الشيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية ، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فترل على محمد عليه السلام بدلاً من أن يترل على علي لأن علياً يشبه النبي عليه السلام كما يشبه الغراب الغراب ولذلك سمو بالغرابية .  
والشيعة قد غالوا أيضاً في أئمتهم حتى رفعوهم فوق البشر، و أطلقوا عليهم من الصفات التي لا تليق لأحد من البشر، بل هي مما اختص به رب العالمين دون سائر المخلوقين سبحانه وتعالى،

(١) الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير (٢١٧/١) .

(٢) حق اليقين، للمجلسي (٢٢٣) .

(٣) حق اليقين، للمجلسي ، (٢٥٩) .

(٤) حق اليقين ، للمجلسي ، (٢٧٠) .

ومن هذه الصفات التي يطلقونها على أئمتهم ادعائهم أنهم يعلمون الغيب، وأنهم لا يخفى عليهم شيء في السماوات ولا في الأرض، وأنهم يعلمون ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة عياداً بالله تعالى من هذا الكفر .

فقد نسبوا إلى الصادق عليه السلام أنه قال: « والله لقد أعطينا علم الأولين والآخريين - يعني الأئمة - فقال له رجل من أصحابه: جعلت فداك أعندكم علم الغيب فقال له ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ويحكم وسعوا صدوركم، ولتبصر أعينكم، ولتعي قلوبكم، فنحن حجة الله تعالى في خلقه » <sup>(١)</sup> .

١٢ - عقيدة الفداء : قال عمر بن يزيد <sup>(٢)</sup> : قلت لأبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ <sup>(٣)</sup> قال : ما كان له ذنب ولا هم بذنب ولكن حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له <sup>(٤)</sup> .

١٣ - عيد غدِير خم : وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونونه بالعيد الأكبر وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة ، وهو اليوم الذي يدعون فيه بأن النبي قد أوصى فيه بالخلافة لعلي من بعده.

يعظمون عيد النيروز وهو من أعياد الفرس ، وبعضهم يقول غسل يوم النيروز سنة . لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقب لقبوا به (أبا لؤلؤة الجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه <sup>(٥)</sup> يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في

(١) كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي (٢٦/٢٧) .

(٢) عمر بن يزيد النصري ، شامي ، حدث عن الزهري ، قال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، (٣/٢٣١).

(٣) سورة الفتح (٢) .

(٤) بحار الأنوار : (١٧/٧٦) .

(٥) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/٦٩٠)، و (١/٩٧)، بتصرف .

العشر الأول من المحرم معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله تعالى وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم ،  
ومن يزورهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم فسيرى من ذلك العجب العجاب .  
(١)



---

(١) الشيعة هم العدو فاحذرهم ، لشحاتة محمد صقر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)، (٩٨/١) ، بتصرف .

## المطلب الخامس

### نماذج من الفهم الخاطئ عند الشيعة وتأويلاتهم الباطلة .

انحرف الشيعة في القرآن، وقالوا إنه بُدِّل وحُرِّف انحرَفوا في تأويله وتفسيره؛ حيث تضمنت كتب التفسير عند الشيعة - والتي يزعمون تلقيها عن آل البيت - تأويلاتٍ باطنيةً لآيات القرآن، وتلك التأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بالسياق القرآني، ولا بمفهوم اللغة العربية.

ومن العجيب أن تُسند هذه الأكاذيب إلى آل البيت، ويُسند معظمها إلى جعفر الصادق - رحمه الله - .

وهي في حقيقة الأمر طعن مُبطن في الآل، كما أنها إلحاد في آيات الله، وصد عن سبيله، ولكنهم أسندوها لآل البيت؛ لينخدع بها الأغرار<sup>(١)</sup>

وهذه التأويلات مدونة في تفاسيرهم المعتبرة عندهم، كتفسير القمي، وتفسير العياشي، وتفسير البرهان، وتفسير الصافي، كما أن كتبهم في الحديث قد أخذت من تلكم التأويلات بقسط وافر، وعلى رأسها أصول الكافي للكليني، والبحار للمجلسي، وغيرهما.

ويرى بعض الباحثين أن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في التفسير هو تفسير القرآن

الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة جابر الجعفي (ت ١٢٨هـ)

فكان هذا نواةً لتفسير شيعي سرعان ما اتسع وأغرق في باطنيته<sup>(٢)</sup>

وفيما يلي من أسطر أمثلة وشواهد لبعض تلك التأويلات<sup>(٣)</sup>

١- ما ورد في كتاب الله من آيات تتحدث عن القرآن يفسرونها بالأئمة:

فقوله ﷺ ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾<sup>(١)</sup> يقولون: "النور: نور الأئمة."

والصحيح أن النور هنا مقصود به القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، لناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ، باب: انحرافهم في تأويل القرآن (١/٢١٤) .  
(٢) انظر مسألة التقريب، باب: أول من وضع الأساس في التفسير (١/٢١٥) .  
(٣) انظر منهاج السنة، لابن تيمية (٧/٢٤٤-٢٩٦)، ومسألة التقريب ١/٢١٤-٢٤٦، وأصول مذهب الشيعة ١/١٥٠-١٩٩.

ويفسرون قوله ﷺ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٣)</sup> بقولهم: يهدي إلى الإمام، وليس كما زعموا ، يقول الطبري وابن كثير في تفسيرهما ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي يهدي لدين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام فإنه أقوم الطرق وأوضح السبل<sup>(٤)</sup>.

٢- يفسرون ما ورد في الآيات من لفظ النور ونحوه بالأئمة بلا أدنى دلالة.

يروى الكليني عن أبي عبد الله - جعفر الصادق - في قوله - تعالى - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾<sup>(٥)</sup> فاطمة - عليها السلام - ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: الحسن ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الحسين ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾: إبراهيم الخليل ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: يكاد العلم ينفجر بها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾: إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يهدي الله للأئمة من يشاء. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾<sup>(٦)</sup> إماماً من ولد فاطمة - عليها السلام - ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾: إمام يوم القيامة . وهذه كلها أقوال باطلة ناتجة عن فهم خاطئ وهوى متبع وتأويل فاسد .

قال الطبري وابن كثير في تفسير هذه الآية :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ عن الحسن، في قوله: (مثل نوره) قال: مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة. عن مجاهد قال: المشكاة: القنديل. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: السراج يكون في الزجاج، وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى طاعته نورا وسمها أنواعا شتى. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: عن ابن عباس في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾

(١) التغابن (٨)

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري (٤١٩/٢٣) ، وتفسير ابن كثير (١٦٠/٨) .

(٣) الإسراء (٩)

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري (٣٢٩/١٧) ، وتفسير ابن كثير (٤٥/٥) .

(٥) النور (٣٥)

(٦) النور (٤٠)

قال: شجرة بالصحراء، لا يظلمها جبل ولا شجر ولا كهف، ولا يوارىها شيء، وهو أجود لزيتهها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: لضوء إشراق الزيت. ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: قال السدي: نور النار ونور الزيت، حين اجتماع أضاء، ولا يضيء واحد بغير صاحبه [كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماع، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه] ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يرشد الله إلى هدايته من يختاره . ويوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده<sup>(١)</sup> ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي: من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه، ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ أي: فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه<sup>(٢)</sup> .

٣- يؤولون ما جاء في كتاب الله - من النهي عن الشرك والكفر - بالشرك في ولاية علي، أو الكفر بولاية علي.

٤- يؤولون ما جاء في عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بولاية الأئمة، والبراءة من أعدائهم.

٥- يؤولون بعض الآيات الواردة في الصلاة بالأئمة والإمامة:

عن زرارة عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله - عليه السلام - في قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال: الصلاة: رسول الله، وأمير المؤمنين والحسن والحسين، والوسطى أمير المؤمنين ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ طائعين للأئمة .

فهذا من التأويل الفاسد وتحريف نصوص الكتاب بلا دليل وبما يخالف كلام العرب، والصواب كما جاء في تفسير الطبري - رحمه الله -<sup>(٤)</sup>، قال: يعني تعالى ذكره بذلك: واطبوا على الصلوات المكتوبات في أوقاتهم، وتعاهدوهن والزموهن، وعلى الصلاة الوسطى

(١) انظر: تفسير جامع البيان، الطبري (١٧٧/١٩) وابن كثير (٥٧/٦) في تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ .

(٢) انظر: تفسير جامع البيان، الطبري (١٩٧/١٩) .

(٣) البقرة: (٢٣٨) .

(٤) انظر: تفسير جامع البيان، الطبري (١٦٧/٥) .

منهن. وقال ابن كثير<sup>(١)</sup> : يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين". قال: حدثني بمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو استزده لزدني<sup>(٢)</sup> .

٦- يؤولون ما ورد في كتاب الله عن المؤمنين، وولاية الأمر، وأهل الذكر بالأئمة.

٧- والأئمة - عندهم - هم آيات الله الكونية، ومخلوقاته، وآلؤه.

٨- وهم الراسخون في العلم، وهم الذين أوتوا العلم.

٩- والأئمة وشيعتهم هم الذين يعلمون، وهم أولوا الأبواب

١٠- والأئمة هم نعمة الله التي ذكرها في كتابه.

١١- وهم آيات الله، والسبع المثاني، والصابون، والمسبحون.

١٢- وهم النبا العظيم ، والآيات المحكمات.

١٣- وهم العلامات التي ذكرها الله في كتابه.

١٤- وولايتهم هي الطريقة المذكورة في قوله ﷺ ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ

مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٣)</sup> ، والصواب والله أعلم ، كما قال مجاهد : (وأن لو استقاموا على الطريقة) أي : طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) قال: نافعا كثيرا، لأعطيناهم مالا كثيرا (لنفتنهم فيه) حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء<sup>(٤)</sup> .

١٥- بل إن تأويلهم الكثير من آيات القرآن بالإمامة يربو على الحصر، وكأن القرآن لم

يتزل إلا فيهم، بل إن تأويلهم للآيات بالإمامة والأئمة تجاوز حدود الشرع والعقل، ونزل إلى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٦٤٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل الصلاة لوقتها ، برقم (٥٢٧) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، برقم (٨٥) .

(٣) الجن (١٦)

(٤) انظر: تفسير جامع البيان ، الطبري (٣٣/٦٦٢) .

درك من العته والبله الذي لا تفسير له سوى أنه محاولة للهزاء والسخرية بآيات الله حتى إنهم ليقولون:

- ١٦- الأئمة هم النحل في قوله ﷺ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾<sup>(١)</sup>
- ١٧- وهم الحفدة في قوله ﷺ ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾<sup>(٢)</sup>
- ١٨- وعلي هو سبيل الله في قوله ﷺ ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup>
- ١٩- وهو الحسرة على الكافرين في قوله ﷺ ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>
- ٢٠- وهو حق اليقين في قوله ﷺ ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾<sup>(٥)</sup>
- ٢١- وهو الصراط المستقيم في قوله ﷺ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٦)</sup>
- ٢٢- وهو الهدى في قوله ﷺ ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>
- ٢٣- والأئمة هم الأيام والشهور.
- ٢٤- وهم بنو إسرائيل في قوله ﷺ ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(٨)</sup>
- ٢٥- وهم الأسماء الحسنى التي يدعى الله بها.
- ٢٦- وهم الماء المعين، والبئر المعطلة، والقصر المشيد.
- ٢٧- وهم السحاب، والمطر، والفواكه، وسائر المنافع الظاهرة بعلمهم وبركتهم.
- ٢٨- وهم الصلاة، والزكاة، والحج، وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي.

(١) النحل (٦٨)

(٢) النحل (٧٢)

(٣) إبراهيم (٣)

(٤) الحاقة (٥٠)

(٥) الحاقة (٥١)

(٦) الفاتحة (٦)

(٧) البقرة (٣٨)

(٨) البقرة (٤٠)

- ٢٩- وهم حرّات الله، وأنوار الله.
- ٣٠- وهم خير أمة أخرجت للناس.
- ٣١- وهم المظلومون، والمستضعفون.
- ٣٢- وهم أهل الأعراف، وهم الوالدون، والولد، والأرحام، وذوو القربى.
- ٣٣- وهم الكعبة والقبلة.
- ٣٤- وهم اللؤلؤ والمرجان.
- ٣٥- يتأولون الآيات الواردة في الكفار والمنافقين بخيار صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .
- ٣٦- يفسرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .
- ٣٧- يفسرون خطوات الشيطان بأما ولاية أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .
- ٣٨- قالوا في تفسير قوله ﷺ ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ <sup>(١)</sup> قالوا: (التقية) .
- ٣٩- يفسرون الآيات التي في الآخرة - بالرجعة.
- كل ما مضى من أمثلة لتأويلاتهم للقرآن، تدل على تعسفهم في فهم آياته، وعلى إغراقهم في التأويل الباطني، الذي لا تربطه بالآيات أدنى صلة، وكأن القرآن لم يتزل بلسان عربي مبين، ولم يجعله الله دستوراً لخلقهم أجمعين. <sup>(٢)</sup>



(١) الكهف (٩٥)

(٢) انظر : مسألة التقريب ١/٢٤٠-٢٤١

## المبحث الثالث

### ظهور الصوفية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الصوفية لغة واصطلاحاً ونشأة التصوف

.

المطلب الثاني : موقف بعض الأئمة من التصوف .

المطلب الثالث : بعض الانحرافات العقديّة عند الصوفية

ونماذج من تأويلاتهم الباطلة .

المطلب الرابع : التشابه بين الصوفية والشيعة في الأفكار

والمعتقدات .

## المبحث الثالث

### ظهور الصوفية

#### المطلب الأول

#### تعريف الصوفية ونشأة التصوف

##### أولاً : تعريف الصوفية لغة :

ورد في الصحاح أن الصوف للشاة ، ويقال كبش أصوف أي كثير الصوف<sup>(١)</sup>.  
- وصاف السهم عن الهدف مال وعدل ، والمضارع منه يصوف ويصيف<sup>(٢)</sup>.  
- ويرى صاحب (المصباح المنير) أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية. وعلى هذا تكون كلمة تصوف مبتدعة محدثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا في عصر الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين .  
وذهب قوم إلى أن الصوفية نسبة إلى الصوف وذلك لأن النسبة إلى الصوف صوفي ،  
وممن رجح هذا القول شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى  
والسهروردي<sup>(٣)</sup> وابن خلدون<sup>(٤)</sup> وحجتهم على صحة هذه النسبة .  
- إن الصوف لباس الأنبياء وخاصة سيدنا محمد وعيسى - عليهما السلام - وهو  
لباس الصحابة ﷺ والتابعين والصوفية المتقدمين - رحمهم الله تعالى-.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت، (٣٥٢/١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧، (١٣٨٩/٤).

(٣) أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، واسمه عبد الله، البكري الملقب شهاب الدين السهروردي ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد. وفيات الأعيان (٤٤٦ / ٣)

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الاشبيلي الأصل التونسي قاضي القضاة ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١٠٠ / ٢) .

وقال آخرون : إن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة ، وهم جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان باسمهم ، وكانوا متفرغين للعبادة وللمجاورة وهم فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى. وهذا الكلام لا يستقيم بالنظر إلى الاشتقاق اللغوي لأن النسبة إلى أهل الصُفَّة صُفي وليس صوفي.

ثم إن مكان أهل الصفة لم يكن مخصصاً للعبادة بل كانوا يذهبون للعبادة والصلاة في المسجد مع رسول الله ﷺ ، وكان التزاء يتزلون فيه حيث لا مأوى لهم ولا عمل يرتزقون منه، فكان أحدهم إذا وجد عملاً وبيتاً وزوجةً ترك مكان الصفة وذهب إلى عمله ، وهو ليس خاصاً بأحد بل هو مكان لعامة المسلمين وآحادهم. وادعاء بعض المتصوفة أن اشتقاق التسمية من صُفَّة المسجد إنما يهدف إلى ربط نشأة التصوف بعهد النبي ﷺ وكأن النبي قد أقرهم على منهجهم في الاعتزال والتجرد والتواكل وهذا مخالف لسنته ﷺ في التوكل والجد والاجتهاد وطلب الرزق، وسنته وتعاليمه خير شاهد على ذلك .<sup>(١)</sup>

### ثانياً : تعريف الصوفية في الاصطلاح :

قال سمنون<sup>(٢)</sup> : التصوف أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء<sup>(٣)</sup> .  
وقال الكتاني<sup>(٤)</sup> : التصوف خُلِقَ فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الصفاء .  
وقال بشر بن الحارث<sup>(٥)</sup> : الصوفي من صفا قلبه لله<sup>(١)</sup> .

(١) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، محمود الشوبكي ( مجلة الجامعة الإسلامية - المجلد العاشر - ٦ ) - (١٣) .

(٢) سمنون بن حمزة الخُوَّاص، أبو الحسن، أو أبو بكر: صوفي ناسك، من الشعراء. له مقطوعات في غاية الجودة. وهو من أهل البصرة. سكن بغداد وتوفي بها ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٠) .

(٣) طبقات الصوفية، لحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (٤٥)

(٤) عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي بن سلمان بن عبد العزيز أبو محمد الكتاني ، الحافظ الصوفي الدمشقي ، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ٣٦٣) .

(٥) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي ، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني ، شيخ الإسلام أبو نصر المروزي ثم البغدادي ، المشهور بالحافي ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠ / ٤٦٩) .

قال الجنيد<sup>(٢)</sup> : التصوف عنوة لا صلح فيها. والمراد بالعنوة الجد والتعب والمراغمة<sup>(٣)</sup>.  
 وقال محمد بن أحمد المقرئ: التصوف استقامة الأحوال مع الله.  
 وقال ابن خلدون : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة<sup>(٤)</sup>.

وهناك تعريفات كثيرة أجمعها وأشملها تعريف ابن خلدون للتصوف لأنه يدل دلالة واضحة على معاني التصوف المتعددة ، وعلى أحوال الصوفية واهتماماتهم<sup>(٥)</sup>.

#### بعض الاعتراضات على مسمى الصوفية :

ذهب صاحب كتاب (أبو حامد الغزالي والتصوف) إلى وجوب إلغاء كلمة التصوف وذلك لأنها محدثة ، ولم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ وأصحابه، ولأن الإمام ابن تيمية - رحمه الله - حين قيل له : إن ابن سينا من فلاسفة الإسلام فقال : " ليس للإسلام فلاسفة " <sup>(٦)</sup>.

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت، (٢١/١) .

(٢) الجنيد الصوفي، أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري ، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره ، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٤) .

(٣) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مجموعة من الباحثين ، موقع الدرر السنية (٦/٤٤٩) .

(٤) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، (١/٦١١) .

(٥) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، محمود الشوبكي ( مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، ١٣-١٦) .

(٦) مجموع الفتاوى ، هل يصح أن يقال : فيلسوف الإسلام (٩/١٨٦) .

وذكر مآخذ كثيرة وانحرافات وقع فيها الصوفية ، وقال : إن في إلغاء الكلمة سلامة للدين وحفظاً للناس من خطرهما. وقال إذا قبلنا التسمية فتحنا باباً للشـر بأن يقال معتزلة الإسلام وشيوعية الإسلام.. الخ.

وأقول بأن كلمة التصوف ، وهي كلمة معروفة منذ أواخر القرن الثاني ، وشاعت في القرن الثالث للهجرة إلى يومنا هذا ، وقد ملئت بها الكتب والمكتبات ولا يملك أحد إلغائها ولا يستطيع ذلك إن أراد.

وقد استعمل كلمة التصوف شيخ الإسلام ابن تيمية ، وامتدح بعضاً من أئمة التصوف، وتكلم في ألفاظهم المستعملة ، ورد على المنحرفين منهم ، وقال : نقبل ما عندهم من حق ونحتهم عليه ونرد باطلهم ونزجرهم عنه.

وكل اسم تسمى به جماعة ما لم يكن يدل على الباطل ومرتبطة به منذ نشأته، وما لم يكن مرتبطاً بفكر غريب فلا عبرة بالاسم ويهمني المسمى فإذا كان المسمى برمته باطلاً وجب نبذه وإلا نقبل الاسم ونقوم المسمى فليس التصوف كله باطلاً.

وإن كنت لا أشجع على التصوف ولا أحث عليه ولا أقبل الانتساب إليه وأدين الله بعقيدة السلف الصالح فإني أعمل بقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> .

### ثالثاً : نشأة التصوف

لم يكن التصوف معروفاً في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ؓ ولا في عصر التابعين- رحمهم الله - ، وإن كانت حقيقته معروفة ، لأن جل ما يصبو إليه المرء هو الانتساب إلى

(١) سورة النحل : (١٢٥) .

(٢) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٣) سورة المائدة : (٨) .

الصحابة ﷺ ثم إلى التابعين - رحمهم الله - وكفى بالمرء شرفاً أن ينتسب إلى محمد ﷺ وإلى أصحابه ﷺ بالاتباع.

وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنسك والبكائين وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم، صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً، وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياحهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية، والانعزال عن صخب الحياة المادية .

ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله، وأبو سليمان الداراني - المتوفى سنة ٢١٥هـ - وقيل إن أول من بنى دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد - المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة -، وهو من أصحاب الحسن البصري، وكان ذلك في البصرة (وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي - المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري - (ويقول عمر رضا كحالة<sup>(١)</sup>: ورد لفظ (الصوفي) لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي وأما صيغة الجمع (الصوفية) فإنها ظهرت فيما انتهى إليه عمر رضا كحالة عام ١٩٩٩هـ).<sup>(٢)</sup> وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقد تحدث الشيخ رشيد عن نشأة الصوفية وتطورها إلى أن صارت رأس الفرق المبتدعة وأبعدها أثراً في الإسلام، فيرى الشيخ رشيد أن أول ظهور الصوفية كان في صورة حسنة

(١) عمر رضا كحالة، أحد أبرز أعلام دمشق، واحد من المؤرخين المسلمين الذين وضعوا مؤلفات عديدة ساهمت في توثيق وثبت العديد من جوانب التاريخ الإسلامي، تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. (٣٩٧)

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (٤٥٣/٦).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٥/١١).

تقصد إلى «التخلق بالأخلاق الفاضلة وما تستتبعه من أعمال البر والتقوى»<sup>(١)</sup> ثم إنها استقلت - بعد ذلك - وتميزت حتى صارت فرقا مستقلة، «ثم مازجت كتبهم تعاليم غريبة وحدثت لهم اصطلاحات خاصة»<sup>(٢)</sup>. ثم إن هذه الفرق صارت «مصدر تلك المنكرات ومعهد تلك الموبقات»<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ رشيد: " ... إن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم

الظاهرة إلا أصوات وحركات يسمونها ذكرا يتبرأ منها كل صوفي وإلا تعظيم قبور

المشايخ تعظيما دينيا مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تعلوا الأسباب التي ارتبطت بها

المسببات بحكمة الله تعالى، بل يدبرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءونه ... »<sup>(٤)</sup>

- وظن بعض العلماء أن منشأ التصوف من لبس الصوف والله لم يشرعه قربة إليه،

ورسوله ﷺ كان يلبس الكتان وغيره ، وهو الذي جعله الله أسوة حسنة ﴿لَمَنْ كَانَ

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٥)</sup> ، ولكن لبس الصوف والتكشف بما يخالف

سنة رسول الله ﷺ أمر شكلي تركه متصوفة العصر، وأقبلوا على شهوات البطن والفرج

حتى قال بعض منتقديهم:

(١) مجلة المنار ، محمد رشيد بن علي رضا ، (١١٢/١).

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، لتامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري ، الطبعة: الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، (٥٥٦/١) .

(٥) سورة الأحزاب : (٢١) .

أقال الله حيث عشقتموه كُلُّوا أَكُلَ البهائم وارقصوا لي، ولكن أسوأ ما اتصف به المتصوفة تعلّقهم بالشبهات<sup>(١)</sup> حتى اليوم كما يتبيّن بالرجوع إلى شيء من كتبهم ومقالاتهم<sup>(٢)</sup>.



---

(١) (الشُّبُهَة) الالتباس و (في الشَّرْع) مَا التَّبَسَ أمره فَلَا يَدْرِي أَحْلَالُ هُوَ أَمْ حَرَامٌ وَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ، المعجم الوسيط (٤٧١/١) ، وسيأتي ذكر بعض معتقداتهم وشبهاتهم تحت عنوان : بعض الإنحرافات العقديّة عند الصوفية .

(٢) انظر : مقال : التصوف في ميزان الوحي والفقّه ، لسعد بن عبد الرحمن الحصين .

## المطلب الثاني

### موقف بعض الأئمة من التصوف

#### موقف الإمام الشافعي

أدرك الإمام الشافعي بدايات التصوف ، وكان من أكثر العلماء والأئمة إنكاراً عليهم. وقد كان مما قاله في هذا الصدد: "لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحرق".

وقال أيضاً<sup>(١)</sup>: "ما لزم أحد الصوفيين أربعين يوماً فعاد عقله أبداً، وأنشد:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا ❀❀❀ وإذا حلوا كانوا ذئاب خفاف .

وقال أيضاً عندما سافر إلى مصر: "تركت ببغداد وقد أحدث الزنادقة شيئاً يسمونه السماع" (يعني الغناء والرقص الذي ابتدعه الصوفية في القرن الثاني وما زال مسلكتهم إلى اليوم).

#### موقف الإمام أحمد بن حنبل :

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد كان لهم بالمرصاد ، فقد قال فيما بدأ الحارث المحاسبي<sup>(٢)</sup> يتكلم فيه وهو الوسوس والخطرات. "ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون". وحذر من مجالسة الحارث المحاسبي ، وقال لصاحب له: "لا أرى لك أن تجالسهم". وذكر أبو بكر الخلال في كتاب (السنة) عن أحمد بن حنبل أنه قال:

"حذروا من الحارث أشد التحذير!! الحارث أصل البلبلة -يعني في حوادث كلام جهم- ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام. حارث بمرتلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس!!"<sup>(٣)</sup>.

(١) تلبس إبليس : (٣٢٧/١) .

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله الزاهد البغدادي، أحد الأئمة المشهورين ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٠٨ /٥) .

(٣) تلبس إبليس : (١٦٦-١٦٧) .

وهذا الكلام من الإمام أحمد يكشف فيه القناع أيضاً عن أن الحارث المحاسبي الذي تسربل ظاهراً بالزهد والورع والكلام في محاسبة النفس على الخطرات والوساوس كان هو المأوى والملاذ لأتباع جهم بن صفوان المنحرفين في مسائل الأسماء والصفات والنافين لها، وهكذا كان التصوف دائماً هو الظاهر الخادع للحركات والأفكار الباطنية. ولذلك وقف الإمام أحمد لهؤلاء الأشرار الظاهرين منهم والمتخفين بالزهد والورع، وأمر بهجر الحارث المحاسبي، وشدد النكير عليه فاختم الحارث إلى أن مات. (١).

#### موقف الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية :

وأما الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فقد كان من أعظم الناس بياناً لحقيقة التصوف، وتبعاً لأقوال الزنادقة، والملحدون منهم وخاصة ابن عربي، والتلمساني، وابن سبعين. فتعقب أقوالهم وفضح باطنهم، وحذر الأمة من شرورهم وذلك في كتبه ومؤلفاته الكثيرة وفي فتاويه، وكذلك تتبع أقوال المخلطين منهم الذين خلطوا بين القول الطيب والقول الخبيث كالترمذي (٢) صاحب كتاب (ختم الولاية)، والغزالي صاحب (إحياء علوم الدين). ولا شك أن من أعظم ما ألف الإمام ابن تيمية في هذا الصدد هو كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) فقد فصل فيه القول في الولاية الرحمانية وبيان صفاتها من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وفرق بين ذلك والولاية الشيطانية الصوفية التي تعتمد على الشعوذة والدجل، والكذب، وأكل أموال الناس بالباطل، والسماع والغناء والرقص والبدع المنكرة في الدين، والتظاهر بالصلاح والتقوى، ولقد أجاد الإمام ابن تيمية - رحمه الله - أيما إجادة في بيان الكرامة الرحمانية التي هي حق لولي الله، والكرامة

(١) تلبس إبليس : (١٦٧) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، (وليس صاحب السنن)، لسان الميزان أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م (٣٠٩/٥) .

الشيطنانية التي تجري أحياناً على أيدي هؤلاء كتظاهرتهم بالدخول في النيران وزعمهم أنها لا تضرهم، وحملهم الحيات والثعابين، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام وغير ذلك من أنواع المخاريق التي يزعمون أنها من كراماتهم، وقد قام الإمام ابن تيمية نفسه بتحدي هؤلاء الصوفية الذين يزعمون هذه الكرامات ، وأنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولها وأنها تحرقهم إن شاء الله ولا تحرقه، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أولاً بالخل لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار. فلما كشف حيلهم وتحداهم ، وكان ذلك بمحض السلطان تراجعوا عن ذلك وظهر كذبهم ومخاريقهم، وكان هؤلاء الصوفية من أتباع الرفاعي البطائحي<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

والمهم أن الإمام ابن تيمية كان من أعظم الرجال الذين كشفوا عوار التصوف وتبعوا ترهاته، وما كتبه ودونه وقام به في هذا الصدد شيء يطول وصفه جداً.<sup>(٣)</sup>



(١) أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن خازم بن علي بن رفاعة الزاهد الكبير المشهور أبو العباس الرفاعي البطائحي المغربي أصلاً ، طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، (١٤١٣هـ — ١٩٩٣ م) (٦٧٩) .

(٢) انظر مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية ، الفتاوى الكبرى ، (ص ٤٤٥-٤٧٦) .

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م، (٤٥٩/١) .

### المطلب الثالث

#### بعض الانحرافات العقديّة عند الصوفية

##### الشرعية والحقيقة (الظاهر والباطن)

إن ما روَّجه الصوفية عن الفرق بين الحقيقة والشرعية كان بآباً واسعاً للانسلاخ من الشرع والتفلت من الدين تحت مظلة ادّعاء (الولاية) ، وقد كان هذا المفهوم مطية لتأويلات عديدة غير منضبطة بأصول شرعية أو لغوية أو عقلية<sup>(١)</sup> .

فالشرعية - كما يراها غلاة المتصوفة - هي مجموعة من الأحكام العملية التكليفية أي ما يسمى (بالفقه الإسلامي)، والحقيقة هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار حسب زعمهم، لقد أهملوا علوم الشرعية لأنها عندهم من علوم الظاهر التي لا تؤدي - بزعمهم - للوصول إلى الحضرة كما هو شأن علم الباطن، ويسمون العلماء بحملة الشرعية، بينما يسمون أنفسهم بحملة الحقيقة.

فمنهم من فرق بين الحقيقة والشرعية، وأعرضوا عن ظواهر الشرع، وهذا غلط؛ لأن الشرعية كلها حقائق، قال الحسن بن سالم جاء رجل إلى سهل بن عبد الله التستري<sup>(٢)</sup> وبيده محبرة وكتاب، فقال لسهل: أحبيت أن أكتب كتاباً ينفعي الله به، فقال: أكتب إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة فافعل، فقال: يا أبا محمد، أفدني فائدة، فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً، والعمل موقوف إلا ما كان على السنة، وتقوم السنة على التقوى .

وقال أيضاً: احفظ السواد على البياض، فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق<sup>(٣)</sup> .

(١) مجلة البيان ، (٤٦/١٥٩) .

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، الإمام العارف، أبو محمد ، شيخ الصوفية، وكان من أعيان الشيوخ في زمانه، يُعدّ مع الحنيد. وكه كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك، تاريخ الإسلام ت بشار (٧٥٦/٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣) .

(٣) حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ، (١٦٨/١)

ولقد احتقر المتصوفة العلم وأهله، وقبحوا طريقة العلماء في فهم الكتاب والسنة حتى ترك كثير من علمائهم في القرنين الأخيرين حلقات التدريس والعلم، واعتزلوا الناس تماماً، ليتفرغوا للأتباع والمريدين.<sup>(١)</sup>

وقد عمد غلاة الصوفية إلى التنفير من العلم وأهله وخاصة علوم الحديث حتى يضعوا الأحاديث لتناسب طرائقهم وبدعهم ، فقد ورد عن فريد الدين العطار عن أبي الحسين الخرقاني أنه قال: (وهبني الله جميع العلوم والمعارف، مع كوني أمياً، وقرأت الحديث على رسول الله ﷺ ، فلم يُصدِّقهُ مريده، فرأى - المريد - في المنام رسول الله وسمعه يقول: صدق الرجل، صدق الرجل، وقال المريد: بدأت بعدها أتردد إلى الشيخ وأقرأ الحديث، فأحياناً كان يقول: هذا الحديث ليس بصحيح، ولما سألته كيف عرف ذلك؟ قال: لما تقرأ الحديث أشتغل بمشاهدة رسول الله ﷺ ، فكلما قرأت الحديث الصحيح يتسم النبي وتنورت جبهته، وإذا مررت بحديث موضوع ظهرت كآبة على وجهه ﷺ ، فبذلك أميز الصحيح من الضعيف).<sup>(٢)</sup>

وقال الدباغ : (قد يتزل الملك على الولي، ويخبره بصحة حديث ضعفه العلماء).<sup>(٣)</sup> فالتصوفة يرون أن « العلم اللدني إسناده وجوده ، وإدراكه عيانه ، ونعته حكمه ، ليس بينه وبين الغيب حجاب » والمعنى أن العلم اللدني لا يحتاج إلى إسناد ، فوجوده إسناده.

فهكذا أرادوا نشر الجهل ومحو العلم بهدم القواعد وتحطيمها<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة ١٤١٤هـ، علي بن نجيت الزهراني.

(٢) تذكرة الأولياء، لفريد الدين العطار، تحقيق وترجمة: منال اليميني عبدالعزيز ، الهيئة المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، (٢٧٧) .

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، لأحمد بن المبارك ، طبعة مصر، (١٥١) .

(٤) دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، (١٣٧/١) .

وقد جلى شيخ الإسلام ابن تيمية معنى العلم اللدني وأقسام الناس فيه ما بين الجاني والغالي فقال : والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط. فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر - وهم الصوفية - . وقوم يقولون: لا أثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية. وأما الوسط: فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم؛ بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً؛ بل لا بد من أمر آخر إما العلم بالدليل فيما لا يعلم إلا به وإما التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية. وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل<sup>(١)</sup>.

وزعمت الصوفية أن الفقهاء يُعلمون الناس أركان الصلاة وسننها، وهم يهتمون بأعمال القلوب من المحبة والخشية، ويقولون غلاتهم: إن هذه الأحكام خاصة بعوام المسلمين نظراً لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية، دون الالتزام برسوم وأشكال معينة...<sup>(٢)</sup>.

لقد خالف المتصوفة ما قاله العلماء في أهمية علم الإسناد في الحديث النبوي، فعن عبد الله بن المبارك أنه قال : (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)<sup>(٣)</sup> وهم يقولون : (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)<sup>(٤)</sup> أي (أخذتم علمكم عن الرجال، رجال السند وقد ماتوا، أما علمهم فقد أخذوه

(١) انظر : مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٢٤٥/١٣) .

(٢) الصوفية نشأها وتطورها ، محمد العبده ، وطارق عبد الحليم ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٩ هـ - (٥١) .

(٣) رواه مسلم في المقدمة ، باب : في أن الإسناد من الدين ، (١٥/١) .

(٤) ذخائر الأعلام ، لابن عربي ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، (١٥٣) .

مباشرة عن الحي الذي لا يموت، هذا مع ادعائهم في كتبهم قائلين : (علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة)<sup>(١)</sup>.

فحديث الناس جعلوه حديثاً للنبي المعصوم - عليه الصلاة والسلام - معتمدين على كشفهم إلهامهم ، فجعلوا الموضوع ثابتاً، والضعيف قوياً ، والسقيم صحيحاً دون النظر إلى روايته ومصدره ، قائلين بأنهم سمعوه عن النبي ﷺ رأساً ، أو علموا تصحيحه عن رسول الله ﷺ مشافهة ، أو بواسطة الملك ، أو بتعليم الخضر.<sup>(٢)</sup>

ولقد ادّعى المتصوفة أن للقرآن ظاهراً وباطناً، فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي، وهو ما يهتم به علماء الظاهر، أما الباطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفاظ، وهو المراد الحقيقي بها، وهذا لا يطلع عليه إلا الخواص من أصحاب المقامات السامية، ويطلقون عليه: (الإشارات) وهم يغمزون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب.<sup>(٣)</sup>

وقال المتصوفة: (العلوم ثلاثة : ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر وباطن، وباطن الباطن ، فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن).<sup>(٤)</sup>

ويقول الصوفية: (إن علم الباطن هو علم القلب، وعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها، وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة، التي لم تبعث الأنبياء إلا لأجلها) .<sup>(٥)</sup>

فالمتصوفة يدعون ( أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة، أو أن رسول الله ﷺ مرسل بالشرائع الظاهرة، وهم موافقون له فيها، أما الحقائق

(١) انظر : الرسالة القشيرية ، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام

الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (١/٧٩).

(٢) دراسات في التصوف ، لإحسان إلهي ظهير، (١/١٣٨)

(٣) الصوفية: العبد - طارق عبد الحليم، (٥١) .

(٤) انظر: الفتوحات الإلهية: ابن عجيبة الحسني، طبعة عالم الفكر، القاهرة، (٣٣٣) .

(٥) التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، (١/٢٤٨).

الباطنة فلم يرسل بها، أو لم يكن يعرفها، وهم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته<sup>(١)</sup>.

والصوفية تكلموا بكلمات كلها كفر وإلحاد، ونقل عن الباطنية والتشيع، فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها، ورموهم بالإلحاد والزندقة، فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن والهروب إلى التأويل<sup>(٢)</sup>.

كما يقول صاحب (الفصوص) ابن عربي<sup>(٣)</sup>: أنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا (عقيدة المتفلسفة)، ثم أخرجوها في قالب (المكاشفة)<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد، فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين. فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر...)<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (٦٥/١١).

(٢) التصوف المنشأ والمصادر، لاحسان إلهي ظهير، (٢٥٢/١).

(٣) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائفي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف، ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى اشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، واستقر في دمشق ومات فيها، يقول الذهبي عنه: قدوة القائلين بوحدة الوجود، انظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى، (٤٣٥/٣)، و معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، المكتبة الشاملة، (٢١١٧/١).

(٤) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (٢٢٧/١١).

(٥) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (٢٢٥/١١).

وقد نتج عن هذا الاعتقاد الفاسد أنهم أسقطوا التكاليف الشرعية عن أوليائهم ، وأيدوا ذلك بالتفسير الباطني للقرآن ليوافق أهواءهم :

### إسقاطهم التكاليف الشرعية عن أوليائهم :

لقد سلك المتصوفة مسلكاً غريباً في إسقاط التكاليف الشرعية عن مشايخهم، (وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات، وتكون الأشياء والمحظورات على غيرهم مباحات لهم).<sup>(١)</sup>

ويقول القشيري في بداية رسالته إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام : ( وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، واستخفوا بأدائهم العبادات ، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وادّعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال).<sup>(٢)</sup>

قال شيخ الإسلام بن تيمية : فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَعِنْدَ شَهُودِهَا وَلَمْ يَقُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْحَقِيقَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي هِيَ عِبَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِإِلَوهِيَّتِهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ كَانَ مِنْ جِنْسِ إِبْلِيسَ وَأَهْلِ النَّارِ.

فَإِنْ ظَنَّ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ، الَّذِينَ سَقَطَ عَنْهُمْ الْأَمْرُ وَالتَّنْهَى الشَّرْعِيَّانِ، كَانَ مِنْ أَشْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ.<sup>(٣)</sup>

ويقول الشنقيطي في تفسير أضواء البيان عند ذكر قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾<sup>(٤)</sup> « اعلم أن ما يفسر به هذه الآية الكريمة بعض الزنادقة الكفرة المدعين

(١) مقالات الإسلاميين : الأشعري (٢٨٩).

(٢) الرسالة القشيرية : عبد الكريم القشيري ، (١٦/١) .

(٣) العبودية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المحددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، (٥٣/١) .

(٤) سورة الحجر : (٩٩) .

للتصوف، من أن معنى اليقين المعرفة بالله - جل وعلا -، وأن الآية تدل على أن العبد إذا وصل من المعرفة بالله إلى تلك الدرجة المعبر عنها باليقين، أنه تسقط عنه العبادات والتكاليف؛ لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر بالعبادة.

إن تفسير الآية بهذا كفر بالله وزندقة، وخروج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين. وهذا النوع لا يسمى في الاصطلاح تأويلاً، بل يسمى لعباً، ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم هم وأصحابهم - هم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - جل وعلا -، وأشدّهم خوفاً منه وطمعا في رحمته. وقد قال - جل وعلا -: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١) « (٢)

وفي سيرة المتصوفة غرائب وعجائب، تبين مدى خروجهم على التكاليف الشرعية. (٣) من ذلك ما ذكره العطار عن أبي يزيد البسطامي (٤) أنه خرج مرة للحج فرجع من الطريق، فسأله عن السبب فقال: لقيني في الطريق رجل حبشي وقال لي: لماذا تركت الله ببسطام؟ فرجعت. (٥)

وقال الإمام الشعراي في (الأجوبة المرضية) أخبرني سيدي علي الخواص: (إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجراً حجراً، ثم رجع كل حجر إلى مكانه). (١)

(١) سورة فاطر: (٢٨) .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٣٢٥/٢)

(٣) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، (١٠٠-١٠٥) .

(٤) سلطان العارفين، أبو يزيد طَبْفُورُ بن عيسى بن شَرَوْسَانَ البِسْطَامِيّ، أحد الزهاد، أخو الزاهدين: آدم وعلي، وكان جدهم شَرَوْسَانَ مجوسياً، فأسلم، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٨٦) .

(٥) تذكرة الأولياء، لفريد الدين العطار، (٨٢) .

وقد سئل ابن تيمية - رحمه الله - عن هؤلاء وطرائقهم، وما الحكم فيهم؟

( فقد سئل عن قوم داوموا على الرياضة، فرأوا أنهم قد تجوهروا ، فقالوا: لا نبالي الآن ما عملنا، وإنما الأوامر والنواهي رسوم العوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، وحاصل النبوة يرجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن من العوام، فندخل في حجر التكليف ، فهل هذا القول كفر من قائله؟ أم يبدع من غير تكفير!.

أجاب رحمه الله: (لا ريب عند أهل العلم والإيمان أن هذا القول من أعظم الكفر وأغلظه، وهو شر من قول اليهود والنصارى، فإن اليهودي والنصراني آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض).<sup>(٢)</sup>

وقال - رحمه الله - أيضاً: (إن هؤلاء خارجون في هذه الحال عن جميع الكتب والشرائع والملل، لا يلتزمون لله أمراً ولا نهيًا بحال، بل هؤلاء شر من المشركين المستمسكين ببقايا من الملل).<sup>(٣)</sup>

وسئل رحمه الله عن من يقول: (إن غاية التحقيق وكمال الطريق، ترك التكليف بحيث أنه إذا ألزم بالصلاة يقوم ويقول: خرجنا من الحضرة، ووقفنا بالباب) فأجاب - رحمه الله - بقوله:

(أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية، ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد، أو تصوف أو تزهد. يقول أحدهم: (إن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة، فإذا حصلت زال عنه التكليف، ومن قال هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام، فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جاء على

(١) جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النهائي ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض ، مركز أهل السنة بركات رضا ، الهند ، ٢٠٠١ ، (٤٠٨/١) .

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، (٤٠١/١١) .

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، (٤٠٢/١١) .

كل بالغ عاقل، إلى أن يموت. قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(١)</sup> واليقين هنا ما بعد الموت...<sup>(٢)</sup>.

هذا ما توصل إليه المتصوفة من انحراف وتبديل لدين الله، بينما كان الأولون منهم يقيدون زهدهم وتصوفهم بالكتاب والسنة.

قال الجنيد: (علمنا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصح أن يتكلم في علمنا)<sup>(٣)</sup>.

وقال سهل التستري: (كل وجد<sup>(٤)</sup> لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل<sup>(٥)</sup>).<sup>(٦)</sup>

### التأويل الباطني للقرآن الكريم :

نتج عن اعتمادهم على التأويل الباطني ضلالاً كبيراً في تفسير كتاب الله وانحرافاً عظيماً عن مراد الله ورسوله ، وفيما يلي نعرض بعض نماذج لتأويلاتهم الباطلة .

### وهذه نماذج من الفهم الخاطئ للنصوص عند الصوفية وتأويلاتهم الباطلة :

إن التفرقة بين الظاهر والباطن قد أدت بالمتصوفة إلى تأويل الآيات وتحريفها تحريفاً شنيعاً، وقد حاولت كل الفرق الضالة الباطنية أن تجد في التأويل نصيراً لها من كتاب الله يتناسب وأهواءها.

ولذلك ضبط علم التفسير عند أهل السنة بـ(أصول التفسير) حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى لا نهاية لها، وإليك غرائب التفسير عندهم.

(١) سورة الحجر : (٩٩) .

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، (٥٣٩/١١) .

(٣) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، (٤١٨/٢) .

(٤) الوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروق تلمع، ثم تخمد سريعاً، التعريفات للجرجاني ، (٢٥٠/١) .

(٥) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، (٤١٨/٢) .

(٦) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: (٢٦٠-٢٧٤) ، بتصرف .

ففي تفسير آية ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾<sup>(١)</sup>. قال فيها صاحب منازل السائرين: (رأى هذه: حالة العطش كأن إبراهيم عليه السلام لشدة عطشه إلى لقاء محبوبه، لما رأى الكواكب قال: هذا ربي، فإن العطشان إذا رأى السراب ذكر به الماء).

وذكر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>: يعني به: الشمس والقمر والنجوم. ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ فعنده حتى غاب، فلما غاب قال: لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي، فعنده حتى غاب، فلما غاب قال: لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر فعندها حتى غابت، فلما غابت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون<sup>(٣)</sup>. وقال ابن كثير: قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ أي: تغشاه وستره ﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ أي: نجما، ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أي: غاب<sup>(٤)</sup>.

وآية ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾<sup>(٥)</sup> فسرهما الشيخ عبد الغني النابلسي - وهو من المتأخرين - (أي صورتك الظاهرة والباطنة، يعني جسمك وروحك، فلا تنظر إليها لأنها نعلك)<sup>(٦)</sup>. والصواب في ذلك والله أعلم ما قاله المفسرون: قال الطبري، وابن عطية في تفسيرهما: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا<sup>(٧)</sup>. ومن ذلك التفسير الإشاري، والتأويلات الصوفية للقرآن:

(١) سورة الأنعام: (٧٦).

(٢) سورة الأنعام: (٧٥).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٣٥٤/٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، (٢٩١/٣).

(٥) سورة طه: (١٢).

(٦) شطحات الصوفية: عبد الرحمن بدوي، (١٩٥)، نقلا عن الصوفية: محمد العبدية، (٥٣-٥٤).

(٧) جامع البيان، للطبري (٢٧٧/١٨)، المحرر الوجيز، (٣٨/٤).

ما يذكره ابن عطاء الله الإسكندري<sup>(١)</sup> في لطائفه نقلاً عن بعض مشايخه أنه فسر الآية ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا﴾<sup>(٢)</sup> الحسنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾<sup>(٣)</sup> العلوم، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِاثًا﴾<sup>(٤)</sup> علوماً وحسنات.. الخ<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة، قوله: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكورا وإناثا، فيجمعهم له جميعا، (ويجعل من يشاء عقيما) لا يولد له<sup>(٦)</sup>، وقال البغوي: فجعل الناس أربعة أقسام، منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيما لا نسل له ولا يولد له، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قَدِيرٌ﴾ أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك<sup>(٧)</sup>.

ومن ذلك يقول ابن عربي في تفسير قول الله ﷻ:

﴿الم﴾ أشار بهذه الحروف إلى كل الوجود حيث هو كل، لأن (أ) إشارة إلى ذات الله الذي هو أول الوجود.. و(ل) إلى العقل الفعال المسمى (جبريل).. و(م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود<sup>(٨)</sup>.

(١) تاج الدين احمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندراني، الزاهد تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، طبقات الأولياء ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) (١/٤٢١).

(٢) سورة الشورى: (٤٩)

(٣) سورة الشورى: (٤٩)

(٤) سورة الشورى: (٥٠)

(٥) لطائف المنن: ابن عطاء الله الاسكندري، تحقيق: عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، مطبعة حسان، القاهرة، ص ٢٤٨.

(٦) انظر: جامع البيان، للطبري، (٥٥٧/٢١).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، (٢١٦/٧).

(٨) تفسير ابن عربي: (٥/١)، طبعة طهران، نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر، (٢٥٥/١).

اختلف المفسرون في المراد بهذه الأحرف والذي رجحه ابن كثير قال : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿الم \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

وقد جمع للمتصوفة أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٤)</sup> تفسيراً للقرآن الكريم من كلامهم الذي أكثره أكثره هذيان، يبلغ مجلدين، (فقد أتى بمصائب وتأويلات باطنية نسأل الله العافية).<sup>(٥)</sup>

ومما نقله الدكتور عبد الحلیم محمود<sup>(٦)</sup> عن أبي الحسن الشاذلي<sup>(٧)</sup> تفسير قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَائِي﴾<sup>(٨)</sup> أي معرفتي بك أعتمد عليها، ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى

(١) البقرة : (٢-١) .

(٢) آل عمران : (٣-١) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير، (١/١٦٠) .

(٤) أبو عبد الرحمن السلميُّ عبد الله بن حبيب ، مقرئ الكوفة، الإمام العلم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة ، مولده في حياة النبي ﷺ ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/٢٦٧) .

(٥) تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، (٣/١٦٦) .

(٦) عبد الحلیم محمود ، العالم الصوفي المتعمق، شيخ الأزهر ، درس القسم العالي في الأزهر، وذهب إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه، عين مدرسا ثم أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين، ثم عميدا لكلية ، تكلمة معجم المؤلفين (٢٧٢) .

(٧) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هُرْمُز بن حاتم بن قُصي بن يوسف، أبو الحسن الشاذلي، المغربي، الزاهد، [المتوفى: ٦٥٦ هـ] ، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية. تاريخ الإسلام ت بشار (١٤/٨٢٩) .

(٨) سورة طه : (١٨) .

غَنَمِي<sup>(١)</sup> أولادي في التربية، ﴿وَلِي فِيهَا مَّارِبٌ أُخْرَى﴾<sup>(٢)</sup> من باب: لي وقت مع ربي لا تسعني فيه أرض ولا سماء.<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير: قوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَّارِبٌ أُخْرَى﴾<sup>(٤)</sup> أي: أعتد عليها في حال المشي ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أي: أهز بها الشجرة ليستقط ورقها، لترعاه غنمي. وقوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَّارِبٌ أُخْرَى﴾ أي: مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك.<sup>(٥)</sup>

فالصوفية يعتقدون أن العامة يأخذون بالظواهر، وأكثر الشريعة جاء حسب فهمهم، أما المتصوفة فهم العارفون وهم أهل الحقائق<sup>(٦)</sup>.

ولذلك يقول ابن عربي: (ما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، الذين منحهم أسراره في خلقه، وفهم معاني كتابه وإشارات خطابه)<sup>(٧)</sup>.



(١) سورة طه : (١٨) .

(٢) سورة طه : (١٨) .

(٣) المدرسة الشاذلية الحديثة: د. عبد الحلیم محمود، طبعة القاهرة ، (٤٠٣) .

(٤) سورة طه : (١٨) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٢٧٩/٥) .

(٦) انظر : بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية ، الشيخ محمد حامد الناصر ، (٢٢٠) ، بتصرف .

(٧) الفتوحات المكية، لابن عربي، الباب الرابع والخمسون، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ، نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر ، (٢٥٩/١) .

## المطلب الرابع

### التشابه الكبير بين الصوفية والشيعة في الأفكار والمعتقدات

أولاً : مراتب الصوفية :

لقد وضع المتصوفة مراتب ودرجات لبيان طبقات الصوفية ومكانتهم، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب: (خواص الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده، الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء<sup>(١)</sup>، وسيدهم الغوث<sup>(٢)</sup>).

وقد رتبوا أولياءهم حسب أهميتهم على الشكل التالي:

١- القطب : ويسمى غوثاً وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان<sup>(٣)</sup>.

٢- الأوتاد الأربعة: هم أربعة رجال، منازلهم على الأربعة الأركان من العالم، شرق، وغرب، وشمال، وجنوب<sup>(٤)</sup>.

٣- الأبدال : البدلاء هم سبعة رجال، يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته فيه، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وذلك معنى البدل لا غير<sup>(٥)</sup>.

٤- النجباء : هم الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق<sup>(٦)</sup>.

والقطب عندهم كما يقول مؤسس الطريقة التيجانية: (هو الخلافة عن الحق مطلقاً فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق (الله) إلا بحكم القطب)<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر : التصوف المنشأ والمصادر ، لإحسان إلهي ظهير ، (٢٣١/١) .

(٢) النقباء: هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر؛ لانكشاف

الستائر لهم عن وجوه السرائر، التعريفات للجرجاني ، (٢٤٥/١) .

(٣) التعريفات للجرجاني ، (١٧٧/١) .

(٤) التعريفات للجرجاني ، (٣٩/١) .

(٥) التعريفات للجرجاني ، (٤٣/١) .

(٦) انظر: التعريفات للجرجاني: (٢٣٩) .

(٧) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، طبعة دار الكتب العلمية. (١٢٥) .

ويلاحظ أن صلة التصوف بالتشيع صلة قوية ظاهرة في هذه الدرجات والمراتب، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون إذ يقول: (إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف<sup>(١)</sup> وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول<sup>(٢)</sup> والوحدة<sup>(٣)</sup> كابن عربي وابن سبعين<sup>(٤)</sup> وابن الفارض<sup>(٥)</sup>، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة، مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب... وقد أشار إلى ذلك ابن سينا<sup>(٦)</sup> (في كتاب الإشارات في فصول التصوف)... وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقاء.<sup>(٧)</sup>

(١) الكشف: في اللغة: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً، التعريفات، للجرجاني، (١٨٤/١).

(٢) الحلول: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز، انظر: التعريفات للجرجان (٩٢/١).

(٣) الوحدة المطلقة، وهي: أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته، مصرع التصوف، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥-٢٠٠٤، (٢٥).

(٤) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، القُرَشِيُّ، المخزومي، الشيخ قطب الدين، أبو محمد المُرْسِيُّ، الرُّقُوطِيُّ، الصُّوفِيُّ، كان صوفيّاً على قاعدة زهد الفلاسفة وتَصَوُّفِهِمْ. ، تاريخ الإسلام، (١٥/١٦٨).

(٥) ابْنُ الْفَارِضِ عمر بن علي بن مرشد الحَمَوِيُّ، شاعر الوقت، شرف الدين بن علي بن مرشد الحَمَوِيُّ، ثم المصري، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التَّائِبَةُ. توفي: سنة اثنتين وثلاثون، وله ست وخمسون سنة، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٦٨ / ٢٢).

(٦) ابن سينا أبو علي الحسين بن عبدالله البَلْخِيُّ، العلامة الشهير، الفَيْلَسُوفُ، أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البَلْخِيُّ، ثُمَّ الْبُخَارِيُّ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتباً من دعاة الاسماعيلية، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٧ / ٥٣١).

(٧) تاريخ ابن خلدون: الفصل السابع عشر في علم التصوف، (٦٢٠/١).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه، بل هذا الترتيب والأعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية<sup>(١)</sup> ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس... وغير ذلك من الترتيب الذي ما نزل الله به من سلطان).<sup>(٢)</sup>

ويقول أيضاً: (وكل حديث يروى عن النبي ﷺ ، في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ولم يرد عن السلف).<sup>(٣)</sup>

#### ب - غلوهم في علي بن أبي طالب وأبنائه :

من الملاحظ أن سلاسل التصوف كلها - ما عدا النادر القليل منها - تنتهي إلى علي بن أبي طالب ﷺ ، دون سائر أصحاب رسول الله ﷺ .

ونجد أن في طرق إسنادها إلى علي ﷺ وأبنائه دون غيرهم، ومما يذكر أن رؤساءهم لهم اتصال وثيق وصلات وطيدة مع أئمة الرافضة، كما تذكره تراجمهم وسيرهم وأحوالهم، إضافة إلى الخرقه الصوفية التي لا يبدأ ذكرها إلا من علي ﷺ أيضاً.<sup>(٤)</sup>

---

(١) النصيرية: قالوا: إن الله حل في علي، رضي الله عنه، القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا، وبأن [الصلوات الخمس] عبارة عن خمسة أسماء، وهي: علي، وحسن، وحسين، ومحسن، وفاطمة. فذكر هذه الأسماء الخمسة علي رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة، والوضوء وبقية شروط الصلوات الخمسة وواجباتها، انظر: النصيرية طغاة سورية أو العلويون كما سماهم الفرنسيون، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ-)، دار الافتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، (٥/١) والتعريفات للجرجاني: (٢٤١/١) .

(٢) انظر: طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه، (٢٥١/١) .

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (١٦٧/١١) .

(٤) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص ١٤٧-١٥٨ .

فعليّ حسب كلام المتصوفة: (من أصحاب العلم، وممن يعلمون من الله ما لم يعلمه غيره).<sup>(١)</sup>

وهذا الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما يقارن بالغلو الشيعي فيه ، ليس بأقلّ منه في صورة من الصور. وإليه تنتسب سلاسل التصوف كلها كما قال محمد معصوم شيرازي الملقب بمعصوم علي شاه: (ولابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد ، ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين)<sup>(٢)</sup> لأنه (أزهد الصحابة عند المتصوفة)<sup>(٣)</sup> .

كما هو (رأس الفتوة وقطبها)<sup>(٤)</sup> فأول وليّ عند المتصوفة هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومنه إنتقل الولاية إلى غيره من الأولياء كما أنه أول إمام عند الشيعة ، وتسلسلت منه فورثها غيره ، وكذلك الفتوة والقطبية<sup>(٥)</sup> .

قال أبو العباس المرسي - تلميذ الشاذلي - : (طريقتنا هذه لا تُنسب للمشاركة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وهو أول الأقطاب).<sup>(٦)</sup> ويعتبر الرفاعيون<sup>(٧)</sup> أن الرفاعي زعيم طائفتهم هو الإمام الثالث عشر بعد الثاني عشر الموهوم، الذي لم يولد.<sup>(٨)</sup>

(١) الفتوحات المكية: ابن عربي، جـ ١، ص ٢٦٠.

(٢) انظر: طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه (٢٥١/١) .

(٣) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي ، (٢٦٧/١) .

(٤) طبقات الشعراي ، (٩٢/٢) .

(٥) التصوف المنشأ والمصادر ، لإحسان إلهي ظهير ، (١٥١/١) .

(٦) طبقات الشعراي، (١٤/٢) .

(٧) تنسب الطريقة الرفاعية إلى أحمد الرفاعي بن سلطان علي، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب، سكن في قرى البطائح بالعراق، وهذه الطريقة لا تنفك عن محدثات متنوعة، كاتخاذ الخرقه والأذكار المحدثه، وحوارق شيطانية ، انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن

جد تشابههم في ادعاء علم الغيب والعروج إلى السماء وتترُّل الملائكة عليهم: (٢)

يرى الشيعة أن الإمام علي كان يتزل عليه الوحي ويكلمه الله ويناجيه بلا حجاب، ثم توارث هذه الأوصاف خلفه من بعده إلى خاتم الأئمة، وقد ورد في كتاب (الكافي) للكلييني، وهو عندهم كالبخاري عند أهل السنة، أن جعفر الباقر الإمام المعصوم السادس لدى الشيعة قال: (وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر... ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله... ولقد أعطيت خصلاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب...). (٣)

ويرون كذلك أن أئمتهم أفضل من الأنبياء - كما صرح بذلك الكلييني - وأن الإمامة فوق النبوة. وقال الحميني مثل ذلك في كتابه ولاية الفقيه قال: (إن من ضروريات مذهبنا أنه لا ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل) (٤). وإذا رجعنا إلى آراء الصوفية المبتوثة في كتبهم نجد مطابقة لما عند الشيعة في هذه المعتقدات تماماً.

يقول الصوفي الكبير عبد القادر الحلي - المعروف بابن قضيب البان - : (كل ما حُصت به الأنبياء حُصت به الأولياء). (٥)

بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م، (٣٦٦/١)،  
ومناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، — د. عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، مطابع  
أضواء المنتدى، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م، (٧/١).  
(١) المجالس الرفاعية، أحمد الرفاعي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ص ٦.  
(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: من ص ١٥٩ حتى ص ١٨٥.  
(٣) الأصول من الكافي: (١٩٦/١-١٩٧)، طبعة إيران، نقلاً عن المرجع السابق ص ١٦٠.  
(٤) انظر: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧ هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور  
— باكستان، (٢٦/١)، والتصوف.. المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير (١٦١/١).  
(٥) المواقف الإلهية: ابن قضيب البان، ص ٢٠، ملحق بكتاب الإنسان الكامل لعبد الرحمن بدوي، طبعة وكالة  
المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦ م.

ونقل النفزي الرندي عن بعض المشائخ أنه قال: (إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها).<sup>(١)</sup>

ويقول ابن عربي: (إن القطب يتزل على قلبه الروح الأمين)<sup>(٢)</sup> ويعتقدون كذلك بعروج المتصوفة إلى السماء ووقوفهم بين يدي الرب ومناجاتهم له. يقول أحد المتقدمين من الصوفية نجم الدين كبرى - المقتول سنة ٦١٨ هـ - : (إنه ممن عرج به إلى السماء) أما ابن عربي فقد جعل عروجه محاكياً المعراج النبوي الشريف (في كتابه الإسراء). ومثل هذا الانحراف كثير في كتبهم.<sup>(٣)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وإنما هو من الأحوال الشيطانية، وأعرف من هؤلاء عدداً، ومنهم من كان يُحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يُؤتى بمال مسروق، تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدله على السرقات يُجعل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية، كانوا مناقضين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، كما يوجد في كلام صاحب الفتوحات المكية والفصوص»<sup>(٤)</sup>.

ولما حصل الاختلاف بين علماء بخارى في إمكان رؤية الله أم لا؟! تحاكموا عند شيخ الطريقة النقشبندية (شاه نقشبند) فقال للذين ينفون الرؤية: أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام

(١) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية: النفزي الرندي، ٢٦٢/١، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠ م.

(٢) انظر: مواقع النجوم: لابن عربي: الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر (١٠٢).

(٣) انظر: التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص ١٦٦ وما بعدها.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد

الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد

القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (١١٠/١).

متطهرين، فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا، فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا: آمنا أن الرؤية حق، ثم لم ينقطعوا عن خدمته.<sup>(١)</sup>  
ولا يجوز بحال أن يزعم أحد بأنه يرى ربه، وهذه فرية عظيمة يقشع لها بدن المؤمن، فهل يُعقل أن يقول الله لموسى الْكَلْبَلَاءُ : ﴿لن تراني﴾<sup>(٢)</sup> ويسمح لأمثال هؤلاء برويته؟! ولما سئلت السيدة عائشة ك : هل رأى محمد ربه؟ قالت: سبحان الله! لقد قف شعري لما قلت).<sup>(٣)</sup> .

وعنها - ك - أنها قالت: (من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية)<sup>(٤)</sup> .

ويزعم المتصوفة أنهم يطلعون على الغيب: (لأنه إذا انكشفت الحجب عن القلب، تجلى فيه شيء مما هو مستور في اللوح المحفوظ).<sup>(٥)</sup>  
ويقول أحد غلاتهم: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة)، (وإن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره).<sup>(٦)</sup>

(١) المواهب السمرمية: (١٤٥-١٤٦)، نقلاً عن النقشبندية: عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٢) سورة الأعراف: (١٤٣) .

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} [النجم: ١٣]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء: برقم (١٧٧)، (١٦٠/١) .

(٤) فتح الباري لابن حجر، ص ٦٠٨ .

(٥) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب: عماد الدين الأموي، وبها مسند قوت القلوب لأبي طالب، طبعة دار صادر، بيروت، ص ٢٦١ .

(٦) الإبريز: عبد العزيز الدباغ، طبعة مصر، ص ٢٤٢-٢٧٤ .

وهذا كله يتعارض مع بدهيات الإسلام، ومع قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلا أن غرائب المبتدعة وادّعاءاتهم تكاد لا تنتهي<sup>(٣)</sup>.

#### د- العصمة:

يختلف معناها عند الشيعة بحسب أطوار التشيع وتطوراتها، لكن يظهر أن مذهب الشيعة في عصمة الأئمة قد استقر على ما قرره شيخ الشيعة - في زمنه - المجلسي في قوله: «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة - عليهم السلام - من الذنوب - صغیرها وكبیرها - فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا الخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن بابويه - الملقب بالصدوق - عند الشيعة: (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة - عليهم السلام - أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً. ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر).<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الأنعام: (٥٩).

(٢) سورة هود: (٤٩).

(٣) انظر: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، الشيخ محمد حامد الناصر، (٢٣٦)، بتصرف.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥/٢١١، وانظر: مرآة العقول: ٤/٣٥٢.

(٥) اعتقادات الصدوق: ص ١٠٨، طبعة إيران نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر، (٢٠١/١).

وغلاة المتصوفة يصرحون بعصمة أوليائهم، فيذكر القشيري في رسالته عن أبي القاسم قال: «ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً»<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب موضحاً ضلال الطائفتين: (وكذلك الرافضة موصوفون بالغلو عند الأئمة... وهؤلاء الإمامية يدعون ثبوت إمامة عليّ بالنص، وأنه كان معصوماً، هو وكثير من ذريته... ومن جعل بعد الرسول معصوماً - يجب الإيمان بكل ما يقوله - فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها .

وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك، ويقولون: (الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباعه في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلاً، وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والإسماعيلية... ومعلوم أن كل هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام، للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها...)

وقد اتفق أهل العلم - أهل الكتاب والسنة - على أن كل شخص سوى الرسول يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى<sup>(٢)</sup>.



(١) الرسالة القشيرية : (٤١٦/٢) .

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (١٩١/٦) .

## الفصل الثالث

### بعض مظاهر الانحراف الفكري

#### عن المنهج النبوي

ويشمل ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : التبديع والتكفير .
- المبحث الثاني : الخلط في مفهوم الولاء والبراء .
- المبحث الثالث : الدعوة لفصل الدين عن الحياة ( العلمانية).

# المبحث الأول

## التبديع والتكفير

ويشمل ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : تعريف البدعة وضوابطها .
- المطلب الثاني : ظاهرة التكفير والتبديع والتفسيق والغلو فيها .
- المطلب الثالث : التكفير والفهم الخاطئ لبعض النصوص .

## المبحث الأول

### التبديع والتكفير

#### المطلب الأول

#### تعريف البدعة.

**البدعة في اللغة:** من بدع الشيء يبدعه بدعاً و ابتدعه أنشأه وبدأه، والبدع الشيء الذي يكون أولاً<sup>(١)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرِّسَالِ﴾<sup>(٢)</sup>، والبدع بالكسر الأمر الذي يكون أولاً<sup>(٣)</sup>، وبدع أبدع الشيء اخترعه لا على مثال<sup>(٤)</sup>، ومنه قوله تعالى ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٥)</sup>، فمدار معنى البدعة في اللغة يدور حول الإحداث والأولية.

**وأما في الاصطلاح:** فلقد وردت تعريفات عدة منها أن البدعة "هي الفعل المخالفة للسنة، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي" .<sup>(٦)</sup>، وعرفها الإمام الشاطبي - رحمه الله - بقوله: "فالبدعة إذن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"<sup>(٧)</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، (٦/٨) .

(٢) سورة الأحقاف (٩) .

(٣) القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م ، (٧٠٢/١) .

(٤) مختار الصحاح ، (٣٠/١) .

(٥) سورة البقرة (١١٧) .

(٦) كتاب التعريفات للجرجاني ، (٤٣/١) .

(٧) الاعتصام ، للشاطبي، (٢٤/١) .

- : "البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب"<sup>(١)</sup>. وجملة أقوال العلماء في تعريف البدعة يدور في فلك ما تقدم .

### ضوابط البدعة :

إن وقوع بعض التجوز في استعمال لفظ البدعة في كلام المتقدمين قد يوقع البعض في لبس وحيرة تجاه ما هو مذموم أو محمود من كل محدث جديد وقع بعد النبي ﷺ ، ومن ذلك ما استحدث من علوم النحو والحديث والتفسير، فهذه لم تكن موجودة زمن النبي ﷺ ، فهل يحكم عليها بالبدعة؟ وفي المقابل فإن البدعة المذمومة تتعلق بها أحكام وموجبات شرعية توجب بيان حدها بياناً شافياً ييسر التعامل معها بما يؤمن به جانبها، فلا تستشيري ولا تعود على دين الناس بالفساد. ولقد تكلم الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - كلاماً نفيساً في تحديد معالم وضوابط البدعة المذمومة ولكن كلامه جاء متناثراً، فعسى أن ييسر الله تعالى جمع هذه الضوابط في هذا الموضوع.

### ١- البدعة المذمومة يقصد بها الغلو في التعبد لله تعالى:

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : "قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"<sup>(٢)</sup>، قلت: ومن هذا قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾<sup>(٣)</sup>، فهذا الإخبار حقيقته أمرٌ بالعبادة، ويأبى الشيطان إلا أن يكون له في هذا الأمر مهالك ومصارع ينصب لبني آدم شركاءها، فإما أن يغويه إلى المعاصي فيقع في مهالك التقصير، وإما أن يدفعه إلى الغلو والاختراع والتقول على الله تعالى فيما يزين كونه عبادة وحقيقته مهلكة العبد، ذلك أن الله تعالى جعل العبادة موقوفة على أمر الله تعالى تأمل معي قول الله ﷻ : ﴿ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٦٧/٤) .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق

محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، (١١٦/١) .

(٣) سورة الذاريات : (٥٦) .

فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقون<sup>(١)</sup> ، فهذا إنكار من الله تعالى على النصارى في اختراع عبادة لم يكتبها أي لم يفرضها الله تعالى عليهم، والاستثناء في قوله تعالى : ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع، وهو يبين مقصود النصارى من هذه الطريقة المخترعة وهو بزعمهم طلب رضوان الله تعالى، قال ابن كثير - رحمه الله- : " وقوله تعالى ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ فيه قولان؛ أحدهما أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة، والآخر ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله"<sup>(٢)</sup>.

وفائدة هذا الضابط في تحرير مفهوم البدعة التمييز بينها وبين ما أحدث بعد عهد النبي ﷺ مما لا يراد به التعبد بذاته، قال الإمام الشاطبي: "وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات"<sup>(٣)</sup>، ومثال هذا وسائل الركوب والاتصال وكل ما دخل على حياة الناس من وسائل الراحة التي سخرها الله تعالى لنا، بل إن هذا القيد يُخرج من البدعة أيضاً أموراً حدثت بعد رسول الله ﷺ لا يقصد التعبد لله بذاتها، وإنما هي من الوسائل التي يوجد في أصول الشرع ما يدل على مشروعيتها لتخاذها لتحقيق مقصود الشرع، وذلك من باب أن الوسائل لها حكم المقاصد وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا دل الشرع على مقصد مشروع - كتسوية الصف في الصلاة - فلا مانع من اتخاذ وسيلة مباحة لتحقيق ذلك، طالما لم يرد التعبد بهذه الوسيلة وإن لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ، ومثال ذلك الخطوط التي ترسم في أرض المسجد فإن هذه لم تكن معروفة عهد النبي ﷺ، ومع ذلك فإنها لا تعتبر بدعة لأننا لا نتعبد لله بها، وإنما نتعبد لله بتسوية الصف وتتخذ هذه الخطوط وسيلة لضبط ذلك، وكذلك ركوب السيارة إلى المسجد لا يراد منه التعبد بركوب السيارة، وإنما يتعبد لله بالسعي إلى المسجد وتتخذ السيارة وسيلة لتحقيق هذا المقصد المشروع، ومن ذلك أيضاً علوم النحو والإعراب ونقط المصحف وإعجام

(١) سورة الحديد : (٢٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير، (٢٩/٨)

(٣) الاعتصام ، للشاطبي (٥٦/١) .

الحروف، فهي وسائل لحفظ القرآن الكريم ولكننا لا نتعبد لله تعالى بذاتها، وإنما نتعبد لله بالمقصد الذي تبلغنا إياه.

إن تحرير هذا الضابط مفيد جداً في التمييز ما بين البدع المذمومة والمستحدثات غير المذمومة، ويقطع دابر التشويش الذي يحدثه البعض حين يلبسون على الناس، فيوهمونهم أن دعاة الحق ممن يجارون البدعة يريدون أن يعودوا بالناس إلى عصر الدواب والحمير والبغال، وهذا التشويش إرجافٌ وتضليلٌ بلا ريب، فدعاة الحق في كل زمان ومكان - نسأل الله أن يجعلنا منهم - ليس لهم همٌ سوى حمل الناس على متابعة هدي النبوة، ثم ليستمتعوا بما أباحه وسخره الله تعالى لهم في الكون ما شاءوا، وهل كان ضلال أهل الكتاب إلا عندما فرطوا في هذه المتابعة فأحدثوا في دينهم وحرفوا كتاب ربهم حتى انتهى بهم الحال إلى عبادة العباد ومخالفة صراط رب العباد.<sup>(١)</sup>

## ٢- البدعة تكون

### في أصل السلوك أو في صفته:

وهذا القيد يبين لنا ماهية البدعة سواء أكانت قولاً أم فعلاً، فالبدعة قد تكون في إحداث أمرٍ لا أصل له في الدين مطلقاً، كثالوث النصراني الذي لا أصل له في الدين البتة، أو في إحداث صفةٍ على أمر له أصلٌ في الدين، كطواف مشركي العرب بالبيت عرارة لقولهم: لا تطوف بتياب عصينا الله فيها<sup>(٢)</sup>، فالطواف بالبيت له أصلٌ في ملة إبراهيم عليه السلام، ولكن المشركين أحدثوا صفاتٍ في بقايا الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام بمحض عقولهم وأهوائهم. وهذا الضابط مفيد جداً في تحرير الأعمال الموافقة للشرع، فقد قال شيخ

(١) البدع وأثرها السيء في الأمة د . وسيم فتح الله (٨) بتصرف يسير.

(٢) الاعتصام، للشاطبي (٥٤/١).

الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند ذكر شرط قبول العبادة : «ولا بد في عبادته من أصليين:

أحدهما: إخلاص الدين له، والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة<sup>(١)</sup>.

فمتى احتل واحد من هذين الشرطين احتل العمل ورُد نَسأل الله تعالى العافية من ذلك، ولئن كان حد البدعة واضحاً في الأمر المستحدث الذي لا أصل له في الدين، فإنه قد يلتبس على البعض بالنسبة لاستحداث صفة في العبادة التي لها أصل في الدين، ولقد نبه الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - على جملة من هذه الصفات التي تضاد الشرع في معرض تعليقه على قيد مضاهاة الشريعة الوارد في تعريف البدعة فذكر أموراً تضاد بها البدعة الطريقة الشرعية منها:

أ- وضع الحدود للعبادة: ومثال ذلك أن ينذر المكلف أن يصوم قائماً، أو يقتصر على صنف من المأكول والمشرب، أو يلتزم صنفاً من الملابس ونحوه.

ب- التزام كفيات وهيئات معينة: ومثال ذلك الذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، والرقص والهز مع الذكر ونحوه.

(١) التدمرية: ابن تيمية ، (٢٣٢/١) .

ج- التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يدل دليل الشرع على تفضيل أو تخصيص ذلك الوقت المعين : ومثال ذلك تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام وليلتها بالقيام.<sup>(١)</sup>

وهو ضابط مفيد جداً في تمييز كثير من البدع التي تشكل على الناس لأن لها أصل في الشرع ولكن بغير الصفة المقحمة فيها، ولعل التمسك بصفة العبادة الشرعية دون غلو وابتداع هو مقصود عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة"<sup>(٢)</sup>، ويفسره أيضاً قول حذيفة رضي الله عنه وكان مر بحلقة في المسجد: "اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه شمالاً ويميناً ضللتهم ضلالاً بعيداً أو قال مييناً"<sup>(٣)</sup>، قلت: ووضح من سياق الحال أن التنبيه والإنكار منصبٌ على صفة العبادة وإلا فإن أصل قراءة القرآن وتدارسه قد دل عليه دليل الشرع فتأمل.

### ٣- البدعة تكون فعلية أو تركية:

وهذا الضابط الثالث يراد منه بيان أن البدعة لا تقتصر على اقتراح ما ليس بمشروع، بل قد تكون البدعة بترك ما هو مشروع، إذا كان مقصود هذا الترك التعبد لله تعالى بذلك، ولقد نبه الإمام الشاطبي - رحمه الله - على هذا حيث أشار في تعليقه على تعريف البدعة إلى أنه يدخل في عموم لفظها البدعة التركية إضافة إلى البدعة غير التركية، قال - رحمه الله - : " فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريماً للمترك أو غير تحريم"<sup>(٤)</sup> ، ولكن مسألة الترك هذه بحاجة إلى تحرير، فليس كل ترك يعتبر بدعة، وإنما ينظر في هذا الذي تركه المكلف هل تركه لسبب معتبر شرعاً أو لا؟ فإن كان سبب الترك معتبر شرعاً -

(١) الاعتصام ، للشاطبي (٥٣/١) بتصرف

(٢) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الطبعة الثانية ، (٢٠٧/١٠) .

(٣) السنة ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، سالم أحمد السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ، (٣٠/١) .

(٤) الاعتصام ، للشاطبي ، (٥٧/١) .

كأن يترك طعاماً يضره في صحته- فهذا لا حرج فيه من جهة حفظ النفس، وهو مقصد معتبر شرعاً، أو تركه خشية الوقوع في المحذور كترك المتشابه استبرأً لدينه وعرضه فهذا لا حرج فيه من جهة حفظ الدين، وهو بلا شك مقصدٌ معتبر شرعاً، أما إن كان الترك بغير سبب معتبر، فلا يخلو من أن يكون مجرد عبث لا يقصد به التعبد أو يقصد به التعبد؛ أما الأول فلا يعتبر بدعة لانحرام الضابط الأول ولكن يجتريز من اعتقاد تحريم ما أحل الله، وأما الثاني فهو المقصود من وصف البدعة هنا وهو التعبد لله تعالى بترك ما أباحه الله تعالى، كأن يتعبد لله تعالى بترك لبس القطن أو بترك أكل الفاكهة، فالإقتصار في الأفعال والأحوال على ما يخالف محبة النفوس وحملها على ذلك في كل شيء؛ من غير استثناء. فهو من قبيل التشديد، ألا ترى أن الشارع أباح أشياء مما فيه قضاء نعمة النفس وتمتعها واستلذاذها؟ فلو كانت مخالفتها براً؛ لشرع، ولندب الناس إلى تركه، فلم يكن مباحاً، بل مندوب الترك أو مكروه الفعل<sup>(١)</sup> ومن أعظم الأدلة على ذلك، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٢)</sup>، قال الشوكاني: المراد بالسنة: الطريقة، والرغبة: الإعراض وأراد - صلى الله عليه وسلم - أن التارك لهديه القويم المائل إلى الرهبانية خارج عن الاتباع إلى الابتداع<sup>(٣)</sup> والنبي صلى الله عليه وسلم علل تعنت هؤلاء في

(١) الاعتصام، للشاطبي، (١/٤٤٣).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري، ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً. سير أعلام النبلاء (٣/٣٩٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٥/١٩٩٤)، حديث (٤٧٧٦).

(٤) نيل الأوطار، للشوكاني، (٦/١٢٣).

العبادة بتوهم كونه دليلاً على التقوى والخشية لله تعالى، فبين لهم وللأمة - صلوات الله وسلامه عليه - أن هذا التلازم موهومٌ وباطل، وأن حقيقة الخشية والتقوى هي الوقوف عند أمر الله عَلَيْكَ بدليل أنه صَلَّى هو أتقى هذه الأمة وأخشأها لله .

#### ٤- البدعة ما توافر دافعه وارتفع مانعه زمن النبوة:

لقد أشار الإمام الشاطبي في كتابه النفيس الموافقات إلى أمر دقيق جداً فيما يتعلق بسكوت الشارع عن تشريع أمرٍ ما، أو بيان شرعية العمل به مع قيام المعنى المقتضي له، حيث نبه إلى أن سكوت الشارع عن الحكم يكون على ضربين اثنين:

الضرب الأول: أن يسكت الشارع عن الحكم لأن الداعي إليه والمقتضي له لم يوجد زمن النبوة، وإنما حدثت النازلة المقتضية لهذا الحكم بعد رسول الله صَلَّى، وهذا القسم تجري فروعه على أصول الشرع المقررة، فيعرف الحكم من جهتها بالنظر الصحيح والقياس ونحوه، وما أحدثه السلف الصالح راجع إلى هذا القسم؛ كجمع المصحف، وتدوين العلم .

والضرب الثاني: هو ما سكت الشارع عنه مع وجود المقتضي له زمن النبي صَلَّى، فلم يقرر له حكماً زائداً على ما كان في زمانه صَلَّى، فهذا الضرب من السكوت فيه كالنص على أن قصد الشارع أن لا يزداد فيه ولا ينقص، لأنه لما كان هذا المعنى الموجب لتشريع الحكم العملي موجوداً ثم لم يشرع الحكم دلالةً عليه، كان ذلك صريحاً في أن الزائد على ما كان هنالك - أي زمن النبوة - بدعة زائدة ومخالفة لما قصده الشارع، ومثال هذا سجود الشكر في مذهب مالك، حيث سئل مالك عن الرجل يأتيه الأمر يحبه فيسجد لله عز وجل شكراً. فقال: لا يفعل، ليس هذا مما مضى من أمر الناس. قيل له: إن أبا بكر

الصديق فيما يذكرون سجد يوم اليمامة شكرا لله ؛ أفسمعت ذلك؟ قال: ما سمعت ذلك، وأنا أرى أن قد كذبوا على أبي بكر.<sup>(١)</sup>

بهذا تجتمع لنا أربعة ضوابط تبين لنا حد البدعة بياناً شافياً يمكن أن نلخصه بقولنا :  
البدعة هي التعبد لله تعالى بما ليس له أو لصفته أصل في الشرع بالفعل أو الترك وكان الداعي إليه موجوداً والمانع مفقوداً زمن الوحي<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين بالنظر أن كل بدعة وقعت في الأمة الإسلامية قد خالفت ضابط أو أكثر من هذه الضوابط .



(١) انظر : الموافقات ، للشاطبي (١٥٧/٣) ، بتصرف .

(٢) البدع وأثرها السيء في الأمة ، تأليف د . وسيم فتح الله (١٥) .

## المطلب الثاني

### ظاهرة التكفير والتبديع والتفسيق والغلو فيها

يجب أن يُعلم أن التكفير والتبديع والتفسيق أحكام شرعية لا يوصف بواحد منها إلا من وصفه الله ورسوله ﷺ بها، فليس لأحد أن يكفر أحداً أو يبدعه أو يفسقه إلا بدليل شرعي، لما ثبت عن جنادة بن أبي أمية<sup>(١)</sup> قال دخلنا على عبادة بن الصامت<sup>(٢)</sup> وهو مريض فقلنا : حدثنا - أصلحك الله - بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ فقال: (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين أن التكفير بحق هو ما قام عليه البرهان من عند الله تعالى أو من عند رسوله ﷺ ، وما جاء عن الرسول ﷺ هو كما جاء عن الله تعالى.

(١) جُنَادَةُ بن أبي أمية الأَزْدِيُّ أبو عبيد الله ، له صحبة نزل مصر، واسم أبي أمية كَبِيرٌ قاله البخاري، وتوفي سنة سبع وستين ومن عقبه بالكوفة مصعب بن عبيد الله بن جنادة ، معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٢/٦١٢) .

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، الأنصاري أبو الوليد شهد بدرا وكان أحد النقباء بالعقبة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي. وشهد المشاهد كلها بعد بدر. وشهد فتح مصر، وهو أول من ولي قضاء فلسطين، سير أعلام النبلاء ، (٥/٢) ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/١٢٩).

(٣) متفق عليه ، رواه البخاري ، كتاب الفتن ، باب: قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها ، (٤٧/٩) ، برقم (٧٠٥٦) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، (١٤٧٠/٣) ، برقم (١٧٠٩) .

وورد ما يؤكد هذا المعنى أيضا عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول قال رسول الله ﷺ : (أبما امرئ قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه) <sup>(١)</sup> .

والمكفر بغير حق من أخطر الناس ضرراً وشراً على الأمة ، وعلى الدين لما يترتب على غلوه في التكفير من سفك الدماء، وتشويه الإسلام والصد عن دين الله ولهذا كان من أعظم ما خافه النبي ﷺ على أمته المكفرون الغلاة فعن حذيفة رضي الله عنه <sup>(٢)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ : (إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان ردءاً للإسلام غيره إلى ما شاء الله فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك . قال : قلت : يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أم الرامي؟ قال: بل الرامي) <sup>(٣)</sup> .

يقول الشوكاني - رحمه الله - : اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار <sup>(٤)</sup>

قال شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله - : والأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهدا في

(١) متفق عليه رواه البخاري ، كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (٢٦/٨) ، برقم (٦١٠٤) ، ومسلم ، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال قول من قال لأخيه المسلم يا كافر ، (٧٩/١) ، برقم (٦٠)

(٢) حذيفة بن اليمان جِسْل بن جابر (واليمان لقب أبيه) يكنى أبا عبد الله، أسلم هو وأبو هـ وأرادا شهود بدر فصدّهما المشركون، وشهدا أحدا فاستشهد اليمان بها ، سير أعلام النبلاء ، (٣٦١/٢) ، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/١٤٢) .

(٣) رواه ابن حبان ، كتاب: الإيمان ، باب ذكر ما كان يتخوف النبي ﷺ جدال المنافق (٢٨٢/١) ، برقم (٨١) .

(٤) السيل الجرار ، للشوكاني (١/٩٧٨) .

طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام<sup>(١)</sup> .

وعليه فالتكفير والتبديع والتفسيق للمعين لا يجوز أن يصدر إلا من عالم تقي ورع يعلم ما يسوغ إطلاق هذا الوصف، حتى لا يحكم به حاكم على من لا يستحقه، إما بسبب الجهل وإما بسبب الهوى، وبهذا يعلم غلط كثير ممن اشتغل بتكفير المعينين أو تبديعهم وهو لا يزال في أوائل الطلب، لأنه من أسباب ظلم الناس، وشيوع الفتن والفرقة بين المسلمين بغير مسوغ شرعي.

### الغلو في التبديع :

من الآفات التي ابتلي بها المسلمون في هذه الأعصار آفة الغلو في التبديع، حتى بلغ بأهله إلى تبديع أهل السنة بغير حق من مشايخهم وإخوانهم، وإلى هجرهم، والتحذير منهم، بل بلغ بطائفة منهم إلى تبديع ثلثة من أئمة الإسلام ، ممن لا غنى لأهل العلم عن دواوينهم ومؤلفاتهم لما حشدوا فيها من علوم الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح، وقد بدعواهم بسبب أغلاط وقعوا فيها نسأل الله ﷻ أن يغفرها لهم لما لهم من الجميل وقدم الصدق في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وعدم التفريق بين أهل البدع وبين أهل العلم من أهل السنة الذين وقعوا في زلات هو الذي أدى إلى هذا الظلم الشنيع ، والتعدي المقيت على أولئك الأعلام .

ورى أنس بن مالك عن سعيد بن المسيب، بلغه عنه أنه كان يقول: «ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله» ، وقال غيره: « لا يسلم العالم من الخطأ، فمن أخطأ قليلا وأصاب كثيرا فهو عالم ومن أصاب قليلا وأخطأ كثيرا فهو جاهل »<sup>(٢)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٦٤٦/٢٣) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، (٨٢٠/٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - " وكثيرٌ من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح أن الله قال: ( قد فعلت ) " <sup>(٢)</sup>

وقال الإمام الذهبي : "ولو أنا كلما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفضاظة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن رجب : ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه<sup>(٤)</sup>.

### الغلو في التفسير:

ومن صورته تفسيق العالم إذا عرف عنه الدخول على الولاية، والدعاء لهم والثناء عليهم بالخير، والحث على السمع والطاعة لهم في المعروف، وهذا غلو وظلم وإفساد لأمر الدين والدنيا.

أما كونه غلوياً فلأنه تفسيق بغير مفسق، إذ دخول العلماء على ولاية الأمور ليس فسقاً بل هو من أجل الأعمال الصالحة إذا كان بقصد نصحه ومشورته والتعاون معه على البر والتقوى، لما يترتب عليه حينئذ من المصالح العامة للناس في دينهم ودنياهم مالا يخطر على البال، ونحن ندعو للسلطان أن يرزقه الله البطانة الصالحة الناصحة وخير البطانة العلماء الناصحون الصادقون الذين يدخلون عليه ويناصحونه فهذا الصنف من العلماء يشكرون على دخولهم على الأمراء بهذا القصد ولا يذمون به، وليس من شرط العالم أن يخبر الناس

(١) سورة البقرة (٢٨٦) .

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (١٩١/١٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، (٢٧/١١) .

(٤) القواعد لابن رجب، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، (٣/١) .

بما قال للسلطان كما في حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما قال : قيل له ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال: أترون أي لا أكلمه إلا أسمعكم؟! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه).<sup>(١)</sup>  
قال النووي رحمه الله موضحاً قصد أسامة قوله: «أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من أفتتحه» يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملاء<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي عياض : مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك ، بل يتلطف به وينصحه سراً فذلك أجدر بالقبول<sup>(٣)</sup>  
ولكن كثيراً من الناس مبتلون بسوء الظن فلا يظنون بالعالم الذي يداخل السلطان إلا أنه يداخله لديناه - والعياذ بالله - وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : (إياكم والظن فإنه أكذب الحديث)<sup>(٤)</sup>.

لقد كان جماعة من أئمة السلف وزراء لبعض أمراء المسلمين كالزهري<sup>(٥)</sup>، ورجاء بن حيوة<sup>(٦)</sup>، وكان منهم جماعة يدخلون عليهم ويناصحونهم وهذا حصل من جم غفير منهم.  
قال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> :

(١) رواه مسلم ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعل ، وينهى عن المنكر ويفعله ، (٢٢٩٠/٤) ، برقم (٢٩٨٩).

(٢) شرح النووي على مسلم ، باب : حفظ اللسان ، (١١٨/١٨) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، باب : قوله باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، (٥٢/١٣) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، برقم (٦٠٦٤) ، (١٩/٨) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب: تحريم الظن والتحاسس والتنافس والتناجش ونحوها (١٩٨٥/٤) ، برقم (٢٥٦٣) .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري من زهرة ، وكنيته أبو بكر "١٢٤-٥٠" سكن بأيلة ، كان إماماً ، حجة في الفقه والحديث . حريصاً على الطلب ، بصيراً بالقرآن ، حتى صار مرجع علماء الحجاز والشام ، وقال مالك : بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير ، انظر : تاريخ الثقات ، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ، دار الباز ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ، (٤١٢/١) .

(٦) رجاء بن حيوة الكندي الشامي كنيته أبو المقدم وقد قيل أبو بكر سكن فلسطين وربما سكن الأردن وكان من عباد أهل الشام وزهادهم وفقهائهم يروي عن أبي أمامة روى عنه بن عون وأهل الشام ، انظر : الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، طبع بإعانة : وزارة المعارف للحكومة العالبة الهندية ، تحت مراقبة : الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ ، (٢٣٧/٤) .

حدثنا أبي حدثني عبد المتعال بن صالح من أصحاب مالك قال قيل لمالك بن أنس: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟! قال: يرحمك الله. فأين التكلم بالحق؟<sup>(٢)</sup>  
 وروى البخاري في صحيحه عن سالم قال: كتب عبد الملك<sup>(٣)</sup> إلى الحجاج<sup>(٤)</sup> ألا يخالف ابن عمر في الحج ف جاء ابن عمر رضي الله عنهما وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس فصاح عند سرادق الحجاج فخرج وعليه ملحفة معصفرة فقال: ما لك يا أبا عبد الرحمن. فقال: الرواح إن كنت تريد السنة. قال: هذه الساعة. قال: نعم. قال: فأنظري حتى أفيض على رأسي ثم أخرج. فترل حتى خرج الحجاج فسار بيني وبين أبي فقلت إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة. وعجل الوقوف فجعل ينظر إلى عبد الله فلما رأى ذلك عبد الله قال: صدق<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن حجر في ذكر فوائد الخبر: وفيه مداخلة العلماء السلاطين وأنه لا نقيصة عليهم في ذلك<sup>(٦)</sup>.

وأما كونه ظلماً فلما فيه من الطعن في أعراض العلماء، والطعن في عرض آحاد المسلمين بغير حق كبيرة من الكبائر، فكيف إذا كان الطعن في عرض عالم من علماء

(١) عبد الرحمن بن أبي حاتم، العلامة الحافظ الإمام ابن الإمام، صاحب التصانيف، شيخ الإسلام، الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي. تاريخ الإسلام ت بشار (٥٣٣/٧).

(٢) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٣٠/١).

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، الخليفة، الفقيه، أبو الوليد الأموي. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٤٦/٤).

(٤) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أمير العراق، تاريخ الإسلام (١٠٧١/٢).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد-السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، (٣٣٧/٤).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٥١٢/٣).

المسلمين؟! يقول - عليه الصلاة والسلام - : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) <sup>(١)</sup>.

وأما كونه إفساداً: فلأنه إذا أشيع الطعن في العلماء بالفسق والفجور والمداهنة ونحو ذلك زهد فيهم الناس، وأعرضوا عنهم لا يسألونهم، ولا يرجعون إليهم، ولا يأخذون عنهم، فيتصيدهم رؤوس الجهالة والضلالة فيفتونهم بغير علم فيحصل من الفساد ما لا يعلمه إلا الله والله المستعان. <sup>(٢)</sup>



---

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب :تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، برقم (٢٥٦٤)، (١٩٨٦/٤) .

(٢) الغلو ومظاهره في الحياة المعاصرة ، علي بن يحيى الحدادي ، ١٤٢٥هـ ، بتصرف يسير .

## المطلب الثالث

### التكفير والفهم الخاطئ للنصوص الشرعية:

لعل من أهم ما أوقع بعض المسلمين في فتنة التكفير الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية، والجهل بدلالاتها الصحيحة، إذ رأى هؤلاء أن النصوص الشرعية وصفت بعض أصحاب المعاصي بالكفر، أو نفت عنهم اسم الإيمان، أو أخبرت باستحقاقهم الخلود في النار، ففهم هؤلاء أنها تشهد على أصحابها بالكفر، وأن هذا الكفر هو الكفر الأكبر المخرج من الملة، فكفروا بفهمهم المغلوط عموم المسلمين.

#### أولاً: النصوص التي صرحت بكفر العاصي

جاء في السنة النبوية وصف الكثير من المعاصي بالكفر، ففهم منه بعض أهل البدع وغيرهم من أهل الجهل تكفير أصحاب هذه الذنوب وتلك المعاصي، إذ لم يروا القرآن إلا متحدثاً عن الكفر الأكبر، ففاسوا ما في السنة عليه.

ومن هذه الأحاديث قول النبي ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت).<sup>(١)</sup>

وقوله ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما).<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: (أبما عبد أبق من مواليه فقد كفر، حتى يرجع إليهم).<sup>(٣)</sup>

وقوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).<sup>(١)</sup>

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، برقم (٦٧)، (٨٢/١)

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم (٦١٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، برقم (٦١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الأبق كافراً، برقم (٦٨)، والبيهقي في شعب الإيمان، في المقدمة، باب الإحسان إلى الممالك، برقم (٨٢٣٣)، واللفظ لمسلم.

ومثله ذم النبي ﷺ اقتتال المسلمين: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).<sup>(٢)</sup>  
قال الشوكاني<sup>(٣)</sup> وهو يعرض حجة من يفهم كفر أصحاب هذه الذنوب: "فإن قلت: قد ورد في السنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة الإسلام، وورد في السنة المطهرة ما يدل على كفر من كفر مسلماً، كما تقدم وورد في السنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلاً يخالف الشرع... وكل ذلك يفيد أن صدور شيء من هذه الأمور يوجب الكفر، وإن لم يرد قائله أو فاعله الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر".<sup>(٤)</sup>

### وقد بين أهل العلم أصولاً ينبغي أن يرجع إليها في فهم هذه النصوص :

أ- أن ما ورد في السنة من نصوص أطلقت الكفر على أصحاب بعض المعاصي لا يقاس على ما ورد في القرآن الكريم في مثل هذه الإطلاقات، إذ من عادة القرآن أن يطلق وصف الإيمان على أكمل المؤمنين صفات، وكذا أطلق الكفر على أقبح الكافرين فعلاً، فوصفه بالكفر لا يحتمل إلا الكفر الأكبر.

وعليه فقد تقرر عند العلماء التفريق بين إطلاقات الكفر في القرآن وتلك التي في السنة النبوية . يقول الشاطبي: " فكان القرآن آتياً بالغايات تنصيماً عليها، من حيث كان الحال والوقت يقتضي ذلك، ومنبهاً بها على ما هو دائر بين الطرفين.. فإنما أتى بهما في عبارات مطلقة تصدق على القليل يدل المساق على أن المراد أقصى المأموم أو المذموم في ذلك الإطلاق"<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) رواه البخاري ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ، برقم (٦٧٦٦) ، (١٥٦/٨) ، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب : بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ، برقم (٦٣) ، (٨٠/١).
- (٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن ، برقم(٦٠٤٤) ، (١٥/٨) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم . برقم (٦٤) ، (٨١/١) .
- (٣) الإمام العلامة المحدث محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٩٦) .
- (٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ل محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن حزم الطبعة الأولى، (١/٩٧٨-٩٧٩).
- (٥) الموافقات ، للشاطبي ، (٣/١٤٠-١٤١).

ب - صحيح أن الأصل في النصوص إجراؤها على ظواهرها، لكن التأويل محتمل في حقها، ويصار إليه منعاً للتعارض، الذي هو قرينة على أن أحد المعنيين غير مراد من النص

والقاعدة في ذلك أن اللفظ يؤخذ على ظاهره ما لم تصرفه قرينة، فإن وجدت قرينة تدل على صرف لفظ الكفر في الحديث عن معناه الأصلي وهو الكفر الأكبر، أمكن المصير إلى أنه كفوراً أصغر لثبوت إمكان ذلك في السنة الشريفة<sup>(١)</sup>.

ج - والنصوص التي احتج بها المكفرون بالذنوب معارضة معانيها الظاهرة بجملة من الحقائق منها :

النصوص التي شهدت بالإيمان للموحدين وإن ارتكبوا المعاصي، فإن ذلك لا يخرجهم عن الإيمان، بل يضعهم تحت المشيئة الإلهية، ولو كفروا لاستحقوا النار، يقول الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾<sup>(٢)</sup>، فكل المعاصي المذكورة في الأحاديث المشككة هي دون الشرك بالله، وهي تحت المشيئة، ففاعلها إذاً ليس بكافر، وعليه فمعناها الظاهر غير مراد.

فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (أنه ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكذلك قال عطاء: كفر دون كفر، وفسق دون فسق وظلم دون ظلم، وكما قال عليه السلام: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) أى كفر بما أمر به ألا يقتل بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup>.

(١) حقيقة الإيمان، طارق عبد الحليم، (١٥٢/١). بدون، المكتبة الشاملة .

(٢) سورة النساء : (٤٨) .

(٣) انظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال ، (١٠٣/٦) .

ولو كان الظاهر لازماً على كل حال للزم رجم أو جلد المتعطرة المستشرفة على الناس لوصف رسول الله ﷺ لها بأنها زانية<sup>(١)</sup>، ومثله قوله ﷺ: (المستبان شيطانان، يتهاثران، ويتكاذبان).<sup>(٢)</sup>، إذ لا يصح أن يعتبر المتسابان من ذرية إبليس، كما يفهم من ظاهر اللفظ.

- ومثله أحاديث كثيرة شهدت بالإسلام لمن قال لا إله إلا الله مخلصاً بما قلبه، منها قوله ﷺ: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟! قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟! قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟! قال: وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر)<sup>(٣)</sup>.

فمن كان معه أصل التوحيد وله ذنوب فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، ولا يُخلد في النار، لذلك لم يقل النبي ﷺ إلا دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال النووي-رحمه الله-: وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة أولاً وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفي عنه دخل أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار

(١) رواه النسائي، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الزينة، برقم (٩٣٦١)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي برقم (٥١٢٦).

(٢) رواه أحمد في المسند، مسند الشاميين، حديث عياض بن حمار برقم (١٧٤٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، باب المستبان يتهاثران.. برقم (٤٢٧)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الحذر والإباحة، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، برقم (٥٧٢٦) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ح (١٧٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس باب الثياب البيض (١٤٩/٧) برقم (٥٨٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً (٩٥/١) برقم (٩٤).

وخلد في الجنة والله أعلم وأما قوله صلى الله عليه وسلم وإن زنى وإن سرق فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة<sup>(١)</sup>.

إن الله ونبيه ﷺ شهدا لأصحاب هذه المعاصي بالإسلام، فالقاتل لأخيه المسلم سماه القرآن أحمًا للمقتول، في قوله: ﴿فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾<sup>(٢)</sup>، وكذا اعتبر الطائفتين المقتلتين من المؤمنين فقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾<sup>(٣)</sup> إلا من استحل قتل المؤمن، فإنه كافر<sup>(٤)</sup>.

وعليه فقوله ﷺ: ( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض )<sup>(٥)</sup>، وقوله (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).<sup>(٦)</sup> على غير ظاهره، وينصرف فيه لفظ الكفر إلى الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

ومثله في قوله ﷺ عن آتي الكاهن أو العراف غير المصدق له: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)<sup>(٧)</sup>، فهو يفيد إسلام من أتى العراف - غير المصدق له - بدليل قبول صلواته بعد الأربعين يوماً، ويحمل حديث تكفير آتي الكاهن على الكفر الأصغر جمعاً بين الحديثين.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (٩٧/٢).

(٢) سورة البقرة: (١٧٨).

(٣) سورة الحجرات: (٩).

(٤) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م، (٣٥/٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، برقم (٧٠٨٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، برقم (٦٥).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (٦٠٤٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، برقم (٦٤).

(٧) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم (٢٢٣٠).

قال المناوي<sup>(١)</sup> في شرح هذا الحديث: "تمسك به الخوارج على أصولهم الفاسدة في التكفير بالذنوب، ومذهب أهل السنة أنه لا يكفر، فمعناه قد كفر النعمة أي سترها، فإن اعتقد صدقه [أي الكاهن أو العراف] في دعواه الاطلاع على الغيب كفر حقيقة".<sup>(٢)</sup> كما أمر الله بإقامة الحدود على القاتل وغيره من أصحاب الذنوب، كل بقدره، وهو شهادة لأهلها بالإسلام، ولو كان الزاني قد خرج من الإسلام بزناه لقتل حداً على كل حال.

د - كما صرف العلماء هذه النصوص إلى أن المراد فيها التخليط أي أنها من جنس أفعال الكفار أو أريد منها أن استحلال هذه الذنوب هو من الكفر الأكبر، لا أن مجرد ارتكابها منه.

قال أبو عبيد بن سلام<sup>(٣)</sup>: "وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، وإنما وجوهها: أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون".<sup>(٤)</sup> قال المباركفوري<sup>(١)</sup>: "قوله: (من أتى حائضاً أو امرأةً في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمدٍ)<sup>(٢)</sup>. الظاهر أنه محمول على التخليط والتشديد كما قاله الترمذي. وقيل:

(١) المناوي قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد، شيخنا شيخ الإسلام، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، ولازم الشيخ ولي الدين العراقي، وتخرج به في الفقه والأصول، وسمع الحديث عليه، وعلى الشرف ابن الكويك، وتصدى للإفتاء والإفتاء وتخرج به الأعيان، وولي تدريس الشافعي وقضاء الديار المصري، وله تصانيف، منها شرح مختصر المزني. توفي ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، وهو آخر علماء الشافعية ومحققهم، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، (١/٤٤٥).

(٢) فيض القدير (٢٤/٦).

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو القنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/٤٩٠).

(٤) كتاب الأيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته"، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، باب: الخروج من الإيمان بالمعاصي (١/٨٦).

إن كان المراد الإتيان باستحلال وتصديق فالكفر محمول على ظاهره، وإن كان بدوئهما فهو على كفران النعمة".<sup>(٣)</sup>

قال ابن القيم: "والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة، فالسعي إما شكر وإما كفر، وإما ثالث لا من هذا ولا من هذا".<sup>(٤)</sup>  
وعن كفر من ادعى لغير أبيه قال النووي: "فيه تأويلان: أحدهما أنه في حق المستحلّ. والثاني: أنه كفر النعمة والإحسان وحقّ الله تعالى، وحقّ أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج من ملة الإسلام. وهذا كما قال ﷺ (يكفرن)<sup>(٥)</sup>، ثم فسره ﷺ بكفران الإحسان وكفران العشير".<sup>(٦)</sup>

قال الحافظ ابن حجر: "وقد ورد الكفر في الشرع بمعنى جحد النعم، وترك شكر المنعم، والقيام بحقه".<sup>(٧)</sup>

إذاً الجهل بدلالة لفظ الكفر في الشرع أوقع الغلاة في تكفير المسلمين لإتيانهم بعض المعاصي التي وسم الله فاعلها بالكفر - أي الكفر الأصغر - وجمع النصوص إلى بعضها كفيل برفع شبهة المكفّرين لكل من أطلق عليه الشرع كلمة الكفر، إذ المفهوم الخاطئ لهذا

(١) عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري، عالم، فقيه، محدث، تلقى علومه على كبار الأساتذة في الهند، وتخرج عام ١٣٤٥ هـ في المدرسة الرحمانية في دلهي وعُيّن مدرساً فيها، واضطر أثناء استقلال الهند إلى ملازمة بيته والاشتغال بالتأليف والإفتاء، تكملة معجم المؤلفين (ص: ٣٦٨).

(٢) رواه الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، برقم (١٣٥)، (٢٤٢/١)، والنسائي، كتاب عشرة النساء، باب: ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك، برقم (٨٩٦٧)، (٢٠١/٨)، وغيرهم وصححه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لأبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١/٣٥٥).

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، (١/٣٣٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: كفران العشير وكفر دون كفر، برقم (٢٩).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، (٢/٦٦).

(٧) فتح الباري، لابن حجر، (١٠/٤٦٦).

الإطلاق يجعل نصوص الشرع متعارضة متناقضة، والحق أن النصوص الشرعية يصدق بعضها بعضاً ، والواجب جمع النصوص بعضها إلى بعض، وإعمالها جميعاً بمزيد من التبصر في دلالات ألفاظها ومآلات عباراتها.

### ثانياً : النصوص التي صرحت باستحقاق العاصي للنار أو حرمت عليه الجنة :

ويحتج أهل التكفير بالمعاصي بآيات القرآن في مواضع متعددة من كتاب الله، شهد فيها أن معصية الله ورسوله تُدخل النار ، وتكتب للعاصي الخلود فيها كقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾<sup>(٣)</sup>، ونحوه قوله تعالى عن القاتل: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾<sup>(٤)</sup>.

وكذا جاء في السنة مثل ذلك، فحكّم النبي ﷺ بتحريم الجنة أو الحكم بالنار لبعض أصحاب المعاصي، ومنه قوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام)<sup>(٥)</sup>، ونحوه قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)<sup>(٦)</sup>. وكذا قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة النساء: (١٤).

(٢) سورة الجن: (٢٣) .

(٣) سورة البقرة : (٨١) .

(٤) سورة النساء : (٩٣) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الفرائض ، باب : من ادعى إلى غير أبيه ، برقم (٦٧٦٦)، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ، برقم (٦٣) .

(٦) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان تحريم إبداء الجار برقم (٤٦) ، (١/٦٨).

(٧) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : غلظ تحريم إسبال الإزار برقم (١٠٦) ، (١/١٠٢). والنسائي ، كتاب البيوع ، باب التجارة ، برقم (٤٤٥٨) ، وغيرهم

وأمثال هذا كثير في السنة، ففهم منه من أخطأ الفهم أن أصحاب المعاصي سيدخلون النار ويخلدون فيها، لأن اللجنة عليهم حرام.

لكن منهج أهل السنة والجماعة في فهم النصوص يقوم على جمعها والنظر فيها للخروج منها بفهم يوفق بينها، ويُعملها جميعاً ولا يهملها، إذ هذه النصوص يصدق بعضها بعضاً، بينما يكثر في مناهج أهل البدع ضرب النصوص بعضها ببعض، فتتعطل دلالاتها، ويأخذون منها ويذرون حسب أهوائهم.

فالنصوص السابقة لا يمكن حملها على إطلاقها، لورود نصوص أخرى تفيد بتحريم النار والحكم بالجنة لكل من شهد شهادة التوحيد، منها قوله ﷺ: ( من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار).<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)<sup>(٢)</sup> وأمثالهما.

قال أبو سليمان الخطابي<sup>(٣)</sup> مبيناً منهج أهل السنة في فهم النصوص والجمع بينها: "القرآن كله بمثلة الكلمة الواحدة، وما تقدم نزوله وما تأخر في وجوب العمل به سواء ما لم يقع بين الأول والآخر منافاة، ولو جمع بين قوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾<sup>(٤)</sup> ، وبين قوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾<sup>(٥)</sup> وألحق به قوله: ﴿من يشاء﴾ لم يكن متناقضاً، فشرط المشيئة قائم في الذنوب كلها ما عدا الشرك.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان، برقم (٢٩)، السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخير عبادة في ذلك، برقم (١٠١٠٩)، (٤١٤/٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله يا هل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٤/١٦٥) برقم (٣٤٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان، برقم (٢٨)، (٥٧/١) واللفظ للبخاري.

(٣) حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن خطاب، الإمام أبو سُلَيْمَانَ الخطَّابي البُسْتِي الفقيه الأديب. [المتوفى: ٣٨٨ هـ]، مصنف كتاب "معالم السنن"، وكتاب "غريب الحديث"، وكتاب "شرح أسماء الله الحُسنى" وكتاب "الغنية عن الكلام وأهله"، وكتاب "العزلة"، وغير ذلك من التصانيف. تاريخ الإسلام ت بشار (٨/٦٣٢).

(٤) سورة النساء: (٤٨)

(٥) سورة النساء: (٩٣)

وأيضاً فإن قوله: ﴿فجزاؤه جهنم﴾ يحتمل أن يكون معناه: فجزاؤه جهنم إن جازاه الله ولم يعف عنه، فالآية الأولى خبر لا يقع فيه الخُلف، والآية الأخرى وعد يرجى فيه العفو".<sup>(١)</sup>

ويقول الطبري<sup>(٢)</sup> في سياق حديثه عن قاتل النفس المتوعد بالخلود في النار: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه - إن جزاه - جهنم خالداً فيها، ولكنه يعفو أو يتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه - عز ذكره - إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجها منها بفضله، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾<sup>(٣)</sup>".<sup>(٤)</sup>

وأيضاً منعاً للتعارض تأول العلماء نصوص تحريم الجنة على العصاة بتأويلات، يقول النووي في سياق شرحه لحديث تحريم الجنة على مؤذ جيرانه: " ففيه جوابان: أحدهما: أنه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه، فهذا كافر لا يدخلها أصلاً، والثاني: معناه: جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر، ثم قد يجازى، وقد يعفى عنه، فيدخلها أولاً".<sup>(٥)</sup>

إذاً يمكننا أن نقول: إن العاصي المتوعد بحرمانه الجنة لا يدخل الجنة ابتداءً، والجنة عليه حرام ابتداءً، لكنه غير محجوب عنها بالكلية، ونحو ذلك.

(١) شعب الإيمان للبيهقي، كتاب حشر الناس بعد ما يعثون، فصل في بيان كبائر الذنوب برقم (٢٩٣) (٤٦٨/١).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وجزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحداً، وفيات الأعيان (٤/١٩١).

(٣) سورة الزمر: (٥٣).

(٤) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٦٩/٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢).

وفي المقابل فإن من شهد بالشهادتين ولم ينقضهما كتب الله له الأمان من الخلود في النار، لكن دخولها ابتداءً ممكن لأهل الكبائر، وهو متعلق بمشيئة الله، إن شاء أدخله النار بعدله قبل أن يدخله الجنة، وإن شاء تجاوز عنه وعفا برحمته.

وهذا المنهج الوسط لأهل السنة وسط بين إفراط الوعيدية من الخوارج الذين يحكمون بجرمان أصحاب المعاصي من الجنة، ويرون المعصية تخرج من الدين وتوجب لصاحبها النار، وبين تفريط المرجئة الذين يرون أن الإيمان لا تضره المعصية، ولا تقدر فيه ولا تؤثر. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معنى حديث تحريم الجنة على من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر: "قوله: (لا يدخل الجنة) متضمن لكونه ليس من أهلها ولا مستحقاً لها، لكن إن تاب أو كانت له حسنات ماحية لذنبه، أو ابتلاه الله بمصائب كفر بها خطاياها ونحو ذلك، زال ثمره هذا الكبر المانع له من الجنة، فدخلها، أو غفر الله له بفضل رحمته من ذلك الكبر من نفسه، فلا يدخلها ومعه شيء من الكبر.

ولهذا قال من قال في هذا الحديث وغيره: إن المنفي هو الدخول المطلق الذي لا يكون معه عذاب، لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة... فإذا تبين هذا كان معناه: أن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ليس هو من أهل الجنة ولا يدخلها بلا عذاب، بل هو مستحق للعذاب لكبره، كما يستحقها غيره من أهل الكبائر، ولكن قد يعذب في النار ما شاء الله، ولا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد، وهذا كقوله: (لا يدخل الجنة قاطع رحم).<sup>(١)</sup> وأمثال هذا من أحاديث الوعيد..

فالرجل الذي معه شيء من الإيمان وله كبائر قد يدخل النار، ثم يخرج منها إما بشفاعة النبي وإما بغير ذلك كما قال ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).<sup>(٢)</sup> وكما في الصحيح أنه ﷺ قال: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان).<sup>(٣)</sup>

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٦٧٨/٧-٦٧٩).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في الشفاعة، برقم (٢٤٣٥)، وأبوداود، كتاب السنة، باب في الشفاعة، برقم (٤٧٣٩)، وغيرهم، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم (٢٢) (١٣/١).

وهكذا الوعيد في قاتل النفس والزاني وشارب الخمر وأكل مال اليتيم وشاهد الزور وغير هؤلاء من أهل الكبائر، فإن هؤلاء وإن لم يكونوا كفاراً، لكنهم ليسوا من المستحقين للجنة الموعودين بها بلا عقاب، ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة، بل لهم حسنات وسيئات، يستحقون هذا العقاب، وهذا الثواب".<sup>(١)</sup>

ومرة أخرى نرى أن جمع النصوص إلى بعضها يبين حقائق معانيها ويزيل الشبهة عما يلبس من معانيها، فإن الذي حكم بالنار لبعض أصحاب المعاصي - هو نفسه تبارك وتعالى - فتح لهم باب الرجاء في رحمته، ووعد التائبين منهم بالحسنى وزيادة، بل قد تسبق رحمته إلى ذلك العبد فيكون في رحمته من غير توبة منه، بل بشفاعة الشافعين وجود أرحم الراحمين.

#### ثالثاً: النصوص التي أسقطت عن العاصي اسم الإيمان :

ومما تعلق به المسارعون إلى التكفير أن النصوص الشرعية رفعت عن بعض أصحاب المعاصي اسم الإيمان، فاستلزم ذلك وصفهم بالكفر، لأن الكفر والإيمان نقيضان، حيث رفع الأول ثبت الآخر.

من هذه النصوص قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).<sup>(٢)</sup> وفي رواية: (إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان، وكان عليه كالظلة، فإذا ألقع رجع إليه الإيمان).<sup>(٣)</sup>

ومثله قوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).<sup>(٤)</sup>

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٦٧٨/٧-٦٧٩).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب: إثم الزناه برقم (٦٨١٠) ، (١٦٤/٨) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب: بيان نقصان الإيمان ، برقم (٥٧) ، (٧٦/١) .

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة ، باب : الدليل على زيادة الإيمان برقم (٤٦٩٠) السلسلة الصحيحة للألباني (٥٠٩)

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان ، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم(١٣) ، ومسلم، كتاب الإيمان ، باب: الدليل على أن من خصال الخير أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، برقم (٤٥) ، (٦٧/١).

فالزنا وعدم محبة الخير للمؤمن يناقضان الإيمان - حسب ظاهر النص - وعليه قاسوا غيرها من المعاصي، فصار مرتكب المعصية عندهم كافراً، لأنه ليس مؤمناً بنص وظاهر قول النبي ﷺ.

لكن المحققين من أهل السنة والجماعة ردوا هذا الفهم الظاهري الضعيف للنصوص بدلالة نصوص أخرى جمعوها إليها، وخلصوا منها إلى فهم يُعمل جميع النصوص ولا يهملها، ولا يضرب بعضها ببعض.

فلئن وصف الزاني بعدم الإيمان فإن النبي ﷺ لم يرفع عنه أصل الإيمان، لأنه شهد بإمكانه دخول الجنة، ففي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر) <sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: "وفي الحديث أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وأن الكبائر لا تسلب اسم الإيمان، وأن غير الموحدين لا يدخلون الجنة، والحكمة في الاقتصار على الزنا والسرق الإشارة إلى حق الله تعالى وحق العباد، وكأن أبا ذر استحضر قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) لأن ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر.

لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السنة بحمل هذا على الإيمان الكامل، وبحمل حديث الباب على عدم التخليد في النار" <sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس باب الثياب البيض (١٤٩/٧) برقم (٥٨٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان باب من

مات لا يشرك بالله شيئاً (٩٥/١) برقم (٩٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (١١١/٣).

قال النووي: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة".<sup>(١)</sup> وقال ابن تيمية: "قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) فنفي عنه الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة، ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه، وهذا معنى قولهم: نفي كمال الإيمان لا حقيقته، أي الكمال الواجب، ليس هو الكمال المستحب..".<sup>(٢)</sup>

قال أبو عبيد بن سلام: "إن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم".<sup>(٣)</sup>

ومما يدلل صحة هذا الفهم أن الله شرع الرجم والجلد للزاني، ولو كان كافراً لكان حكمه الاستتابة ثم القتل. يقول ابن تيمية: "ويقال للخوارج: الذي نفي عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الإيمان، هو من لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام، بل عاقب هذا بالجلد، وهذا بالقطع، ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحصن، ولم يقتله قتل المرتد، فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة، وهذا يرحم بالحجارة بلا استتابة.

فدل ذلك على أنه وإن نفي عنهم الإيمان، فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم، وليسوا كالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر".<sup>(٤)</sup>

وقال المروزي<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : "معنى ذلك كله أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمناً مستكمل الإيمان لأنه قد ترك بعض الإيمان، فنفي عنه الإيمان، يريد به الإيمان الكامل

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٨).

(٣) الإيمان (١/ ٧٨).

(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٧/ ٢٩٨).

. وإقامة الحدود عليه دليل على أن الإيمان لم يزل كله عنه، ولا اسمه، ولولا ذلك لوجب استتابته، وقتله، وسقطت عنه الحدود".<sup>(٢)</sup>

واستدل ابن عبد البر لصحة هذا التأويل بإجماع العلماء على التوارث مع الزاني: "يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر - إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام - من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم، أوضح الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج".<sup>(٣)</sup>

أما النووي فإنه ينقل الإجماع على عدم كفر الزاني، وبه يستدل على صحة التأويل لألفاظ نفي الإيمان، فيقول: "وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق)، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يعصوا....

فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك، لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان.. وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة".<sup>(٥)</sup>

(١) مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمُرْزِي، الْإِمَامُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (١٤/٣٣).

(٢) تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ (٥٧٥/٢).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ (٢٤٣/٩ - ٢٤٤).  
(٤) النساء: (٤٨).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٤١).

وعن حكم هذا العاصي واسمه يقول: «ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم»<sup>(١)</sup>.  
وأما الإمام أحمد ومن وافقه من المحدثين، فإنهم حكموا بإسلام الزاني وأضرابه، لكنهم توقفوا في إطلاق اسم الإيمان عليه، وقد رفعه النبي ﷺ بقوله السالف، وأثبتوا له اسم الإسلام وأحكامه، فقال أحمد: "من أتى هذه الأربعة: الزنا والسرقه وشرب الخمر والنهبة التي يرفع الناس فيها أبصارهم إليه، أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم، ولا أسميه مؤمناً، ومن أتى دون الكبائر نسّميه مؤمناً ناقص الإيمان.

فإن صاحب هذا القول يقول: لما نفى عنه النبي ﷺ الإيمان نفى عنه، كما نفاه عنه الرسول ﷺ، والرسول لم ينفه إلا عن صاحب كبيرة، وإلا فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفّرة بفعله للحسنات واجتنابه للكبائر، لكنه ناقص الإيمان عمن اجتنب الصغائر، فما أتى بالإيمان الواجب، ولكن خلطه بسيئات كفرت عنه بغيرها، ونقصت بذلك درجته عمن لم يأت بذلك"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فلئن رفعت النصوص اسم الإيمان عن بعض العصاة فإنها عاملتهم معاملة المؤمنين، وحين أقامت عليهم الحدود حكمت بإسلامهم، ولم تسقط عنهم حقاً من حقوق الإسلام، فدل ذلك على أن المنفي هو كمال الإيمان، لا أصله وحقيقته<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٥٢/٣).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٣٥٢/٧ - ٣٥٣).

(٣) التكفير وضوابطه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، (٤٥/١).

## المبحث الثالث

### الخلط في مفهوم الولاء والبراء

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولاء والبراء .

المطلب الثاني : أدلة وجوب عقيدة الولاء والبراء  
ومكانتها في الشريعة .

المطلب الثالث : أسباب الإنحراف في فهم عقيدة الولاء  
والبراء .

## المبحث الثالث

### الخلط في مفهوم الولاء والبراء

#### المطلب الأول

#### تعريف الولاء والبراء :

الولاء في اللغة: جاء في لسان العرب: الموالاتة - كما قال ابن الأعرابي - : إن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه.

والمولى: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرب، والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحِب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. (١) ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرَة والمحبة.

تعريف البراء في اللغة: قال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلص، وبرئ، إذا تتره وتباعده، وبرئ: إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢). أي إعدار وإنذار. وليلة البراء: ليلة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر (٣).

تعريف الولاء في الاصطلاح: الولاية هي النصرَة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (٤) (٥).

فموالاتة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا (٦) تعريف البراء في الاصطلاح: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعدار والإنذار.

(١) لسان العرب لابن منظور (٤٠٩/١٥).

(٢) سورة التوبة : (١).

(٣) لسان العرب (٣٣/١).

(٤) كتاب الإيمان ، لنعيم ياسين ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٤٥).

(٥) شرح الطحاوية (ص٤٠٣) وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٢٢).

(٦) كتاب الإيمان ، لنعيم ياسين (ص١٤٥).

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له. كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾<sup>(١)</sup> فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث «ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»<sup>(٢)</sup>.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « أصل الموالاتة هي المحبة ، كما أن أصل المعادة البغض. فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق ، والتباغض يوجب التبعاد والاختلاف »<sup>(٣)</sup>

فالولاء والبراء في الاصطلاح الشرعي هو محبة الله ورسوله ﷺ ونصرة دينه بتحقيق التوحيد وإفراده بالعبودية ، مع بغض ومعادة كل ما يعبد من دون الله من الطواغيت والآلهة والأنداد والأهواء.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «والموالاتة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم»<sup>(٤)</sup>. ويقول - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(٥)</sup>: "فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الممتحنة (١) .

(٢) الفرقان لابن تيمية (١٠/١) ، أما الحديث فقد رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب التواضع ، برقم : (٦٥٠٢) (١٠٥/٨) ، بلفظ : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) .

(٣) قاعدة في المحبة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر (١٩٨/١). وجامع الرسائل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، (٣٨٤/٢) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم : (١٨٣/١) .

(٥) سورة المجادلة : (٢٢) .

(٦) الفتاوى الكبرى لابن تيمية : (١٧/٧) .

وبهذا يُعلم أن أساس التكفير في باب الولاء والبراء هو على أعمال القلوب لا على آثارها، فإذا اجتمع عمل الجوارح والقلب حكم به ، وإذا اختلفا فالحكم لعمل القلب دون عمل الجوارح ؛ لأنه قد يظهر من المسلم ما يدل على ولاء ظاهر للكافرين أو ترك ولاء ظاهر للمسلمين فيحكم عليه هنا بالعصيان لا بالكفر إذا لم يكن فعله صادراً عن ولاء قلبي كما في قصة حاطب رضي الله عنه وغيرها.

- وقال ابن عطية عند قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> : "ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر ، واستحقاق النعمة والخلود في النار ، ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ، ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه"<sup>(٢)</sup>.

- قال ابن العربي : "قوله تعالى : ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾<sup>(٣)</sup> يعني في الظاهر ؛ لأن قلب حاطب كان سليماً بالتوحيد بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : (أما صاحبكم فقد صدق)، وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده"<sup>(٤)</sup>.

- قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٥)</sup> : "فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان

(١) سورة المائدة : (٥١) .

(٢) المحرر الوجيز : (٢٠٤/٢) .

(٣) سورة الممتحنة : (١) .

(٤) أحكام القرآن ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، (٢٢٥/٤) .

(٥) سورة الممتحنة : (٨-٩) .

والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة ، أو لأجل الإنسانية على وجه لا يخل بدين الإنسان"<sup>(١)</sup>.



---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٣٩/١) .

## المطلب الثاني

### أدلة وجوب عقيدة الولاء والبراء ومكانتها في الشريعة

لابد من ذكر معتقد أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء حتى يخرج بذلك أرباب البدع والأهواء التي لا تستند إلى دليل قوي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه - وإن ظلمه - فإن الظلم لا يقطع الموالاتة الإيمانية . قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾<sup>(١)</sup> فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغى، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك. فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأولياته والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأولياته والإهانة والعقاب لأعدائه. وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاتة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم<sup>(٢)</sup> .

ويجب على كل مسلم يدين بكلمة التوحيد أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها؛ فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم .

قال ابن القيم - رحمه الله - : البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

(١) سورة الحجرات (٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ، الحسبة ، باب حق التعزير على ترك الواجبات وفعل المنكرات ، ( ٢٨ / ٢٠٨ -

وَحَدَهُ<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال أيضا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾<sup>(٣)</sup> وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، إلى آخرها ، وهذه براءة منهم ومن معبودهم ، وسماها براءة من الشرك<sup>(٥)</sup>

فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وأهل السنة والجماعة يتبرأون ممن حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>. قال البغوي: إن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته<sup>(٧)</sup>.

ويمثلون لهيه تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الممتحنة: (٤) .

(٢) سورة الزخرف: (٢٦) .

(٣) سورة الأنعام: (٧٨-٧٩) .

(٤) سورة الكافرون: (٢-١) .

(٥) مدارج السالكين ، لابن القيم: (١٨٦/١) .

(٦) سورة المجادلة: (٢٢) .

(٧) انظر: تفسير البغوي ، (٥٠/٥) .

(٨) سورة التوبة: (٢٣-٢٤) .

والولاء والبراء شرط من شروط الإيمان بالله ورسوله : كما قال تعالى : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ \* وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية : "فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، لا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب" <sup>(٢)</sup> وهذه ليست في أهل الكتاب فقط كما يترله بعض الناس ، بل شاملة لجميع أهل الكفر الأصليين كاليهود والنصارى ، أو المنتسبين للإسلام ممن يعبدون الطواغيت ويدعون الأولياء ويذبحون للقبور ويسألون أهلها المدد ، ومع ذلك يواليهم كثير من الناس وينصرونهم ربما على أهل التوحيد ، ويدافعون عنهم ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾<sup>(٣)</sup> . فإن القاعدة في ذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(٤)</sup> .

ومذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الولاء والبراء كما قال ابن تيمية في الفتاوى : (الحمد والذم والحب والبغض والموالات والمعاداة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقال: ﴿ يَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(١) سورة المائدة : (٨٠-٨١) .

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية : (١٧/٧) .

(٣) سورة القمر : (٤٣) .

(٤) انظر : الموافقات ، للشاطبي ، (٤/٣٩-٤٢) .

(٥) سورة المائدة : (٥٥-٥٦) .

تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاتة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة. ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمرتبة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاتة والمعاداة، كما قالت المرجئة، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>. فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغى، ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاتة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم بشهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض، ويتوارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

وأما الأدلة من السنة فكثيرة أيضاً نذكر منها، أمّا في الولاء، فيقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»<sup>(٥)</sup>، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يُسْلِمُهُ»<sup>(٦)</sup>، وقال ﷺ: «المؤمن

(١) سورة المائدة: (٥١) .

(٢) سورة التوبة: (٧١) .

(٣) سورة الحجرات: (٩-١٠) .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية، الأمر بلزوم الجماعة والائتلاف والنهي عن البدعة والاختلاف، (٣/٢٨٥) .

(٥) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين (٤/١٩٩٩) (رقم ٢٥٨٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٣) .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (رقم ٢٤٤٢)،

(٣/١٢٨)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (رقم ٢٥٨٠)، (٤/١٩٩٦) .

للمؤمن كالبنيان يشدّ بَعْضُهُ بَعْضاً»<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(٢)</sup> .  
وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أي عرى الإيمان-أظنه قال- أوثق؟»  
قال: الله ورسوله أعلم؟ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»<sup>(٣)</sup> .

فمن أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يذوق عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك، وأما عامة مؤاخاة الناس اليوم فقد صارت على أمر الدنيا، وذلك لا يغني عنهم شيئاً.

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان : كما قال ﷺ : "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَالَوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ"<sup>(٤)</sup> . وقال العلامة ابن القيم : "وهذا الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو إثبات تأله القلب لله ، ومحبه ونفي تأله لغيره وكرهته فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب إليه ويخافه ويرجوه ، حتى يترك عبادة غيره والتوكل عليه والإنابة إليه وخوفه ورجاءه ويبغض ذلك"<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب: تشبيك الأصابع في المسجد، برقم (٤٨١) ، (١٠٣/١) ، مسلم ، كتاب

البر والصلة والآداب ، باب: تراحم المؤمنين ، برقم (٢٥٨٥) ، (١٩٩٩/٤) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، (رقم ٥٤) ، (٧٤/١) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ، المقدمة ، باب دليل على أن الطاعات كلها إيمان (١٠٤/١) ، السلسلة الصحيحة للألباني (٩٩٨)

(٤) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب: حلاوة الإيمان برقم (١٦) ، مسلم، كتاب الإيمان ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، برقم (٤٣) ، (٦٦/١) .

(٥) شفاء العليل ، لابن القيم ، (١٧٠/١) .

وأما في البراء، فيقول ﷺ، «في حديث جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء ليباعه على الإسلام، فقال جريرٌ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، اشترط عليّ، فقال ﷺ: «أبايعك على أن تعبد الله ولا تُشركَ به شيئاً، وتُقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتنصحَ المسلم، وتفارقَ المشرك» وفي رواية: «وتبرأ من الكافر»<sup>(١)</sup>.

ومن العجب أن تجد كثيراً من الدعوات الحركية الدينية المعاصرة اليوم لا تأبه للولاء والبراء على عقيدة التوحيد بل الولاء والبراء على الجماعة أو الدعوة الحزبية فيجتمع السني والقبورى الصوفي والرافضي لأن رابطة العصبية أقوى عندهم من رابطة التوحيد ، بل يصرح كبارهم بأن اليهود والنصارى إخوة لهم لأن العدواة التي بينهم وبين اليهود والنصارى ليست دينية بل عداوة على الأرض فحسب. كذلك تجد من يوالي عباد القبور والأضرحة باسم الجهاد ، وتحت مظلة يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ونعمل فيما اتفقنا عليه ، في الوقت الذي يتبرأ من أهل التوحيد السلفيين باسم إنكار المنكرات. مع أن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> . ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» ، وقد أخذ من قوله ﷺ فيما رواه الشيخان : «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» ، أن كل من نصر الله به التوحيد فحبه إيمان وبغضه نفاق ولو أخطأ ؛ لأن الأنصار ليسوا بمعصومين ، بل صدر من بعضهم ألفاظ خطيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، من حديث جرير بن عبد الله ، برقم (١٩١٥٣) .

(٢) سورة النساء : (٤٨) .

(٣) مختصر حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة بين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، د. عصام بن عبد الله

السناني، ١٤٢٦هـ.



## المطلب الثالث

### أسباب الانحراف في فهم عقيدة الولاء والبراء

إن عقيدة الولاء والبراء كسائر عقائد الإسلام ، وأهل السنة فيها بين الغالي والجافي ، وعدم الفهم الصحيح للنصوص الشرعية ومقاصد الشريعة فيها مع التعجل أو وجود الهوى أحد الأسباب التي أدت إلى الوقوع في تكفير المسلمين ، واستحلال دمائهم بحجة موالات الكفار ، ولم يفرقوا بين ما يكون من الأعمال كفرة أو فسقا أو مباحا. وذلك لعدة أسباب منها :

**الأول: التكفير بالأعمال الظاهرة التي تخالف موجبات الولاء والبراء:** وذلك بسبب عدم فهم مناط التكفير في الولاء والبراء والذي هو عمَل القلب، فمجرد النصر العَمَلِيَّة للكفار على المسلمين وحدها لا يُمكن أن يُكفَّرَ بها المسلم ؛ لاحتمال أن صاحبها مازال يُحبُّ دين الإسلام ويتمنى نصرته، لكن ضَعْفَ إيمانه جعله يُقدِّمُ أمراً دنيوياً ومصلاً عاجلة على الآخرة . أما حُبُّ الكافر لكُفْرِهِ، أو تَمَنِّي نصرته دين الكفار على دين المسلمين، فهذا هو الكفر في الولاء والبراء .

ودليل ذلك : «قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، عندما كاتب كفار مكة سراً، يخبرهم بعزم رسول الله ﷺ أن يغزوهم، وعلم النبي ﷺ بذلك، فقال له ﷺ : (يا حاطب، ما هذا؟! ) ، قال: لا تعجل علي يا رسول الله! إني كنتُ أمراً مُلصقاً في قريش (وكان حليفاً لهم، ليس من أنفسهم) ، وكان ممن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون أهلهم، فأحببتُ- إذ فاتني ذلك من النسب فيهم- أن أتخذَ فيهم يداً، يحمون بها قرابتي. ولم أفعله كُفْراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ : (صدق) . فقال عمر: دَعْنِي- يا رسول الله - أضربْ عُنُقَ هذا المنافق؟ فقال ﷺ : (إنه قد شهد بدرًا، وما يُدريك، لعلَّ الله اطلَّعَ على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم)»<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب: الجاسوس برقم (٣٠٠٧) ، (٥٩/٤)، مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر برقم (٢٤٩٤) ، (١٩٤١/٤) .

وقد صرّح شيخ الإسلام ابن تيمية : أن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة ذنبٌ وليس كُفراً<sup>(١)</sup>.

قال الطبري - رحمه الله - : في حديث حاطب بن أبي بلتعة من الفقه أن الإمام إذا ظهر من رجل من أهل الستر على أنه قد كاتب عدوا من المشركين يندرهم ببعض ما أسره المسلمون فيهم من عزم، ولم يكن الكاتب معروفا بالسفه والغش للإسلام وأهله، وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات؛ فحائز العفو عنه كما فعله الرسول بحاطب من عفوه عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله. وهذا نظير الخبر الذي روت عمرة عن عائشة أن الرسول قال: (أقبلوا ذوى الهيئات عثراهم إلا الحدود)<sup>(٢)</sup> فإن ظن ظان أن صفحه (صلى الله عليه وسلم) إنما كان لما أعلمه الله من صدقه، ولا يجوز لمن بعد الرسول أن يعلم ذلك، فقد ظن خطأ؛ لأن أحكام الله في عباده إنما تجرى على ما ظهر منهم. وقد أخبر الله نبيه عن المنافقين الذين كانوا بين ظهراني أصحابه مقيمين معتقدين الكفر، وعرفه إياهم بأعيانهم، ثم لم ييح له قتلهم وسبيهم؛ إذ كانوا يظهرن الإسلام بألسنتهم، فكذلك الحكم في كل أحد من خلق الله أن يؤخذ بما ظهر لا بما بطن<sup>(٣)</sup>.

وكما في حديث أبي سعيد الخدري<sup>رضي الله عنه</sup> حين قال ذو الخويصرة : "إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُريدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ". فَقَالَ <sup>رضي الله عنه</sup> : "فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"<sup>(٤)</sup>، في رواية "لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ". قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مثل هذا العطاء للتأليف على الإسلام : "وإنما ينكره ذوو الدين الفاسد كذي

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (٧ / ٥٢٢ - ٥٢٣) .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الحدود ، باب في الحد يشفع فيه ، برقم (٤٣٧٥) .

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ، (١٦٢/٥)

(٤) رواه البخاري ، كتاب : استنابة المرتدين والمعاندين وقتلهم ، باب قتل الخوارج والملحدن ، برقم (٦٩٣١) ،

(١٦/٩) ، ومسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤) ، (٧٤٣/٢) .

الخويرة الذي أنكره على النبي ﷺ حتى قال فيه ما قال ، وكذلك حزبه الخوارج أنكروا على أمير المؤمنين عليّ ﷺ ما قصد به المصلحة من التحكيم ومحو اسمه ، وما تركه من سبي نساء المسلمين وصبياتهم ، وهؤلاء أمر النبي ﷺ بقتالهم لأن معهم ديناً فاسداً لا يصلح به دنيا ولا آخرة<sup>(١)</sup> وقال الآجري: " والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً ، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين"<sup>(٢)</sup> .

وقال بعض الأئمة : إن من سعادة الأعجمي والعربي إذا أسلما أن يوفقا لصاحب سنة، وإن من شقاوتهما أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة "<sup>(٣)</sup> .

وكذلك لما قسم ﷺ غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم وقال : "فَأَنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ"<sup>(٤)</sup> ، فتعجل حدثاء السن وأطلقوا العبارات ، فقالوا : يَعْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُ الْأَنْصَارَ ، وَسَيُوفِنَا تَقَطُّرٌ مِنْ دِمَائِهِمْ . وقد عذرهم ، ﷺ فقال : "فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْدِرَانِكُمْ" . وإنما عذرهم ﷺ لأنهم لم يقولوا ذلك شكاً بعدل النبي ﷺ ، وإنما ظناً بأن ما فعله كان من باب الاجتهاد الذي يمكن أن يراجع فيه ، كما أشار لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٥)</sup> . ولسابقتهم وجهادهم ونصرتهم لهذا

(١) السياسة الشرعية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، (٤٥/١) .

(٢) الشريعة : للآجري، باب : ذم الخوارج وسوء مذاهبهم (٢٢٦/١) .

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، باب: كتاب العقائد ، (٤٧٥/١) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف برقم (٤٣٣١) ، (١٥٨/٥) ، ومسلم، كتاب الزكاة ، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم، برقم (١٠٥٩) ، (٧٣٣/٢) .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، : (١٨١/١) .

الدين ، كما قيل لأهل بدر: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ". قال ابن القيم : "فإنه يعفى للمُحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ، ويسامح بما لا يسامح به غيره" (١) .

فقد عفا عنهم النبي ﷺ لحسن سرائرهم ولما لهم من سابقة في الإسلام . بخلاف من طعن في عدل النبي ﷺ صراحة وظهر منه ما يدل على سوء ظنه وقال ما قال اعتقادا بالقلب لا باللسان وحده ، فأما حاطب فأخبر بحبه لله ولرسوله وأقره على ذلك النبي فكان هناك فرق بينه وبين ذو الخويصرة .

**الثاني: التطبيق الخاطئ لمفهوم البراء من الكفار:** كاستباحة دماء الذميين أو المعاهدين أو أموالهم، أو معاملتهم بغلظةٍ وعُنفٍ من دون سبب يُسوِّغُ ذلك؛ إلا ادّعاء أن هذا هو مقتضى الولاء والبراء . مع أن الرفق واللطف بهم هو المأمور به، بشرط أن لا يدلّ على عُلو الكافر على المسلم .

فقد قال ﷺ : «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (٢) وقال أيضاً : «من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» (٣) .

وقال ﷺ : «استوصوا بأهل الذمة خيرا» وقال في حديث آخر : «استوصوا بالقبط خيرا» (٤) فلا بد من الجمع بين هذه النصوص وإن الإحسان لأهل الذمة مطلوب وأن التودد والموالاتة منهي عنهما والبابان ملتبسان فيحتاجان إلى الفرق وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم لأنهم في حوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله -

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، (٣٣٧/١) .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، برقم (٣٠٥٢)، صححه الألباني .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الديات ، باب : باب من قتل ذمياً بغير جرم ، برقم (٦٩١٤) .

(٤) رواه ابن حبان ، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ، برقم (٦٦٧٧) ، بلفظ : إِنَّكُمْ ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ، فَإِنَّهُ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ يَأْذَنُ اللَّهُ يعني قبط مصر، وقال الأرنؤوط : مرسل ، وذكره الألباني في الصحيحة وقال صحيح على شرط الشيخين بلفظ : ( إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً ) ، برقم (١٣٧٤) ، عن كعب بن مالك .

صلى الله عليه وسلم - ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذمة دين الإسلام .

وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة وحكى في ذلك إجماع الأمة فقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال<sup>(١)</sup> .

وإنما أتى هؤلاء من أحد أمرين : الأول: عدم شمول النظرة إلى أدلة الكتاب والسنة والتي أمرت بأداب وأخلاقٍ تُعاملُ بها غير المسلمين. ولكن انطلقوا في تطبيقهم للبراء بغير قيدٍ أو ضابط، الثاني: عدم مراعاة فقه المصالح والمفاسد، بأن درءَ المفسدة مقدّمٌ على جلب المصلحة، وأنه تُدفعُ أشد المفسدتين بأخفهما.

**الثالث : أخذ أقوال الأئمة مجاملة وإنزالها على غير مرادهم :** فذهبوا إلى عبارات أو استدلالات نزلت في الكفار أو في بعض من أقيمت عليهم الحجة فأنزلوها على المسلمين، كما فعلت الخوارج وكان ابن عمر، يراهم شرار خلق الله، وقال: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين»<sup>(٢)</sup> فحرفوا معاني كتاب الله عز وجل بحملهم الآيات على غير ما أنزلت له، وكذلك حرفوا كلام الأئمة وأنزلوها على غير مرادهم .

قال الشيخان محمد بن عبد اللطيف وعبد الله العنقري : "فواجب على كل مكلف، أخذ الدين عن أهله، كما أُسندَ عن ابن سيرين: **إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ.**

(١) الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ، عالم الكتب، (١٤/٣) .

(٢) البخاري ، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب : قتل الخوارج والملحدين ، برقم (٦٩٣٠) ، (١٦/٩) .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، عَنِ النَّخَعِيِّ قَالَ: كَانُوا إِذَا أَتَوْا الرَّجُلَ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ، نَظَرُوا إِلَى سَمْتِهِ، وَإِلَى صَلَاتِهِ، وَإِلَى حَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ<sup>(١)</sup>، فأما من تعلق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المحققين، ولم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه، وربما قال: حجتنا مجموعة التوحيد، أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام، فإن هذا جهل وضلال. ومن المعلوم: أن أعظم الكلام وأصححه كلام الله العزيز؛ فلو قال إنسان: ما نقبل إلا القرآن، وتعلق بظاهر لفظ لا يعرف معناه، أو أوله على غير تأويله فقد ضاهى الخوارج المارقين، فإذا كان هذا حال من اكتفى بالقرآن عن السنة، فكيف بمن تعلق بألفاظ الكتب، وهو لا يعرف معناها، ولا ما يراد بألفاظها؟! والكتب أيضا فيها من الأحاديث: الصحيح والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فإذا لم يأخذ العامي عن العلماء النقاد، الذين هم للحديث بمنزلة الصيارفة للذهب والفضة، خبط خبط عشواء، وتاه في وادي جهالة عمياء... إذا عرف هذا تبين أن الذي يدعي أنه يستغني بمجموعة التوحيد عن الأخذ عن علماء المسلمين مخطئ، لأن النبي ﷺ ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء، فإذا ذهب العلماء واتخذ الناس رؤساء جهالاً، وسألوهم وأخذوا بفتواهم، ضلوا وأضلوا، عيادا بالله<sup>(٢)</sup>.

- وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>: (يعني: معهم في الحقيقة؛ يوالوهم ويسرون إليهم بالموودة، ويقولون لهم إذا حلوا بهم: إنا معكم. فهذا هو الذي أوجب كفرهم لا مجرد المخالطة). فالواجب على المسلم التبصر وأخذ العلم عن أهله، وأما أخذ العلم بفهمه هو من الكتب، فهذا غير نافع، ولأن العلم لا يتلقى إلا من مظانه وأهله، قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، (٣٥٣/١).

(٢) الدرر السننية في الأجوبة النجدية، (١٣٥/٩).

(٣) سورة النساء: (١٤٤).

(٤) سورة النحل: (٤٣).

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(٢)</sup>﴾<sup>(٣)</sup>



---

(١) سورة النساء : (٨٣) .

(٢) سورة النساء : (٥٩) .

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٥٩/٩) .

## المبحث الثالث

### الدعوة لفصل الدين عن الحياة (العلمانية)

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العلمانية وحقبة تسميتها بهذا الاسم .

المطلب الثاني : أسباب قيام العلمانية .

المطلب الثالث : أسباب رفض العلمانية

المطلب الرابع : العلمانية والفهم الخاطيء لبعض النصوص الشرعية

## المبحث الثالث

### الدعوة لفصل الدين عن الحياة ( العلمانية )

#### المطلب الأول

**تعريف العلمانية وحقبة تسميتها بهذا الاسم .**

**تعريف العلمانية :** من أصح تعاريفها وأقربها إلى الحقيقة هو: أن العلمانية مذهب هدام يُراد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها<sup>(١)</sup>.

وكلمة العلمانية اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين<sup>(٢)</sup>.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقائه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة والله سلطة الكنيسة . وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح من قوله: "إعط ما لقيصر وما لله لله". أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٢/٦٨٣).

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري - ناصر العقل، الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ - دار الصميعي - الرياض ص (١٠٣).

(٣) سورة الأنعام (١٦٢).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ، (٢/٦٧٩).

### حقيقة تسميتها بهذا الاسم :

يجب البدء أولاً ببيان حقيقة التسمية، وبيان صحة نسبتها إلى العلم، فهل هي كذلك؟ لقد انخدع الناس بتسمية العلمانية بهذا الاسم، ولا يزال أنصارها يتبحّون بها ويتطاولون بتعاليمها مغترين بها حيث وجدت لها سوقاً رائجة لدى فئات مُمّن قلّت معرفتهم ، أو كانت لهم أهدافاً شريرة ضد الدين لعزله عن قيادة البشر ، أو التحاكم إليه لإحلال تعاليم عبدة الأوثان وأصحاب الأحقاد محله. (١)

فاسم "العلمانية" يوحي بأن العلم والدين ضدان وإن الصراع قائم بينهما، كما يوحي بأن الدين لا علاقة له بالدنيا، وأن التمسك به يعني التأخر والرجعية والجهل، وهذا خطأ فاحش لأن الدين - الذي هو الإسلام - هو دين العلم والسعادة والتقدم، وهذا لا يخفى على الغربيين أنفسهم - فضلاً عن المسلمين - إن الإسلام هو الذي فتح لهم آفاق العلم والاختراع والتقدم والحضارة. (٢)



(١) انظر : نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي ، محمد زين الهادي ، دار العاصمة ١٩٨٧ ص ٢٣ .

(٢) العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة:

العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، المبحث الثاني : التضييل والخداع (٣٣٦/١) .

## المطلب الثاني

### أسباب قيام العلمانية

قامت العلمانية أول ما قامت في أوروبا وذلك لأسباب عديدة منها:

#### أولاً: الطغيان الكنسي:

فالكنييسة طغت، وتجبرت، وأصبحت تفرض على الناس العقائد الباطلة التي لا تتفق مع نقل ولا عقل، كعقيدة العشاء الرباني<sup>(١)</sup>، وعقيدة التثليث<sup>(٢)</sup>، وعقيدة الخطيئة الموروثة<sup>(٣)</sup>، والصلب والفداء<sup>(٤)</sup>.

كما أنها أصبحت تحرم، وتحلل، حسب ما يتفق وأهواء رجال الدين. وعززت الكنييسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله مثل حق الغفران، وحق الحرمان، وحق التحلة<sup>(٥)</sup>.

ولم تتردد الكنييسة في استعمال هذه الحقوق واستغلالها، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية صكوك الغفران، وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحاً مخيفاً للأفراد والشعوب في آن واحد؛ فأما الذين تعرضوا له من الأفراد فلا حصر لهم، منهم الملوك أمثال: فردريك، وهنري الرابع الألماني، وهنري الثاني الإنجليزي، ورجال الدين المخالفين مثل:

---

(١) العشاء الرباني أو القربان المقدس: هو قطع من الخبز مع كأس من الخمر، يتناوله النصارى في الكنييسة رمزاً وتذكيراً لصلب المسيح عندهم. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (٣٤٣/١).

(٢) التثليث عقيدة نصرانية حبيثة تقوم على أساس جعل الآلهة ثلاثة وهم: الأب والابن وروح القدس، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (١٦/١).

(٣) المسيحية، أحمد شليبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨م، ص ١٥٤.

(٤) يعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوباً، ويعللون ذلك بأنه صلب فداء للبشر؛ لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها، فانقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضاً، فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم، موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

(٥) العلمانية وموقف الإسلام منها، (٣٤٤/١).

أريوس حتى لوثر، والعلماء والباحثون المخالفون لآراء الكنيسة من برونو إلى آرنست رينان وأضرابه.

أما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل خلاف بين الملك يوحنا ملك الإنجليز، وبين البابا، فحرمه البابا وحرّم أمته، فعطلت الكنائس من الصلاة، ومنعت عقود الزواج، وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة، وعاش الناس حالة من الهيجان، والاضطراب، حتى عاد يوحنا صاغراً يقر بخطيئته، ويطلب الغفران من البابا. ولما رأى البابا ذلك، وصدق توبته رفع الحرمان عنه وعن أمته<sup>(١)</sup>.

أما التّحلّة؛ فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين، وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة - مصلحتها - ذلك<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد لاسيما بعد أن اتضح للكنيسة الأثر الإسلامي الظاهر في الآراء المخالفة، فأنشأت ذلك الغول البشع، والشبح المرعب، الذي أطلق عليه اسم (محاكم التفتيش) تلك المحاكم التي عملت على إبادة المسلمين، أو المخالفين لآراء الكنيسة. ولا يكاد المؤرخون الغربيون يتعرضون للحديث عنها إلا ويصيهم الاضطراب، وتتفجر كلماتهم رعباً، فما بالك بالضحايا الذين أزهدت أرواحهم، والسجناء الذين أذقتهم ألوان المر والنكال<sup>(٣)</sup>.

وكانت المحكمة عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب، وآلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري، وكان الزبانية يبدؤون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم.

(١) حريه الفكر وابطالها في التاريخ ، لسلامه موسي ، طبعه مصر سنه ١٩٢٧ (٥٦) .

(٢) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ، لهربرت جورج ويلز، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة المصرية للكتاب (٨٩٦/٣) .

(٣) العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة، (١٣١/١) .

وكان لدى المحكمة آلات تعذيبية أخرى منها آلة على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة، يلقون الضحية في التابوت، ثم يطبقونه عليه، فيتمزق جسمه إرباً إرباً، وآلات كالكلايب تغرز في لسان المعذب، ثم تشد، فتقصه قطعة قطعة، وتغرز في أئداء النساء حتى تنقطع كذلك، وصور أخرى تتغرز منها النفوس، وتشمئز لذكرها<sup>(١)</sup>. كل ما سبق جعل الناس يؤمنون بالمسيحية قسراً دون أن يتجرأ أحد على مناوئتها أو مخالفتها.

أضف إلى ما سبق ما حصل من طغيان الكنيسة السياسي، حيث فرضت وصايتها على الملوك، وجعلت معيار صلاحهم معلقاً بما يقدمون للكنيسة من طاعة وانقياد. أضف إلى ذلك الطغيان المالي، ويمكن تلخيص مظاهر الطغيان الكنيسي في هذا المجال بما يلي:

١- **الأملك الإقطاعية:** حيث أصبحت الكنيسة أكبر مُلاك الأراضي، وأكبر الإقطاعيين في أوروبا، فكانت أملاكها الزمنية: أي المادية، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلب بالعار كل مسيحي متمسك بدينه، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين ومصدراً للجدل والعنف بين الأباطرة والبابوات<sup>(٢)</sup>

٢- **الأوقاف:** فلقد كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة، بدعوى أنها تصرف عائداتها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية.

إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net (١٤٣/١، ٢٣٢).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١٤/٤٢٩).

(٣) انظر: تاريخ أوروبا لفيشر (٢/٣٦٢-٣٦٤).

٣- **العشور:** حيث فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة العشور، وبفضلها كانت الكنيسة تضمن حصولها على عشر ما تغله الأراضي الزراعية، والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين<sup>(١)</sup>.

٤- **ضريبة السنة الأولى:** فالكنيسة لم تقنع بالأوقاف، والعشور، بل فرضت الرسوم، والضرائب الأخرى، لاسيما في الحالات الاستثنائية؛ كالحروب الصليبية، والمواسم المقدسة، وظلت ترهق كاهل رعاياها.

فلما تولى البابا حنا الثاني والعشرون جاء ببدعة جديدة هي (ضريبة السنة الأولى). وهي مجموع الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية، والإقطاعية تدفع للكنيسة بصفة إجبارية، وبذلك ضمنت الكنيسة مورداً مالياً جديداً<sup>(٢)</sup>.

٥- **الهبات والعطايا:** وذلك أن الكنيسة كانت تحظى بالكثير من العطايا والهبات، يقدمها الأثرياء الإقطاعيون؛ تملقاً ورياءاً، أو بدافع من الصدقة والإحسان<sup>(٣)</sup>.

٦- **العمل المجاني - السخرة:** وذلك بقيام بعض الناس بالعمل لخدمة الكنيسة بالمجان مدة محددة، هي في الغالب يوم واحد في الأسبوع دون مقابل<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

فلقد قام الصراع بين الكنيسة والحقائق العلمية على أشده، فقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم في الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية، فكانت الكنيسة منصة المحاضرة والصحافة والنشر والمكتبة والمدرسة والكلية<sup>(٥)</sup>، فكانت الكنيسة بسلطانها القوي في القرون الوسطى لا تقبل فكر أو رأي لا تكون هي مصدره فتحكمت في عقول الناس

(١) انظر: تاريخ أوربا لفيشر (٢/٣٦٢-٣٦٤).

(٢) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، تأليف: ه. ج. ولز، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة المصرية للكتاب (٣/٩١٣).

(٣) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، (٣/٩١٣).

(٤) انظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود الرحيلي، (١/٣٤٩).

(٥) افكار ورجال: قصة الفكر الغربي، برنتن، كرين، ترجمة محمود محمود، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965،

بعد أن أعطاهما الدين - دين المسيحية الذي اصطنعته- أن تتحكم في ضمائرهم وقلوبهم<sup>(١)</sup> ، ومن هنا اصطدمت حقائق العلم بزيوف الكنيسة؛ فقامت الكنيسة بالقبض عليهم، وتكذيبهم، ومحاربة أفكارهم.

ومن ثم نشأت الفكرة القائلة: إن العلم لا صلة له بالدين، وإن الدين يجارب العلم.

**ثالثاً:** الاضطرابات والثورات التي قامت في أوروبا: كالثورة الفرنسية، وغيرها .

**رابعاً:** شيوع المذاهب والأنظمة الاجتماعية والنظريات الهدامة كنظرية التطور وغيرها.

**خامساً:** الخواء الروحي عند الأوروبيين؛ ذلك لأن النصرانية المحرفة لا تزكي الروح، ولا تخلص أتباعها من الأسئلة القاتلة داخل النفوس حول الكون، والإله، والمصير، وما إلى ذلك.

**سادساً:** غياب المنهج الصحيح عن الساحة الأوروبية، وهو الإسلام.

**سابعاً:** تقصير أمة الإسلام في أداء رسالتها تجاه البشرية.

**ثامناً:** خلو الأناجيل المحرفة من أي تصوّر محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي أو علمي.

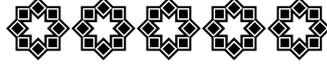
**تاسعاً:** المكر اليهودي الذي يحرص على إنشاء المذاهب الهدامة، أو احتوائها؛ رغبة من اليهود في إفساد البشرية وجعلها حمراً يمتطونها.

كل هذه العوامل جعلت من الدين رمزاً للتسلط، والتجبر، والطغيان، والجهل والخرافة، ومحاربة العلم؛ فما الحل إذًا؟

الحل الذي ارتآه أن الدين حجر عثرة أمام التطور، والمطلوب نبذه وإقصاؤه عن الحياة، ومن هنا قامت العلمانية.

وكان جديراً بهؤلاء الذين قاوموا هذه الكنيسة أن يبحثوا عن المنهج الحق الذي يشجع العلم ولا يقف ضده، بل هو دين العلم ألا وهو الإسلام. ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل، والله في ذلك حكمة<sup>(١)</sup> .

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفكر الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٦هـ ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ، (٤٢٨) .



---

(١) انظر : رسائل في الأديان والفرق والمذاهب ، لمحمد الحمد ، ص ٤٧٨ .

## المطلب الثالث

### أسباب رفض العلمانية

- أن الشرع لله ابتداءً، وأن شريعة الله هي العليا.. وأن مقتضى ذلك ألا يكون معها شريعة أخرى، وإلا فمعنى ذلك هو الشرك، واتخاذ الآلهة مع الله، والعبادة للأرباب المتفرقين.

- إن العلمانية تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وقبول التحليل والتحريم من غير الله كفر وشرك مخرج من الملة، فلا بد لنا من رفض العلمانية لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام. «فمن أحاز اتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب عزله، وانحلت بيعته، وحرمت طاعته، لأنه في هذه الحال يستحق وصف الكفر»<sup>(١)</sup>.

- إن العلمانية ليست معصية ولكنها كفر بواح، وقبول الكفر والرضا به كفر.. ولذلك فلا بد لنا من رفض العلمانية وعدم الرضا بها لنبقى في دين الله، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام.

- إن الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً من الكتاب والسنة — هذه الأنظمة — تفتقد الشرعية فهي « تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، .. حتى لو كان في بعضها ما لا يخالف الإسلام فإن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوروبا ولمبادئها وقواعدها وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه»<sup>(٢)</sup> فموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة.. إنه يرفض هذه الأنظمة، ويرفض الاعتراف لها بأيّ شرعية.

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، لمحمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعلبي، تحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية، (٥٠٧) بتصرف

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٣٥١/٤).

- إن العلمانية هي أقصى درجات التخلف العقيدي، والذي تنشأ منه كل ألوان التخلف الأخرى.. وهذا التخلف يولد احتياجاً، والاحتياج يولد تبعية.. ولذلك فنحن نرفض العلمانية لأنها سبب التخلف والتبعية.

- إن العلمانية يحكم في ظلها الأراذل والعملاء، وينتج عنها ظواهر اغتراب، وفقدان انتماء، فيؤدي ذلك إلى استنزاف الطاقات، وضياع الجهود، وفساد عريض.. ولذلك فلا بد أن نرفض العلمانية ليسقط حكم الأراذل والعملاء، ويتولى أولوا الألباب قيادة الأمة، فيكون ميلاداً جديداً للأمة الإسلامية، التي تستطيع أن تثب الوثبة القوية، وتنطلق الانطلاقة الواسعة، وتحطم الأغلال التي وضعها الأعداء على المارد الإسلامي.<sup>(١)</sup>

- لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد وعدم الإنتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال .

- لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتتهم بمطالب جسمه ولا تلقي اعتباراً لأشواق روحه.

- لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة للغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدماً.

- مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتُهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل هو رخيص<sup>(٢)</sup>.

(١) لماذا نرفض العلمانية ، ل محمد محمد بدري ، مؤسسة الرواد لشؤون المجتمع المسلم القادم ، ١٤٢٦-٢٠٠٥ ،

(٨٥-٨٦) بتصرف .

(٢) الموسوعة الميسرة ، د. مانع بن حماد الجهني، (٢/٦٨٤) .

## نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم ومن ذلك :

١- رفض الحكم بما أنزل الله ﷻ ، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المتزل على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربيين لله ورسوله ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية ، اعتبار ذلك تحللاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة ، وسبباً في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم ، وإبعادهم عن تولى الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب ، حتى لا يؤثروا فيهم<sup>(١)</sup> .

٢- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعاً بمنزلة واحدة من حيث الظاهر ، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان<sup>(٢)</sup> .

فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمني كل هؤلاء وغيرهم ، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون ، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمراً لا غبار عليه ، ولا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكماً على بلاد المسلمين .

وهم يحاولون ترويح ذلك في بلاد المسلمين تحت ما سموه بـ (الوحدة الوطنية) .

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، (١/١٧٩) .

(٢) العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود الرحيلي ، (١/٣٨٧) .

- ٣- إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :
- أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .
- ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .
- ج- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم.
- د- تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني ، أو على الأقل أنها لا تعارضه.
- هـ- إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .
- و- جعل مادة الدين مادة هامشية ، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب <sup>(١)</sup> .
- ٤- سعت العلمانية إلى إفساد المرأة المسلمة كمدخل لإفساد الأمة <sup>(٢)</sup> ونشرت الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهدم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية ، وتشجيع ذلك والحض عليه وذلك عن طريق :
- أ- القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .
- ب- وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهاراً .
- ج- محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات. <sup>(٣)</sup>

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، (١٧٩/١) .

(٢) هل يكذب التاريخ ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة ، عبدالله بن محمد الداود ، دار

الداود للنشر ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ٥١٤٣١ ، ٢٠١٠م ، ص ١٧٣ .

(٣) انظر : العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود الرحيلي ، (٣٨٧/١) .

٥- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه ، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية<sup>(١)</sup> .

٦- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق:

أ - تضيق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

ب - إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُصَوِّرون الناس بحقيقة الدين .

٧- إسقاط العلماء والدعاة ، وتدمير القدوات الحقيقيين ، واختراق جدار المهية والاحترام الموجود في نفوس الناس لهؤلاء الصالحين والاقتهاء بهم<sup>(٢)</sup> .

٩- التحريف في مفهوم الجهاد في سبيل الله لإلغاء مضمونه الصحيح من واقع المسلمين ، وأفكارهم ، وقلوبهم ، وعواطفهم ، واستخدمت لهذا التحريف فئات مأجورة أو مخدوعة منشقة عن الإسلام أو منحرفة في مفاهيمها مع عدم خروجها عن دائرته العامة<sup>(٣)</sup> .

١٠- الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق حتى قال قائل منهم : ( والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلّت على أن الدين-وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة - ذهب بأمن الحياة ذاتها ) .

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلّها في غالب بلاد المسلمين، وهو في الوقت ذاته

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، (١/١٧٩) .

(٢) هل يكذب التاريخ؟ لعبدالله الداود ، (١٧١) .

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، (٥١٥)

يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغت العلمانية في بلدٍ ما اعتماداً على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها.<sup>(١)</sup>

---

(١) العلمانية وثمارها الخبيثة ، محمد شاكر ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ص ٢١ ، وانظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام /د/ سعد الدين صالح ، ص ٢٠٧.

## المطلب الرابع

### العلمانية والفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية :

وهذه بعض النماذج لبعض النصوص الشرعية التي يضعها بعض العلمانيين في غير موضعها أو يفهمونها فهماً خاطئاً سواء عن عمد أو عن خطأ ويستغلونها لإضلال العباد وإخراجهم عن الفطرة الصحيحة إلى إتباعهم في جهالتهم وعلمايتهم وطعنهم في دين الله لإبعاد الناس عنه :

**أولاً : قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...)<sup>(١)</sup>**

يستدل بهذه الآية عدد من الناس، وخصوصاً من لهم توجهات علمانية، فيهاجم بعضهم في مقالاتهم أو كتبهم وأحاديثهم الدعاة حين يشددون في الدعوة للتمسك بالدين والالتزام بأحكامه، أو يطالبون بتطبيق أحكام الشريعة، فيقول بعض هؤلاء العلمانيين في معرض التوبيخ واللوم للدعاة: لا إكراه في الدين. ويقصدون أنه لا ينبغي التزمت والسعي لحث المسلمين على التمسك بدينهم، ونهيهم عن المنكرات والمعاصي، ويحاولون كذلك إبطال الجهاد في سبيل الله بوضع الآية في غير موضعها.

**وهذا الاستدلال غير صحيح، لما يأتي:**

١- المقصود بالآية الكفار الذين يدفعون الجزية، والمعنى لا إكراه لمن تُقبل منهم الجزية على اعتناق دين الإسلام .

قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً...<sup>(٢)</sup> وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بدلوا الجزية.

(١) البقرة : (٢٥٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ، ط العلمية ، (١/٥٢١) .

وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف (دين الإسلام)، فإن أبي أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له، أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى الإكراه. قال الله تعالى: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾<sup>(٣)</sup>. وفي الصحيح: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل"<sup>(٤)</sup>، يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثاق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة...<sup>(٥)</sup>.

وقد عدّد الشوكاني في الآية سبعة أقوال، ثم قال بعد أن رجح أنها محكمة غير منسوخة: (وهذا يقتضي أن أهل الكتاب لا يُكرهون على الإسلام إذا اختاروا البقاء على دينهم وأدوا الجزية. وأما أهل الحرب فالآية وإن كانت تعميمهم، لأن النكرة في سياق النفي وتعريف الدين يفيدان ذلك، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن قد خُص هذا العموم بما ورد من آيات في إكراه أهل الحرب من الكفار على الإسلام)<sup>(٦)</sup>.

٢- الآية لا تتحدث عن المسلمين، أو الذين دخلوا الإسلام، وإنما تتحدث عن إجبار غير المسلمين في دخول الإسلام كما يدل على ذلك ما ورد في سبب نزولها. «فلا يصح كفر المكره بغير حق، ولا إيمان المكره بغير حق؛ كالذمي الموفى بدمته، كما قال تعالى

(١) سورة الفتح: (١٦).

(٢) سورة التحريم: (٩).

(٣) سورة التوبة: (١٢٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الأسارى في السلاسل برقم (٣٠١٠)، (٦٠/٤) وأبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الأسير يوثق برقم (٢٦٧٧)، (٥٦/٣).

(٥) تفسير ابن كثير، ط العلمية، (٥٢٢/١).

(٦) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ، (٣١٦/١).

فيه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup> بخلاف المكره بحق ، كالمقاتلين من أهل الحرب ، حتى يسلموا إن كان قتالهم إلى الإسلام ، أو إعطاء الجزية ، إن كان القتال على أحدهما «<sup>(٢)</sup> ، كما أن النصوص التي تأمر المسلمين بأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر فيما بينهم، وآيات الحدود التي تبين عقوبة من يخالفون أحكام الشريعة لردعهم وإجبارهم على التمسك بأحكام الإسلام؛ كثيرة في الكتاب والسنة، فمعاقبة المفرطين من المسلمين، سواء كانوا من الصادقين أم من المنافقين، لدفعهم إلى التمسك بالدين مشروع، ولذلك شرعت الحدود والعقوبات كما شرعت الدعوة بالرفق واللين والتناصح بين المسلمين والوعظ والإرشاد، فولي الأمر له أن يعاقب المجرمين والمنحليين ويقيم عليهم الحدود ويعزرهم ليدفعهم إلى التمسك بالإسلام وبأحكامه في الظاهر، ويمنع أهل الفسق والانحلال والبدع من إفساد الناس، سواء كانوا راضين أم غير راضين، وليس في هذا تجاوز لطبيعة البشر، فالمجتمعات الكافرة تفعل ذلك وتضع العقوبات والقوانين التي تضمن ردع المخالفين للقوانين والآداب والتقاليد العامة، وأطر الناس على الالتزام بها. وللوالد أن يجبر أولاده ويؤدبهم على التمسك بالدين إن فرطوا في بعض الواجبات، كالصلاة والحجاب، ولا يعني هذا أن الإكراه هو الوسيلة الوحيدة لضمان التمسك بالدين، ولكنه وسيلة من الوسائل لمنع وقوع المخالفات، قد يضطر إليها حين تشرد النفوس وتضل عن فطرتها إن لم تفلح الدعوة بالرفق واللين، كما أن صور الإكراه المختلفة ليست مطلقة دون ضوابط، كالهجر أو الضرب أو الحد أو التعزير، ولكن لها أحكامها وضوابطها ومواضعها التي تشرع فيها للقادر عليها إن لم يترتب عليها مفسدة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

(١) البقرة (٢٥٦) .

(٢) الاستقامة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، (٢/٣٢٠) .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ»<sup>(١)</sup> ، وقال عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً : قوله ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم ».**

( تعتمد هذه الشبهة على الاستدلال الخاطئ بقول الرسول ﷺ : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» إذ قد قرر الرسول ﷺ في هذا الحديث أن المسلمين هم أعلم بأمور دنياهم، وبالتالي فإن الشريعة لا تتدخل في تحديد الأمور الدنيوية التي هم بها عالمون، ولما كان النظام السياسي -عند هؤلاء أمراً دنيوياً وليس أمراً دينياً- فإنه يمتنع أن تتدخل الشريعة في تحديده أو المجيء بتفصيل أحكامه !!

**ولكي نبين ما في هذه الشبهة من التلبيس والضلال نقول:**

أما الحديث فصحيح قد أخرجه الإمام مسلم<sup>(٣)</sup> في صحيحه ولفظه عن طلحة رضي الله عنه قال: مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رعوس النخل فقال: "ما يصنع هؤلاء؟" فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ: "ما أظن يغني ذلك شيئاً" قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله ويعلى".

وفي رواية عن رافع بن خديج قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة، وهم يأبرون النخل، يقولون يُلقحون النخل، فقال: "ما تصنعون؟" قالوا: كنا نصنعه، قال: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً" فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التوبة : (٧١) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٤٩) ، (٦٩/١) ، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه ، باب : تفاضل أهل الإيمان ، برقم (٥٠٠٨) ، (١١١/٨) .

(٣) الإمام الكبير الحافظ الجود الحجة الصادق ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب التصانيف أشهرها " الصحيح " ، تهذيب التهذيب (١٠/١٢٦) ، تاريخ بغداد ت بشار (١٥/١٢١) .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، برقم (٢٣٦٢) ، (٤/١٨٣٥) .

وفي رواية عن أنس وعائشة رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون، فقال: "لو لم تفعلوا لصلح" قال: فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"<sup>(١)</sup>.

وأما ما لا ينافي الرسالة ولا الطاعة مثل الشك والظن أو الوهم في الأمور الدنيوية ومثل النسيان في هذه الأمور وغيرها فهذا لم يعصم منه أحد من البشر<sup>(٢)</sup>.

فالعلمانيون ومن تبعهم أو تابعهم - وإن كان لكل منهم باعث مختلف عن الآخر - يريدون التوصل من خلال الفهم المحرف لهذا الحديث، إلى أن كل ما جاء في النصوص الشرعية متعلقاً بأمر من أمور الدنيا على جهة الأمر أو النهي أو غير ذلك، فإن تلك النصوص تصبح كأن لم تكن، وتدار أو يتم التعامل مع تلك الأمور الدنيوية من قبل الرأي البشري القائم على المصلحة أو التجربة على أساس أنها مسألة دنيوية، لا دخل للشرع فيها.

وهم بعد تقريرهم لتلك القاعدة الفاسدة، إذا أعياهم تأويل أو تحريف أي نص يتعلق بمسألة لهم فيها رأي مناقض للشرع، إذا أعياهم ذلك، قالوا: هذه من مسائل الدنيا وأمورها، وبالتالي فنحن أحق بها، ولا دخل للشرعية فيها! ومن تلك المسائل التي تعاملوا معها بتلك القاعدة الفاسدة: النظام السياسي فإنهم يقولون: هو من مسائل الدنيا التي نحن أعلم بها، وأحق بإبداء الرأي فيها.

**والرد على هذه الشبهة من أربعة وجوه:**

**الوجه الأول:** أن يقال: إن ما ذكرتموه لم يقله أحد من أهل العلم، بل هو مخالف لأقوالهم وما كان هذا سبيله فهو مردود على صاحبه، مرفوض غير مقبول، فقد بوب

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، برقم (٢٣٦٣)، (١٨٦٣/٤)، وأحمد في (المسند)، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، برقم (١٢٥٤٤)، (١٩/٢٠) - واللفظ أقرب إليه -؛ كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الرد على الشاذلي في حزيبه، وما صنفه في آداب الطريق، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ، (١٧/١).

النووي على ذلك الحديث بقوله: "باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي" (١).

وقال أيضاً في شرح هذه الأحاديث: "قال العلماء: قوله ﷺ "من رأي" أي في أمر الدنيا ومعاشها لا على سبيل التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورآه شرعاً يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله... قال العلماء: ولم يكن هذا القول خيراً، وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه ﷺ في أمور المعاش وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص في ذلك، وسببه تعلق همهم بالآخرة ومعارفها والله أعلم" (٢).

فإذا كان النبي ﷺ يأمرنا إذا حدثنا بشيء عن الله أن نأخذ به فإنه لن يكذب على الله فهو أتقانا لله وأعلمنا بما يتقى وهو أحق أن يكون آخذاً بما يحدثنا عن الله فإذا أخبره الله بوعد كان علينا أن نصدق به وتصديقه هو به أعظم من تصديقنا ولم يكن لنا أن نشك فيه وهو - بأبي - أولى وأحرى أن لا يشك فيه؛ لكن قد يظن ظناً كقوله: «إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن» (٣).

فمما تقدم نقله عن أهل العلم يتبين أن مجال هذا الحديث إنما هو في "أمر الدنيا ومعاشها" ولم يذكر العلماء تلك العبارة مطلقة، بل قيدوها بما يبطل كل محاولات التأويل الباطل لهذا الحديث، فقد قيد العلماء "أمر الدنيا ومعاشها" بأن يكون النبي ﷺ قاله "على سبيل الرأي" أي أنه قاله "لا على سبيل التشريع" وهذا التقييد يعني أمرين:

**الأول:** أن الأمور التي يقال فيها: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" هي تلك الأمور التي لم تتناولها الأدلة الشرعية تناولاً عاماً أو تناولاً خاصاً، أو الأمور التي تناولتها السنة لا على سبيل التشريع وإنما على سبيل الرأي فقط.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، (باب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ)

من معاش الدنيا على سبيل الرأي، (١١٦/١٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/١٥).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٨٧/١٥).

**الثاني :** أن الأصل في كل ما تناولته النصوص الشرعية -ولو كان متعلقاً بأمر الدنيا أو المعاش أو غيره- أن يكون على سبيل التشريع إلا أن يدل الدليل أو القرينة على خلاف ذلك ويؤيد هذا الكلام أيضاً أمران:

أ- تصرف الصحابة في القصة المذكورة حيث امتنعوا من تأبير النخل -رغم خبرتهم السابقة عن أهمية ذلك التلقيح علاوة على أنه أمر من أمور المعاش الدنيوية- وذلك لما لم يظهر لهم دليل أو قرينة تبين لهم أن الرسول ﷺ قال ما قال على غير سبيل التشريع، وهذا يعني أنهم ﷺ يتعاملون مع أقواله ﷺ ولو كانت في أمور المعاش -على أنها على سبيل التشريع حتى يأتي من الدليل الشرعي ما يبين أنها على غير سبيل التشريع.

ب- طريقة صياغة العلماء للعبارات السابقة، فإنها واضحة كل الوضوح في أن الأصل في كل ما جاء في النصوص الشرعية إنما يتم التعامل معه على أنه جاء على سبيل التشريع، ولذلك احتاج هؤلاء العلماء أن يقيدوا الأمور التي لا يجب على المسلمين امتثالها من معاش الدنيا، بأنها التي جاءت "على سبيل الرأي" أو "لا على سبيل التشريع" وهذا يعني أن النصوص التي جاءت في معاش الدنيا أو غيرها ولم تظهر قرينة أو دليل يبين أنها جاءت على سبيل الرأي أو لا على سبيل التشريع فإنه يتم التعامل معها على أنها نصوص تشريعية يجب امتثالها.

**الوجه الثاني :** أن يقال إن الرسول ﷺ لم يذكر الكلام في عدم تأبير النخل مطلقاً من كل قيد، حتى يقال: إن ما تناولته النصوص الشرعية مطلقاً من القيود وهو من أمور الدنيا فإن الشرع يترك -في هذه الحالة- ويرجع في تلك الأمور الدنيوية إلى أهل الدنيا.

فالرسول - ﷺ - كما بُين في الحديث- لم يأمرهم أمراً مطلقاً، أو لم ينههم نهياً مطلقاً -أي بعبارة أخرى لم يكن ما صدر منه على سبيل التشريع- وألفاظ الحديث ورواياته المتعددة تدل على ذلك، وإن كان من سمع هذا الموضوع من الصحابة ﷺ قد غلبوا جانب التشريع. فقد جاء في ألفاظ الحديث ورواياته: "ما أظن يغني ذلك شيئاً" وجاء "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"<sup>(١)</sup> مما يبين أن الرسول ﷺ يتحدث عن ظن أو خبرة

(١) انظر : كلام الشيخ أحمد شاكر في التعليق على هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٧) .

دنيوية لا علاقة لها بالتشريع، ولذلك لما غلب بعض الصحابة رضي الله عنهم جانب التشريع في ذلك، بين لهم الرسول ﷺ أنه لم يرد ذلك وأن كلامه السابق لا يدل عليه، ولذلك قال لهم معقباً على تصرفهم إزاء مقالته السابقة: "فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن" وقال: "إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"، وقال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" فالروايات كلها في مبتدأها ومنتهاها متضادة على أن ما ذكره الرسول ﷺ للصحابة كان من قبيل الرأي المتعلق بأمور المعاش القائم على الخبرة البشرية التي قد يتاح لبعض الناس ما لا يتاح لغيرهم، ولم يكن كلاماً على سبيل التشريع، وإذا تبين ذلك، فقد بطل قولهم في أن النصوص الشرعية المتعلقة بأمور الدنيا، لا يعول عليها، ولا يرجع إليها، وإنما يرجع في مثل هذه الأمور إلى أهل الدنيا والمعرفة بها.

**الوجه الثالث :** أن يقال إن "أمر الدنيا" الذي عناه الرسول ﷺ في حديثه، هو تأبير النخل فلا يقاس عليه إلا ما جرى مجراه وكان على شاكلته، وهو الخبرة العملية المتعلقة بشأن من الشؤون المباحة التي لم يتعلق بها الخطاب الشرعي لا أمراً ولا نهياً، وليس المراد بذلك كل أمر متعلق بالدنيا، لأنه قد جاءت نصوص شرعية كثيرة في أمور الدنيا، وقد تعلق بها الخطاب الشرعي أمراً ونهياً، فكانت بذلك موكولة إلى الشرع يبين حلالها وحرامها وما يصح منها وما لا يصح إلى غير ذلك من تفاصيلها المطلوبة، ولم تكن موكولة إلى المسلمين -أو إلى غيرهم- يجتهدون فيها أو يعملون فيها بمقتضى عقولهم أو مصالحهم أو أهوائهم، والنظام السياسي وتفصيله قد تعلق به الخطاب الشرعي أمراً ونهياً وتخييراً، فكان بذلك من النوع الموكول إلى الشرع يبين أحكامه وتفصيله، ولم يكن من النوع الأول الذي وُكل إلى الخبرة البشرية حيث لم يتعلق به الخطاب الشرعي<sup>(١)</sup>.

وبذلك تسقط دعاوى العلمانيين ومن تابعهم في تحريف هذا الحديث للوصول إلى إخراج النظام السياسي من الدخول تحت ولاية الشرع.

(١) انظر : شبهات حول السنة والسيرة النبوية ، لعلماد حسن أبو العينين (٢٣) . وانظر : المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود .

وأما الأدلة على تعلق الخطاب الشرعي أمراً ونهياً وتخييراً بأمر الدنيا، فأشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر في هذا الكتاب، لذلك نشير إلى جمل من ذلك فقط، فعلى سبيل المثال:

- عيادة المريض، هو أمر اجتماعي يمس علاقات التواصل والألفة بين الناس، ومع ذلك فقد تعلق به الخطاب الشرعي أمراً وتحريضاً: منه قوله ﷺ: «عودوا المريض»<sup>(١)</sup>، ومنه قول البراء بن عازب: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع.. الحديث وفيه "وأمرنا أن نتبع الجنائز ونعود المريض ونُفشي السلام"<sup>(٢)</sup>.

- وعلى سبيل المثال: الطب والدواء، فهو أمر من المصالح والمنافع التي يحتاجها الناس، وهو أيضاً أمر للخبرة فيه دخل كبير، ومع ذلك فقد تعلق به الخطاب الشرعي، وانظر في ذلك كتاب "الطب" أو كتاب "المرضى" في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة، وعلى سبيل المثال فقد جاء قوله ﷺ: "الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وأهني أمي عن الكي"<sup>(٣)</sup> ففي هذا الحديث يبين الرسول ﷺ بعض الأدوية النافعة في العلاج، ثم ينهي عن بعضها، وهذه الأمور هي من الأمور الدنيوية، ولكن مع ذلك قد تعلق بها الخطاب الشرعي. حتى إنه عندما أشار الرسول ﷺ باستعمال العسل شفاءً من داء استطلاق البطن، وأخذ المريض الدواء، فازداد بطنه استطلاقاً، ورجع الخبر إلى رسول الله ﷺ لم يقل رسول الله ﷺ في هذا الحديث كما قال في حديث تأبير النخل: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"، وإنما قال لمخبره: اسقه عسلاً، فسقاه فازداد استطلاقاً، فرجع إليه وقال: لقد ازداد بطنه استطلاقاً، فقال ﷺ -مصرّاً على مقالته الأولى- اسقه عسلاً، فسقاه فجاءه الرجل المخبر - وكان أحمأً للمريض - وأخبره بعدم الشفاء، فقال له الرسول ﷺ

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب: وجوب عيادة المريض برقم (٥٦٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب: وجوب عيادة المريض برقم (٥٦٥٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب: الشفاء في ثلاث، برقم (٥٦٨٠)، (١٢٢/٧).

مؤكداً على مقاله الأولى ومحتجاً لها- "صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبراً"<sup>(١)</sup> .

يقول ابن تيمية رحمه الله: "التشريع يتضمن الإيجاب والتحریم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به، فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعاً لاستحبابه؛ فإن الناس قد تنازعوا في التداوي.. والتحقق أن منه ما هو محرم ومنه ما هو مكروه ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مستحب وقد يكون منه ما هو واجب"<sup>(٢)</sup>.

ومن كل ما تقدم يتبين أن قوله ﷺ: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" لا يتعارض مع النصوص الشرعية التي جاءت متعلقة بأمر الدنيا، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يستفاد من ذلك الحديث أن المسائل المتعلقة بالنظام السياسي هي من الأمور المتروكة للبشر، وذلك لأن النظام السياسي جاءت في شأنه نصوص شرعية من الكتاب والسنة عامة وخاصة تبين وتفصل الأحكام المتعلقة به.

**الوجه الرابع:** أن يقال ما هو الضابط الذي تعتمدون عليه في التفريق بين "أمر الدنيا" الموكول للبشر وبين "أمر الدين" الموكول إلى الشريعة؟ حيث إنكم لم تقدموا ضابطاً صحيحاً تفرقون به بين "أمر الدنيا" و"أمر الدين" فأنتم لستم تتبعون أو تتعلقون في قولكم: هذا من أمر الدنيا، وذاك من أمر الدين بنص شرعي، أو بكلام لأحد من أئمة العلم المعروفين لا قديماً ولا حديثاً، وإنما أنتم تتبعون في تفريقكم الباطل من قلدتموهم من أهل الغرب أو الشرق الكافر الذين فصلوا الدولة عن الدين أو الدنيا عن الدين، إذ كما هو معروف مشهور عندما تسلطت الكنيسة على الناس بالباطل، وحدث بين ممثلي الكنيسة من جانب والناس من جانب مناوشات وصراع مرير طويل، انتهى الأمر بعزل الكنيسة عن التدخل في أمور الدنيا أو الدولة، وقُصر تدخلها أو قُصرت صلاحيتها على

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب: الدواء بالعدل برقم (٥٦٨٤)، (١٢٣/٧)، ومسلم، كتاب السلام،

باب التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧)، (١٧٣٦/٤) وغيرهما.

(٢) المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهدى للنشر والتوزيع -

الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (٢٤٨/١).

التوجيه الروحي والوصايا الأخلاقية، وبعد هذا الوضع النهائي للكنيسة عندهم، أصبحت "أمور الدين" -عندهم- محصورة في علاقة الفرد بربه، وما يتصل بذلك من عقيدة الإنسان في ربه، وأنواع القرب التي يتقرب بها إليه لينال رضاه من غير أن يكون لتلك العلاقة أي بعد أو أثر خارج دائرة الفرد نفسه.

كما أصبحت "أمور الدنيا" تعني -عندهم- كل ما يتصل بحياة الفرد والجماعة داخل المجتمع، وما يترتب على ذلك من أنظمة وعلاقات ومعاملات وقوانين.

وقد تم الفصل الكامل بين هاتين الدائرتين: دائرة "أمور الدنيا"، ودائرة "أمور الدين"، وترتب على ذلك أن الدين -عندهم- أصبح محصوراً في نطاق الإنسان الفرد وحده، أو في داخل الكنيسة حيث يؤدي هؤلاء ما يعتقدون أنه من الدين عندهم، حتى إذا خرجوا من تلك الكنائس إلى واقع الحياة لم يكن للدين أدنى سلطان على تنظيم الحياة وقيادتها إلا ما كان من بعض الوصايا أو العظات الخلقية غير الملزمة ؛ لأن ذلك خارج عن نطاقه وصلاحياته.

بينما أمور الدين تشمل عند المسلمين كل ما تعلق به الخطاب الشرعي أمراً أو نهياً أو خيراً، فما تعلق به الخطاب على وجه الأمر فيكون من الدين فعل المأمور به، وما تعلق به الخطاب على وجه النهي فيكون من الدين اجتناب المنهي عنه، وما تعلق به الخطاب على جهة الخبر، فيكون من الدين تصديق ما أخبر به.

ومن المعلوم البين الذي لا يحتاج إلى كبير بيان أو إيضاح أن الخطاب الشرعي قد تعلق على جهة الأمر والنهي بالأمور أو المسائل التي تتناول حياة الفرد أو الجماعة داخل المجتمع مما يطلق عليه أنه من الأمور الدنيوية وهي في الوقت نفسه مما يطلق عليه أنه من أمور الدين وذلك لتعلق الخطاب الشرعي به.<sup>(١)</sup>

إذن فتعريف هؤلاء لأمر الدنيا، وما ترتب عليه من إخراج النظام السياسي في الإسلام من أمور الدين رغم تعلق الخطاب الشرعي به وإدخاله في أمور الدنيا التي لا دخل للشرع

(١) انظر : شبهات حول السنة والسيرة النبوية ، لعلماد حسن أبو العينين ، (٢٣) . وانظر : المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة ، علي بن نايف الشحود .

فيها، هو أمر مأخوذ أصلاً من طبيعة العلاقة بين الدين النصراني المحرف وبين الفكر العلماني، وغنى عن البيان أن ما كان كذلك فلا يصح أن يكون حجة في دين المسلمين).

**ثالثاً : قوله ﷺ (ورأيت أكثر أهلها النساء) .**

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ (إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كالיום قط أظنع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا بم يا رسول الله ؟ قال: يكفرهن قيل: يكفرن بالله ؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلي إحداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط) (١) .

فأعداء الإسلام من العلمانيين ومن تبعهم ممن خدع بقولهم يقولون: إن رسول الله ﷺ قد ظلم المرأة وقهرها وحكم عليها بالسجن المؤبد في الدنيا بلزوم بيتها، وحكم عليها المؤبد في الآخرة بدخول النار، وبأعداد كبيرة، حتى صار معظم أهل النار من النساء، وهذه شهادة من النبي بذلك تتفق مع العقائد والتصورات الخاطئة في الحضارات والأمم السابقة عن كون المرأة سبب الخطيئة، والتي أخرجت آدم ﷺ من الجنة.

أما كثير من المسلمين المخدوعين فيفهمون من الحديث الحكم على جنس المرأة بالسوء والشر وكثرة العصيان، التمرد على حق الزوج مما يؤدي إلى دخولها النار، ويرفعون هذا النص في وجه أي امرأة مهما كان حالها كسوط تذكير على النهاية المؤلمة للمرأة.

أما التفسير الصحيح لهذا النص النبوي الشريف فيكون من خلال معرفة عدة نقاط:

١- أن النص ليس اتهاماً لجنس المرأة ذاته، لأنه خبر يقرر صفات أهل النار من النساء، وليس صفات النساء عموماً، ففي حديث جابر: « وَأَكْثَرُ مَنْ رَأَيْتُ فِيهَا النَّسَاءُ اللَّاتِي إِنْ أَوْثَمْنَ أَفْشَيْنَ، وَإِنْ يُسَأَلْنَ بَخِلْنَ، وَإِنْ يُسَأَلْنَ الْحَفْنَ وَإِنْ أُعْطِينَ لَمْ يَشْكُرْنَ» (٢). فدلّ

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : كفران العشير وكفر دون كفر برقم (٢٩) ، (١٥/١) ، ومسلم ، كتاب الكسوف ، باب ما عرض على النبي ، برقم (٩٠٧) ، (٦٢٦/٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، مسند جابر بن عبد الله ، (١١٠/٢٣) ، بإسناد ضعيف ، والأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما ، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر

على أن المرئي في النار منهن من اتصف بصفات ذميمة<sup>(١)</sup>. ولو كان كما يفهم البعض أن الشر غالب على فطرة النساء دون الرجال، وفي أصل خلقتهم، لكانت النساء غير مسئولات عن الزيادة في فعل الشر لأنه مقتضى خلقتها، ولكن الحديث يوضح أنهن مسئولات ويعاقبن بما كسبت أيديهن من كفران العشير، وكفران الإحسان.

٢- أن الذي رآه الرسول ﷺ من أهل النار وأكثريتهم نساء يشمل كل الأمم السابقة ومعلوم أن أمة الإسلام هي أقل الأمم عددا وعمرا، ففي الحديث: (إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار)<sup>(٢)</sup> فمعظم من رآهم الرسول من نساء الأمم السابقة، لذلك بالغ في نصيحة النساء المسلمات من الصفات المؤدية لدخول النار، من كفران العشير والإحسان.

٣- الروايات الأخرى التي وردت في نفس الباب، توضح معنى المسئولية والمعاقبة، وأسباب دخول النار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> قال قال رسول الله ﷺ «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ،»<sup>(٤)</sup> فإن اللعن من الذنوب المحرمة التي يستوجب رضي الله عنه التحذير منها، لأنها من أسباب دخول النار لعظم هذا الذنب الذي لا يلتفت له كثير من الناس خاصة النساء، فعن أبي زيد ثابت بن

---

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٣/٣٩٦)، بإسناد حسن .

(١) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (١/٦٣٧)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ، (٢/٢٧٣)

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله يقول الله لآدم، برقم (٢٢٢)، (١/٢٠١).

(٣) أبو سعيد الخدري، هو الإمام المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان، حدث عن النبي ﷺ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/٣٠٤).

(٤) رواه البخاري، باب: ترك الخائض الصوم برقم (٣٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، برقم (٧٩)، واللفظ له .

الضحاك الأنصاري رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولعن المؤمن كقتله) <sup>(١)</sup>، وأما كفران العشير فهو من الأمور المشاهدة عند كل النساء المسلمات وغيرهن، حيث يغلب عليهن الانفعال والتسرع في إصدار الأحكام ونسيان المعروف والإحسان والعشرة الطيبة أمام أول خطأ من جانب الزوج، ولكثرة هذا الأمر وشيوعه بين النساء، وجب التحذير منه، لأنه من حيث لا تدري المرأة يكون من أسباب دخولها النار، وبالتالي هذا الحديث من أعظم الأحاديث رعاية وعناية من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء، إذ يلفت انتباهها لأمر تفعله كثيرا في الدنيا وهو من أسباب هلاكها، حتى لا تفعله وتجتنبه، وألقى لها في الحديث أيضا طوق النجاة من هذا المصير إذا ما أتت بما فُهاها عنه، فدلها على طريق الصدقة والاستغفار (تصدقن وأكثرن من الاستغفار)

**رابعاً: قول النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء ما رأيتم من ناقصات عقل ودين أذهب لب الرجل الحازم من إحدانكم** عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء تصدقن فيني أريتم أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن» <sup>(٢)</sup>، وتكفرن العشير <sup>(٣)</sup>، ما رأيتم من ناقصات عقل ودين أذهب لب <sup>(٤)</sup> الرجل الحازم من إحدانكم»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» قلن: بلى، قال:

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل برقم (٦١٠٥)، (٢٦/٨)، ومسلم، كتاب

الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان برقم (١١٠)، (١٠٤/١)

(٢) تتلفظن به كثيرا حال الدعاء على أحد واللعن هو الطرد والإبعاد عن الخير والرحمة، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (٣٩/٢).

(٣) (العشير) أي المعاشر الملازم، وهو الزوج هاهنا، وكفرانه جحد نعمته وإنكارها، أو سترها بترك شكرها، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، كتاب الإيمان (٩٢/١).

(٤) اللب: العقل الخالص وذلك لعظم كيدهن، وقوة حيلهن. قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾، انظر: تطريز رياض الصالحين لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرمللي النجدي، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (١٠٧٤/١).

«فذلك من نقصان عقلها<sup>(١)</sup>، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

هذا النص النبوي من أشهر النصوص التي استخدمها أعداء الإسلام من علمانيين وغيرهم في الطعن في شريعة الإسلام والرسول ﷺ، وأيضا من أشهر الأحاديث التي أساء المسلمون فهمها وتطبيقها.

فأعداء الإسلام من علمانيين وغيرهم ممن خدع بقولهم قالوا: إن الرسول ﷺ، قد أهان المرأة إهانة لزمته طول حياتها، وعلى مر العصور: بأن أعطاهم صك عدم الصلاحية لأي شيء، وأعطاهم شهادة دائمة بنقص العقل والدين، فالمسلمون ينظرون للمرأة من خلال هذه الشهادة، فالمرأة عندهم غبية عاصية، فاسدة، مهانة ذليلة، مقهورة، بحكم الإسلام ورسوله، واستغلوا هذا المفهوم الخاطئ للتشهير بالدين لإبعاد الناس عنه وعن العمل بشرع الله.

وأما كثير من المسلمين رغم علمهم باللغة العربية إلا إن جهلهم بمعانيها قادهم لأن يتهموا المرأة دائما بعدم الصلاحية وعدم الاستقامة، وكلما أخطأت المرأة ولو خطأ صغير أرجعوا ذلك لنقصان عقلها ودينها، ويفسرون كل مواقف المرأة التي لا توافق مرادهم من منظور نقصان العقل والدين، والصواب أن «نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر وقد يكون على وجه لا إثم فيه كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غير ذلك مما لا يجب عليه لعذر وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم»<sup>(٤)</sup>.

والتفسير الصحيح لهذا النص يكون بدراسة وتأمل مناسبة الخطاب، ومن يوجه إليه الخطاب، وصياغة أسلوب الخطاب.

(١) أي وجود الثانية معها لنسيانها وقلة ضبطها وهذا يشعر بنقص عقلها عن الرجل إجمالا وأما تفصيلا فقد تكون

امرأة أكثر عقلا من كثير من الرجال، انظر: فتح الباري لابن رجب (٣٩/٢)

(٢) أي إن ما يقع منها من العبادة وهي من أهم أمور الدين أنقص مما يقع من الرجل، انظر: فتح الباري لابن رجب (٣٩/٢)

(٣) البخاري: كتاب الحيض، باب: ترك الحائض الصوم، برقم (٣٠٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، برقم (٧٩) وغيرهما.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، باب: بيان نقص الإيمان (٦٦/٢).

فمناسبة الخطاب صلاة العيد، وهى مناسبة سعادة وسرور وبهجة كان يأمر فيها النبي ﷺ أهل المدينة كلهم بالخروج إلى المصلى لصلاة العيد، فهل نتوقع عندها والنساء والمسلمون كلهم سعادة أن يعكر الرسول ﷺ صفو يومهم بتهمة، وخط كرامة وامتهان لشخصيتهن، كما يقول أعداء النبوة، ويفهم بعض المسلمين.

أما المخاطب بالحديث فهم نساء الأنصار ومعهن نساء المهاجرين، ومعروف أن نساء الأنصار كن ذوات سطوة وصوله عن رجالهن، وتعلمت نساء المهاجرين منهن هذا الأمر كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطلق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار<sup>(١)</sup> .

أما الصياغة لشكل الخطاب ففيها مدح النساء - عكس ما تفهم كثير من النساء - فعندما يقول الرسول ﷺ فهذه صياغة تقريرية تعبر عن تعجب الرسول ﷺ من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء على ما فيهن من ضعف على الرجال على ما فيهم من قوة بدنية وحزم وشدة، فهذا تعجب من حكمة الله وقدرته على ذلك بأن وضع القوة مظنة الضعف، وأخرج الضعف مظنة القوة، فالصياغة تدل على التعجب والمدح لهذه القوة والسلطة الخفية للمرأة على الرجل، وتشير من طرف خفي إلى معشر النساء بأن يتيقن الله عز وجل في هذه القوة والسلطة السالبة للرجل الحازم، ولا يستعملنها إلا في الطاعة والرشاد، لذلك كانت مناسبة العظة يوم عيد لتكون الصدور مسرورة، وأكثر انشراحا لقبول العظة والوصية.

أما تفسير (نقصان العقل والدين) فلم يدع لنا النبي ﷺ المجال للتأويل وإعتساف النص كل حسب هواه، وحسب ما يتأثر ويؤثر فيه، فأخبرنا عن السبب في هذا النقصان في العقل والدين، وأعداء النبوة أدخلوا لعقول كثير من المسلمين عكس الحديث فأفهموهم أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل هو بسبب ضعف عقلها، وليس العكس فنصف الشهادة هو تفسير نقص العقل، وليس نقص العقل هو سبب نصف الشهادة.

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، (١٦/١٣) .

وتعليل حكمة نقصان الدين ذكرها أيضا رسول الله ﷺ وفسره، بترك الصلاة والصيام أيام الحيض والنفاس، وهو نقص جزئي ليس للمرأة فيه دخل فهو راجع لأصل فطرتهما وخلقتها، فنقصان الدين قد يقع ضرورة لا تدفع ألا ترى أن الله جبلهن على ما يكون نقصا فيهن قال الله ﷻ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup> وقد فضل الله أيضا بعض الرجال على بعض وبعض النساء على بعض وبعض الأنبياء على بعض لا يسأل عما يفعل وهو الحكيم العليم<sup>(٢)</sup>، والنقص في بعض الشعائر وليس في كل الشعائر، وهي تثاب في تلك الفترة لامتنانها لأوامر ربها ورسولها، ولها مندوحة في أداء شعائر أخرى كثيرة أثناء توقف الصلاة والصيام، ومعاذ الله ﷻ أن أمرها بترك الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس، ويعاقبها علي ذلك، وهو الذي قد يأمرها بالترك، وهل يأمرها الله ورسوله ﷻ بالترك ثم نقول نحن لها اتكأ على كلمة (نقصان الدين) بأنها في الأصل عاصية وغير طائعة أو أن لغيرها عليها فضل، أو ترجع كل تصرفاتها لنقصان العقل والدين، هل يعقل ذلك؟

#### خامساً : قوله ﷻ : (فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷻ : ( استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)<sup>(٣)</sup> .

لا أدري حقيقة كيف وصلت البجاجة بأعداء النبوة الدرجة أن يحتجوا بالحسن علي القبح، والتكريم علي الإهانة، والرعاية والعناية علي الغض والإهمال، ولكنها صفة قد اعتدناها من أعداء النبوة وممن تبعهم من بني قومنا من بلادنا. فالحديث من أعظم أسباب العناية والرعاية النبوية للمرأة، إذ يحدد فيه الرسول ﷻ ، طبيعة وفطرة المرأة، ومواطن ضعفها وسبب تصرفها ، لذا حث الأزواج على حسن

(١) النساء (٣٤) .

(٢) انظر : التمهيد ، لابن عبد البر (٣/٣٢٦) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : الوصايا بالنساء برقم (٣٣٣١) ، (٢٦/٧) . ومسلم ، كتاب : الرضاع ، باب : الوصية بالنساء برقم (١٤٦٨) ، (١٠٩١/٢) .

معاملة الزوجات والصبر على ما قد يقع منهن من الأذى في غير عفاهن ، وهو عامل مهم من عوامل تثبيت أركان الأسرة في الإسلام وصيانة الحياة الزوجية من أسباب الإهيار ، لما جرب من شدة انسياق المرأة وراء عواطفها<sup>(١)</sup>، فأرشد الرجال إلى كيفية التعامل مع هذه الطبيعة، وذلك في كلمات وجيزة بين وصيتين مؤكدين بالنساء للرجال، فأية عظمة هذه، وأية مكانة تلك التي حصلت عليها المرأة المسلمة رغم أنوف الحاقدين.

الرسول ﷺ يبدأ حديثه بالوصية بالنساء يلفت الانتباه ويذكر السامع بأهمية ما سيقول، ثم يوضح أصل خلقة المرأة، ويفسر قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، ثم يوضح خصوصية خلق المرأة بأنها خلقت من ضلع أعوج وأن أعوج ما في الضلع أعلاه، وفيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله فإن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها،<sup>(٣)</sup> وقيم تناظر بين شكل الضلع الذي خلقت منه المرأة وطبيعتها وسلوكها وفطرتها ليكون الرجال علي بينة من هذا الأمر جيدا عند التعامل مع المرأة فلا يتعاملون معها علي أنها مثلهم رجل، ويجبرونها علي ذلك لأن ذلك تقييما سيؤدي إلي الكسر، ومعناه كما فسره الرسول ﷺ الطلاق وقطع الرابطة الزوجية، فالمرأة غير الرجل جسديا ونفسيا، ومن الظلم البين التعامل مع المرأة علي أنها مثل الرجل تماما، لذلك كانت الوصية النبوية العظيمة.

فحث النبي ﷺ الرجال الصبر على هذه الطبيعة، لأن المرأة لا تعتمد ذلك ولا تقصده، وهذا يتضح من حديث رسول الله ﷺ الآخر «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فقه الإسلام ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، لعبدالقادر بن شيبه الحمد ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، (٤١/٧) ، (٤٢) .

(٢) سورة النساء: (١) .

(٣) فتح الباري ، لابن حجر ، (٣٦٨/٦) . بتصرف يسير .

(٤) مسلم ، كتاب : الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ، برقم (١٤٦٩) ، (١٠٩١/٢) .

ثم نقول لعل هذه الوصية العظيمة قد حفظت للمرأة المسلمة كرامتها، ورفعت من قدرها، وحافظت على قوة الأسرة المسلمة، وبالتالي المجتمع المسلم لعهود طويلة كان يستمسك الناس فيها بوصايا الرسول .



## الختامة

وفيها ما يلي:

أولاً : نتائج البحث .

ثانياً : التوصيات العلمية .

ثالثاً : الفهارس العامة وتشمل ما يلي:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث والآثار.

٣ - فهرس الأعلام.

٤ - فهرس غريب الألفاظ.

٥ - فهرس المصادر والمراجع.

٦ - فهرس الموضوعات.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله عليه ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أتم الصلاة والتسليم . وبعد :

فإني في نهاية هذا البحث وبعد أن استفرغت جهدي فيه للوصول إلى بيان الحق ونفع المسلمين ، فهذا ما يسره الله تعالى لي ، فإن كان صواباً فهو محض فضل الله علي، وإن كان فيه خطأ أو زلل فأستغفر الله تعالى والله ورسوله بريئان منه ، كما قال ربنا تبارك وتعالى على لسان أحد أنبياءه الكرام ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(١)</sup> وأخيراً ، فإني أسأل الله تعالى ، وهو خير مسئول أن ينفع بهذه الفصول كاتبها وقارئها ، وأن يجعلنا من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

### أولاً : نتائج البحث :

- وقد توصل الباحث من خلال رسالته إلى العديد من النتائج من أهمها :
- ١- إن للعلم مقام عظيم في شريعتنا الغراء ، وأول ما ينبغي تعلمه التوحيد فيعرف الله تعالى، ويصحح عقيدته .
  - ٢- أن للفهم الخاطئ للنصوص الشرعية أسباب منها : الجهل ، عدم الجمع بين الأدلة ، التعصب والغلو والمكر للإسلام وأهله .
  - ٣- أن للفهم الصحيح للنصوص الشرعية ضوابط هي : اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال ، واعتبار المتغيرات الواقعية ، والتقوى والإخلاص .

(١) سورة هود : (٨٨) .

(٢) سورة يونس : (٩-١٠) .

- ٤- ضرورة الرجوع إلى فهم السلف الصالح لفهم النصوص الشرعية ، فالسلف علمهم أتم وأحكم ، وأعلم وأسلم .
- ٥- أن الالتزام بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة له ثمرات منها : النجاة والهداية، والعصمة من التفرق والاختلاف المذموم ، ومعرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله، وأنه يُورث الطمأنينة والأمن النفسي ، وأنه الضابط في معرفة السنة من البدعة.
- ٦- إن الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية سبب رئيسي من أسباب ظهور الفرق الضالة مثل الخوارج والشيعة والصوفية .
- ٧- إن غلو البعض في التكفير والتبديع والتفسيق إنما كان بسبب عدم فهم النصوص على مراد الله ومراد رسوله ﷺ .
- ٨- على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله ، وأهل السنة في عقيدة الولاء والبراء بين الغالي والجافي .
- ٩- وضع العلمانيون لبعض النصوص الشرعية في غير موضعها واستغلالها لإضلال العباد.

### ثانياً : التوصيات :

- على الرغم من كل البحوث التي دارت موضوعاتها حول دراسة العقيدة إلا أنه لا يزال المجال واسعاً للبحث والدراسة -لمن شمر عن ساعد الجد واثتر بإزار الصبر والمصابرة والمرابطة - من جوانب عديدة :
- ١- دراسة الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة وبيان عقائدها مقرونة بالرد التفصيلي لما في ذلك من دفاع عن منهج أهل السنة والجماعة، ومساهمة في القضاء على البدع والأهواء وحماية دين المسلمين.
  - ٢- حصر نماذج النصوص الشرعية التي وقع فيها فهم خاطئ وتأويل باطل أدى إلى الإنحراف عن المنهج النبوي ، ودراستها دراسة تفصيلية .
  - ٣- إبراز جهود وردود الأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة على شبهات أهل الباطل وتأويلاتهم وإفرادها بالبحث والدراسة .



# الفهارس

وتحتوي على :

أولاً : فهرس الآيات .

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار .

ثالثاً : فهرس الغريب .

رابعاً : فهرس الأعلام .

خامساً : فهرس المصادر والمراجع .

سادساً : فهرس الموضوعات .

## أولاً : فهرس الآيات القرآنية

### مرتبة على ترتيب المصحف

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١	﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	الفاتحة	١٢٦
٢	﴿ اَلَمْ * ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٢-١	البقرة	١٤٨
٣	﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ .. ﴾	٣٨	البقرة	١٢٦
٤	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾	٤٠	البقرة	١٢٦
٥	﴿ بَلَىٰ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ ... ﴾	٨١	البقرة	١٨١ ، ٤٦
٦	﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١١٧	البقرة	١٦١
٧	﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾	١٣٧	البقرة	٨٣
٨	﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... ﴾	١٥٨	البقرة	٧٠
٩	﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٦٣	البقرة	٥٧
١٠	﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ... ﴾	١٧٨	البقرة	١٧٨
١١	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾	٢٣٨	البقرة	١٢٤
١٢	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... ﴾	٢٥٦	البقرة	٢٢٠ ، ٢١٨
١٣	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾	٢٦٩	البقرة	٦٤
١٤	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ .. ﴾	٢٨٢	البقرة	٦٣
١٥	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾	٢٨٦	البقرة	١٧١
١٦	﴿ اَلَمْ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	٣-١	آل عمران	١٤٨
١٧	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ... ﴾	٧	آل عمران	٤٩ ، ٣٨ ، ٢ ، ٦٦ ، ٥٦ ، ٥٥
١٨	﴿ اَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾	٢٤-٢٣	آل عمران	٢٥
١٩	﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾	٢٨	آل عمران	١١٩
٢٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾	١٠٢	آل عمران	٤
٢١	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٣	آل عمران	٨ ، ٦
٢٢	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ... ﴾	١٠٥	آل عمران	٦
٢٣	﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾	١٥٩	آل عمران	١٣٢
٢٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٦٤	آل عمران	٨٣
٢٥	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا ﴾	١٨٨	آل عمران	٧٠

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٢٦	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾	١	النساء	٢٣٤ ، ٤
٢٧	﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ... ﴾	٣	النساء	٤٤
٢٨	﴿ وَيتعد حدوده ... ﴾	١٤	النساء	١٨١ ، ٤٦
٢٩	﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾	٣٤	النساء	٢٣٤
٣٠	﴿ وَإِنْ حِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... ﴾	٣٥	النساء	٩٧
٣١	﴿ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَوْلًى فَادْفِنُوهُ ... ﴾	٤٨	النساء	١٨٣ ، ١٧٧ ، ٤٧ ١٩٩ ، ١٨٩
٣٢	﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ... ﴾	٥٩	النساء	٢٠٤
٣٣	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى ... ﴾	٦٥	النساء	٢٩
٣٤	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ... ﴾	٦٦	النساء	٧٦
٣٥	﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ .. ﴾	٧٨	النساء	٣٥
٣٦	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ... ﴾	٨٢	النساء	٦١
٣٧	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ .. ﴾	٨٣	النساء	٢٠٤
٣٨	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ .. ﴾	٩٣	النساء	١٨٣ ، ١٨٢
٣٩	﴿ وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ ... ﴾	١١٥	النساء	٣٠
٤٠	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾	١٢٢	النساء	٥٨
٤١	﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾	١٢٥	النساء	٤٤
٤٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ .. ﴾	١٤٤	النساء	٢٠٤
٤٣	﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	النساء	٥٠
٤٤	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا ... ﴾	١٧١	النساء	٥٠
٤٥	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمٌ .. ﴾	٣	المائدة	٤٤
٤٦	﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ .. ﴾	٦	المائدة	١٠٧
٤٧	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ ... ﴾	٨	المائدة	١٣٢
٤٨	﴿ فَبِمَا نَقُضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ ... ﴾	١٣	المائدة	٥٠
٤٩	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	المائدة	١٩٦ ، ١٩٣
٥٠	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... ﴾	٥٥	المائدة	١٩٦
٥١	﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ ... ﴾	٨١-٨٠	المائدة	١٩٦
٥٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا ... ﴾	٩٥	المائدة	٩٧

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٥٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ ... ﴾	١٠٥	المائدة	٧٠
٥٤	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾	٣٨	الأنعام	٢٨
٥٥	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضُ الْحَقُّ ... ﴾	٥٧	الأنعام	٩٦
٥٦	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا .. ﴾	٥٩	الأنعام	١٥٦
٥٧	﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكًا ﴾	٧٥	الأنعام	١٤٦
٥٨	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ..... ﴾	٧٦	الأنعام	١٤٦
٥٩	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ ..... ﴾	٧٨-٧٩	الأنعام	١٩٥
٦٠	﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ... ﴾	١١١	الأنعام	٤١
٦١	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾	١٢٢	الأنعام	٦٣
٦٢	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾	١٦٢	الأنعام	٢٠٦
٦٣	﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ..... ﴾	١٣٨	الأعراف	٤١
٦٤	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا .. ﴾	١٤٣	الأعراف	١٥٥ ، ٥١
٦٥	﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ... ﴾	١٥٦	الأعراف	٤٧
٦٦	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ..... ﴾	١٧٩	الأعراف	٤٤
٦٧	﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا ﴾	٢٩	الأنفال	٧٦ ، ٦٤
٦٨	﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	١	التوبة	١٩١
٦٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ... ﴾	٢٣ ، ٢٤	التوبة	١٩٥
٧٠	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ ... ﴾	٧١	التوبة	٢٢٠ ، ١٩٦
٧١	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ... ﴾	١٠٠	التوبة	١١٣ ، ٥٤
٧٢	﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ... ﴾	١٢٢	التوبة	٣٤
٧٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ ... ﴾	١٢٣	التوبة	٢١٩
٧٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٩-١٠	يونس	٢٣٨
٧٥	﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ ... ﴾	١	هود	٦٥
٧٦	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا ... ﴾	٤٩	هود	١٥٦
٧٧	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾	٨٨	هود	٢٣٨
٧٨	﴿ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾	١١١	يوسف	٦٥
٧٩	﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٣	إبراهيم	١٢٦

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٨٠	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ ... ﴾	٤	إبراهيم	٦٥
٨١	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	الحجر	١٤٥ ، ١٤٣
٨٢	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا .. ﴾	٣٦	النحل	٤
٨٣	﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ... ﴾	٤٣	النحل	٢٤ ، ٢٢
٨٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ..... ﴾	٤٤	النحل	٦٥ ، ٣٠
٨٥	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾	٦٨	النحل	١٢٥
٨٦	﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ ... ﴾	٧٢	النحل	١٢٥
٨٧	﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾	٨٩	النحل	٦٥
٨٨	﴿ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾	٩٢	النحل	١٠٧
٨٩	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ... ﴾	١٢٥	النحل	١٣٢
٩٠	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	٩	الإسراء	١٢٣
٩١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ... ﴾	١٠٧-١٠٩	الإسراء	٢٣
٩٢	﴿ جَعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	٩٥	الكهف	١٢٧
٩٣	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ ... ﴾	١٠٣-١٠٤	الكهف	١٠٢
٩٤	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ ... ﴾	١١٠	الكهف	٧
٩٥	﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	١٢	طه	١٤٧
٩٦	﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ... ﴾	١٨	طه	١٤٩
٩٧	﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾	٢٤	طه	٤٩
٩٨	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	١١٤	طه	٢٤
٩٩	﴿ فَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	طه	٤٤
١٠٠	﴿ فَايْمًا يَا تَيْنِكُمْ مِّنِّي هُدًى ﴾	١٢٣	طه	٨
١٠١	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾	٧٩	الأنبياء	٣٣
١٠٢	﴿ فليحذر الذين يخالفون .... ﴾	٦٣	النور	٢٩
١٠٣	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	٣٥	النور	١٢٣
١٠٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا .. ﴾	٤٠	النور	١٢٣
١٠٥	﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية ... ﴾	٥١-٥٢	الفرقان	٢٤
١٠٦	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	١٩٥	الشعراء	٦٥
١٠٧	﴿ أَتَيْتُكُمْ لِتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ... ﴾	٥٥	النمل	٤١

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٠٨	﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ...﴾	١٥	القصص	١٠٥
١٠٩	﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ...﴾	٦	الأحزاب	٩٧
١١٠	﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾	٢١	الأحزاب	٣٤
١١١	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾	٧١	الأحزاب	٤
١١٢	﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾	٢٨	فاطر	١٤٤، ٢٣
١١٣	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾	٢٩	ص	٧٤، ٤٠
١١٤	﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ...﴾	٤٥	ص	٧٨
١١٥	﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	٣-٢	الزمر	٧
١١٦	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٨	الزمر	٣٧
١١٧	﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا...﴾	٤٧	الزمر	١١٤
١١٨	﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على...﴾	٥٣	الزمر	١٨٣
١١٩	﴿ولقد أوحى إليك...﴾	٦٥	الزمر	٧
١٢٠	﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً﴾	٤٩	الشورى	١٤٧
١٢١	﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيًّا وَإِنَاءً﴾	٥٠	الشورى	١٤٧
١٢٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٣-٥٢	الشورى	٨٣
١٢٣	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي...﴾	٢٦	الزخرف	١٩٥
١٢٤	﴿ونادى فرعون في قومه...﴾	٥٣-٥١	الزخرف	١٠
١٢٥	﴿فاستخف قومه فأطاعوه...﴾	٥٤	الزخرف	١٠
١٢٦	﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾	٥٨	الزخرف	٩٦
١٢٧	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾	٢٣	الجاثية	٥١
١٢٨	﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾	٩	الأحقاف	١٦١
١٢٩	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا...﴾	٢٣-٢٢	الأحقاف	٤١
١٣٠	﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى..﴾	١٧	محمد	٧٦
١٣١	﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله...﴾	١٩	محمد	٢٣
١٣٢	: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾	٢٤	محمد	٤٠
١٣٣	﴿ليغفر لك الله ما تقدم...﴾	٢	الفتح	١٢١
١٣٤	﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس...﴾	١٦	الفتح	٢١٩
١٣٥	﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾	٩	الحجرات	١٩٤، ١٧٨

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٣٦	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠ - ٩	الحجرات	١٩٧
١٣٧	﴿وما خلقت الجن والإنس ....﴾	٥٦	الذاريات	١٦٢
١٣٨	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ...﴾	٥-٣	النجم	٢٩
١٣٩	﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ .....﴾	٤٣	القمر	١٩٦
١٤٠	﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾	٥٧	الواقعة	٥٦
١٤١	﴿ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها ...﴾	٢٧	الحديد	١٦٢
١٤٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا﴾	٢٩-٢٨	الحديد	٨٣ ، ٦٣
١٤٣	﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ...﴾	١١	المجادلة	٢٤
١٤٤	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ...﴾	٢٢	المجادلة	١٩٥ ، ١٩٢
١٤٥	﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ..﴾	٧	الحشر	٢٩
١٤٦	﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	١	المتحنة	١٩٣ ، ١٩٢
١٤٧	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾	٤	المتحنة	١٩٤
١٤٨	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ...﴾	٩-٨	المتحنة	١٩٣
١٤٩	﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾	٨	التغابن	١٢٢
١٥٠	﴿يا أيها النبي جاهد الكفار...﴾	٩	التحريم	٢١٩ ، ٢٥
١٥١	﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٥٠	الحاقة	١٢٦
١٥٢	﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾	٥١	الحاقة	١٢٦
١٥٣	﴿وَأَلِّ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ﴾	١٦	الجن	١٢٥
١٥٤	﴿ومن يعص الله ورسوله ....﴾	٢٣	الجن	١٨١
١٥٥	﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾	٣١	عبس	٤٤
١٥٦	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ...﴾	٢٩-٢٨	التكوير	٤٧
١٥٧	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ...﴾	٢-١	الكافرون	١٩٥
١٥٨	﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	٢	الفلق	٥٠



## ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية والآثار

### مرتبة على حروف الهجاء

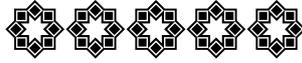
الصفحة	الحديث أو الأثر	م
١٩٨	أبايعك على أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً	-١
١٦٦	اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم	-٢
٩٦ ، ٧٦ ، ٦٧	آتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ	-٣
١٧٥	اثنتان في الناس هما بهم كفر	-٤
١٨٥	أخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان	-٥
٢٢٢	إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به	-٦
٥٤	إذا رأيتم الذين يتبعون	-٧
١٨٥	إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان	-٨
١٧٥	إذا قال الرجل لأخيه يا كافر	-٩
٢٣٣	استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع	-١٠
١٦٥	اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة	-١١
٢٠١	أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم	-١٢
٣	ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب	-١٣
١١٦	ألا أيها الناس وإنما أنا بشر	-١٤
١٧٢	ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟	-١٥
١٤٠	الإسناد من الدين	-١٦
٦	الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك	-١٧
٢٢٦	الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم	-١٨
٣٥	اللهم فقه في الدين	-١٩
١٧٧	المستبان شيطانان	-٢٠
١٩٧	المسلم أخو المسلم	-٢١
٣٩	إن أصحاب الرأي أعداء السنة	-٢٢
٢٦	إن الله أوحى إلي أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم	-٢٣
٣١	إن الله قد أجاز أممي أن يجتمع على ضلالة	-٢٤
٤٢	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	-٢٥

الصفحة	الحديث أو الأثر	م
٢٢١	أن النبي ﷺ مر يقوم يلحقون	٢٦-
١٧٠	إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن	٢٧-
٧٨	إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى	٢٨-
٢٢٩	إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد	٢٩-
٤١	إن من أشراط الساعة، أن يرفع العلم، ويثبت الجهل	٣٠-
٢٠٣، ٩٥	انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين	٣١-
٦٩	إنما هلك من كان قبلكم	٣٢-
٣٣	أنه لا خير في عبادة لا علم فيها	٣٣-
٧٣	إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته	٣٤-
٨١	إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً	٣٥-
٧٤	أما كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه	٣٦-
٢٢٨	إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أصبته	٣٧-
١٩٧	أوثق عرى الإيمان الموالاة	٣٨-
٣٣	أول العلم النية	٣٩-
١٢٥	أي العمل أفضل	٤٠-
١٧٣	إياكم والظن.....	٤١-
١٩٩	آية الإيمان حب الأنصار	٤٢-
١٦٩	أبما امرئ قال لأخيه يا كافر	٤٣-
١٧٥	أبما عبد أبق من مواليه	٤٤-
٢٠١، ٩٤، ٦٣	تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	٤٥-
٦	تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة	٤٦-
٣١	ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم	٤٧-
١٩٨	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	٤٨-
١٨٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٤٩-
١٦٧	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ	٥٠-
٩٤	حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام	٥١-
٧٥	حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن	٥٢-
١١٣، ٥٤	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٥٣-

الصفحة	الحديث أو الأثر	م
٧٠	خير أمتي القرون الذين يلوني	٥٤-
١٩٦	دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان	٥٥-
١٧٦ ، ١٧٩	سباب المسلم فسوق	٥٦-
١٨٥	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	٥٧-
٢٢٦	صدق الله وكذب بطن أخيك	٥٨-
٢١٩	عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل	٥٩-
٧٤	عرضت المصحف على ابن عباس	٦٠-
٨٦	عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي	٦١-
٦	عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة	٦٢-
٦٩	فاللقاء بالأيدي إلى التهلكة	٦٣-
٢٢	فإنما شفاء العبي السؤال	٦٤-
٢٠٢	فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم	٦٥-
٩٨	فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم	٦٦-
٧٣	قام فينا رسول الله ﷺ	٦٧-
٦٩	قد تركتكم على البيضاء	٦٨-
٣٥	كان رسول الله ﷺ لا يسرد الكلام	٦٩-
٧٠	كانوا يتحرجون أن يطوفوا	٧٠-
١٧٤	كل المسلم على المسلم حرام	٧١-
٨١	كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد	٧٢-
١٧٩	لا ترجعوا بعدي كفارا	٧٣-
٣٠	لا تزال طائفة من أمتي على الحق	٧٤-
٢٥	لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا	٧٥-
٣٦	لا والذي فرق الحبة وبرأ النسمة	٧٦-
١٨٤ ، ٤٦	لا يدخل الجنة قاطع رحم	٧٧-
٤٦	لا يدخل الجنة قتات	٧٨-
١٨٢	لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه	٧٩-
١٨٥	لا يزني الزاني حين يزني	٨٠-
٢٣٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة أن كره منها خلقا	٨١-

الصفحة	الحديث أو الأثر	م
١٨٦	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٨٢-
٦٨	لقد جئتكم بما بيضاء	٨٣-
١٥٦	لقد قف شعري	٨٤-
٥٤ ، ٨ ، ٦	ما أنا عليه وأصحابي	٨٥-
١٨٦ ، ١٧٨	ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك	٨٦-
٤٦	ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله	٨٧-
٧٥	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون	٨٨-
١٩٧	مثل المؤمنين في توادهم	٨٩-
٧٤	مكث على حفظ البقرة ثمان سنين	٩٠-
١٨٠	من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها	٩١-
١٧٩	من أتى عرافاً فسأله عن شيء	٩٢-
١٨٢ ، ١٧٥	من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم	٩٣-
٢٥	من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا للخير	٩٤-
٢٢٠	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	٩٥-
١٥٦	من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم	٩٦-
٢٢	من سلك طريقاً بيتغي فيه علماً	٩٧-
١٩٩ ، ١٨٢	من شهد أن لا إله إلا الله	٩٨-
٣١	من فارق الجماعة قيد شراً	٩٩-
٥٨	من قال لا إله إلا الله دخل الجنة	١٠٠-
٨٦ ، ٦٧	من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد	١٠١-
٧٦	من كان منكم مستنئاً فيستن	١٠٢-
٤٦	من مات وهو يعلم	١٠٣-
١٩٧	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	١٠٤-
٣٤	هي النخلة	١٠٥-
٢٢٩	وأكثر من رأيت فيها النساء	١٠٦-
٧٤	والذي لا إله غيره	١٠٧-
١٩٧	والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا	١٠٨-
٢٢٥	وأمرنا باتباع الجنائز	١٠٩-

الصفحة	الحديث أو الأثر	م
٢٣٠	ولعن المؤمن كقتله	١١٠-
٧٣	وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً	١١١-
٢٠٠	وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر	١١٢-
١٩٢	ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة	١١٣-
١١٠	يا أيها الناس إني قد تركت فيكم	١١٤-
٦٩	يا معشر المسلمين	١١٥-
٢٢٩ ، ١٨٠	يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار	١١٦-
٧٧	يأتي على الناس زمان	١١٧-
٣٨	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله	١١٨-
٤٢	يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج	١١٩-
٩٥	يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان	١٢٠-



## ثالثاً : فهرس الأعلام

## مرتبة على حروف الهجاء

الصفحة	الاسم	م
	حرف الألف	
٢٤	إبراهيم بن الحسين بن خالد، الفقيه أبو إسحاق الأندلسي	١-
٥٨	إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، المشهور بالشاطبي	٢-
٥٩	ابن أبي سريرة، هو: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سريرة ، المدني	٣-
١٥١	أَبْنُ الْفَارِضِ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُرْشِدِ الْحَمَوِيِّ ، شَاعِرُ الْوَقْتِ	٤-
١٥١	أَبْنُ سَيْنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلْخِيُّ ، الْعَلَامَةُ الشَّهِيرُ	٥-
٤٥	ابن قُتَيْبَةَ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ، ذُو الْفَنُونِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ	٦-
٥٩	أَبْنُ مَاجَةَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ، الْحُجَّةُ.....	٧-
١١٤	أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارَسِ بْنِ زَكَرِيَاءَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ الرَّازِيِّ الْغَوِيِّ	٨-
١٢٩	أَبُو حَفْصِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِيَةَ، وَاسْمُهُ عَبْدِ اللَّهِ	٩-
٤٢	أَبُو حَنِيفَةَ النَّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ زَوْطَى أَبُو حَنِيفَةَ التَّيْمِيُّ الْكُوفِيُّ	١٠-
٢٣١	أَبُو سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سَنَانَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .	١١-
٩٧	أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأُمَوِيِّ ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ	١٢-
١٤٨	أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ ، مُقْرِيءُ الْكُوفَةِ	١٣-
١٣٦	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْحَكِيمِ التَّرْمِذِيِّ	١٤-
١٨٠	أَبُو عُيَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الْإِمَامُ، الْحَافِظُ، الْمُجْتَهِدُ	١٥-
٢٥	أَبُو هَرِيرَةَ الدُّوسِيُّ الْيَمَانِيُّ حَافِظُ الصَّحَابَةِ	١٦-
١٣٧	أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَازِمٍ	١٧-
٢٦	أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْحَافِظِ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ	١٨-
٥٨	أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ	١٩-
٥٩	أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ	٢٠-
١١٤	إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَادِ الْجَوْهَرِيِّ، أَبُو نَصْرٍ	٢١-
٨٩	الإمام الحافظ محيي الدين يحيى بن شرف بن مرا.....	٢٢-
٤٠	الإمام العلامة المحدث محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٢٣-
٢٢٢	الإمام الكبير الحافظ الجواد الحجة الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج	٢٤-

الصفحة	الإسم	م
٤٨	إياس بن معاوية بن قرة بن إياس	-٢٥
٩٠	مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْآجَرِيِّ	-٢٦
١٣١	الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري	-٢٧
١٣٥	الحارث بن أسد المحاسبي ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزاهد البغدادي	-٢٨
١٧٣	الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عُقَيْلِ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ	-٢٩
٤٣	الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الْإِمَامُ ، صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ	-٣٠
٥٩	السيد رشيد رضا : هو العلامة السلفي رشيد بن علي رضا بن محمد	-٣١
٥	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي .	-٣٢
٩٠	عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج بن الجوزي القرشي	-٣٣
١٠٥	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر الهروي	-٣٤
٤٣	الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي ، العلامة، صاحب التصانيف	-٣٥
١١٤	المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني	-٣٦
١١١	المقداد بن الأسود الكندي ، المقداد بن عمرو بن ثعلبة صاحب رسول الله	-٣٧
١٧٩	المنائوي قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد	-٣٨
١٦٧	أَسُّ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ ضَمُّمِ الْأَنْصَارِيِّ	-٣٩
<b>حرف الباء والجيم</b>		
١٣٠	بشر بن الحارث بن عبد الله بن عطاء	-٤٠
٦٠	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.....	-٤١
١٦٩	جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيِّ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ لَهُ صُحْبَةٌ نَزَلَ مِصْرَ	-٤٢
١١١	جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ، المتوفى: ٣٢ هـ ، أحد السابقين الأولين	-٤٣
<b>حرف الحاء</b>		
١٧٠	حذيفة بن اليمان حسبل بن جابر (واليمان لقب أبيه) يكنى أبا عبد الله	-٤٤
٩١	حمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، شيخ أهل الكلام	-٤٥
١٨٣	حمد بن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ خَطَّابِ ، الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِي	-٤٦
<b>حرف الذال والراء والزاي</b>		
٩٠	ذو الخويصرة التميمي، وهو حرقوص بن زهير....	-٤٧
١٧٣	رجاء بن حيوة الكندي الشامي	-٤٨
٨٩	زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم: فقيه حنفي	-٤٩

الصفحة	الاسم	م
	<b>حرف السين والشين</b>	
٤٨	سفيان بن حسين السلمي	٥٠-
٦٥	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، شيخ الإسلام إمام الحفاظ	٥١-
٢٣	سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ مَيْمُونِ الْهَلَالِيِّ	٥٢-
١٤٤	سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ، أَبُو يَزِيدَ طَيْفُورُ بْنُ عَيْسَى بْنِ شَرَوْسَانَ الْبِسْطَامِيِّ	٥٣-
١١١	سلمان ابن الإسلام، ويقال له: سلمان الخير، أبو عبد الله الفارسي	٥٤-
١٣٠	سمنون بن حمزة الخواص، أبو الحسن، أو أبو بكر: صوفي ناسك	٥٥-
١٣٨	سهل بن عبد الله بن يونس التستري	٥٦-
٩٧	سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن شمس بن نصر بن مالك	٥٧-
٤٣	سَبِيؤَيْهَ أَبُو بَشْرٍ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرِ الْفَارِسِيِّ	٥٨-
٣٤	شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر	٥٩-
	<b>حرف العين</b>	
١٦٩	عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، الأنصاري أبو الوليد	٦٠-
١٥١	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد	٦١-
١٤٩	عبد الحلیم محمود ، العالم الصوفي المتعمق، شيخ الأزهر .....	٦٢-
١٧٣	عبد الرحمن بن أبي حاتم ، العلامة الحافظ الإمام ابن الإمام، صاحب	٦٣-
١٢٩	عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن	٦٤-
١٠١	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمِ الْمُرَادِيِّ ، المتوفى: ٤٤٠ هـ ، قاتل عليّ ﷺ	٦٥-
٩٥	عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، اليماني	٦٦-
١٣٠	عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي بن سلمان	٦٧-
٣٣	عبد الله بن المبارك بن واضح	٦٨-
٨	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم	٦٩-
١٠٩	عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، أبو بكر الصديق	٧٠-
٩٥	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ الْعَدَوِيِّ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ	٧١-
٢٥	عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبد الرحمن الهذلي	٧٢-
١٧٣	عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ الْأُمَوِيِّ	٧٣-
١٨٠	عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري ، عالم، فقيه، محدث	٧٤-
٩٠	عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي	٧٥-

الصفحة	الإسم	م
٤٢	علي بن أحمد بن علي أبو الحسن المؤدب	٧٦-
٩٠	علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد الله بن هاشم القرشي	٧٧-
٤٣	علي بن حمزة، أبو الحسن الأسدي المعروف بالكسائي النحوي	٧٨-
١٤٩	علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هُرْمُز بن حاتم	٧٩-
٣٩	عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله....	٨٠-
١٢١	عمر بن يزيد النصري ، شامي ، حدث عن الزهري .....	٨١-
١٣٣	عمر رضا كحالة ، أحد أبرز أعلام دمشق	٨٢-
<b>حرف الكاف والميم</b>		
٢١	كثير بن قيس الشامي ، و يقال قيس بن كثير .	٨٣-
٦٥	مجاهد بن جبر ويقال بن جبير ، أبو الحجاج	٨٤-
٩٢	محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملقب بالعسقلاني	٨٥-
٢٣	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة	٨٦-
١٨٣	محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري	٨٧-
١٤٢	محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بابن عربي	٨٨-
٥٢	مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، الإمام زين الدين أبو حامد الغزاليّ	٨٩-
١٧٣	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري	٩٠-
١٨٧	مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمُرُوزِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الإمام	٩١-
٢٦	معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي	٩٢-
<b>حرف النون والهاء والياء</b>		
٦٤	هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، حُجَّةُ الْأُمَّةِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ	٩٣-
٥٩	يحيى بن معين بن عون الإمام الحافظ الجهني، شيخ الحديثين	٩٤-



### رابعاً : فهرس الغرائب

الصفحة	اللفظ الغريب	م
٢٠٩	التث	١
٥٢	الثوية	٢
١٥١	الحلول	٣
٤٢	الرويضة	٤
٧٢	السرى	٥
١٣٤	الشبهة	٦
٢٠٩	الصلب والفداء	٧
٢٠٩	العشاء الرباني	٨
٢٣٢	العشير	٩
١٥١	الكشف	١٠
٢٣٢	اللب	١١
٥٢	المزدكية	١٢
٣٦	النسمة	١٣
١٥٢	النصيرية	١٤
١٥٠	النقباء	١٥
١٤٦	الوجد	١٦
١٥١	الوحدة المطلقة	١٧
٣٦	برأ	١٨
١١٦	نمّ	١٩
٣١	ربقة	٢٠
٣٦	فلق الحبة	٢١
٦٩	فمرسه	٢٢
٩٤	مسهمة	٢٣
٣١	يَعْلُ	٢٤



## فهرس المصادر والمراجع

### المرجع

م

### حرف الألف

- ١- القرآن الكريم
- ٢- إبطال الحيل، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.
- ٣- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ٤- أخبار الشيعة وأحوال رواها، لعلامة العراق، السيد محمود شكري الألوسي، تقديم وتعليق: محمد مال الله، دار المعرفة.
- ٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، لناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار النشر: بدون، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- ٧- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ
- ٨- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- ٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
- ١٠- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

م

المرجع

- ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
- ١١ - افكار ورجال: قصة الفكر الغربي، برنتن، كرين، ترجمة محمود محمود، القاهرة: مكتبة الأجلو المصرية، 1965.
- ١٢ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل ، نشر دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
- ١٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة ، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبُرِي المعروف بابن بَطَّة العُكْبُرِي ، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض،
- ١٤ - الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، لأحمد بن المبارك ، طبعة مصر
- ١٥ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- ١٦ - الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين ، رسالة ماجستير، علي بن بجيت الزهراني ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ .
- ١٧ - الآداب للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، باب : ما يستحب من ترتيب الكلام
- ١٨ - الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثالثة، (١٤٠٩ - ١٩٨٩) .
- ١٩ - الاستقامة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣

**المرجع**

**م**

- ٢٠- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، نشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ٢١- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤١٥ هـ) .
- ٢٢- الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق : سليم بن عيد الهلالي ، نشر دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٢٣- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر، أيار / مايو ٢٠٠٢ م
- ٢٤- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، إبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م .
- ٢٥- البحر الرائق شرح كتر الدقائق ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية .
- ٢٦- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ) ، هـ - ١٩٨٨م) .
- ٢٧- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م
- ٢٨- التَّصَوُّفُ .. المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٢٩- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت
- ٣٠- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب

## المرجع

م

- الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت،
- ٣١- التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة
- ٣٢- التكفير وضوابطه ، منقذ بن محمود السقار ، رابطة العالم الإسلامي
- ٣٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، ١٣٨٧هـ .
- ٣٤- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطِي العسقلاني ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر .
- ٣٥- الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستِي ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣
- ٣٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، م تحقيق: حمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- ٣٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)
- ٣٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، تحقيق : د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض
- ٣٩- الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، لغالب عواجي ، غالب بن علي عواجي ، إشراف الأستاذ الدكتور: عثمان عبد المنعم يوسف، ١٣٩٩هـ، ١٣٩٨م.
- ٤٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة السادسة ، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .
- ٤١- الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق ، لتقي الدين أبو العباس

م

المرجع

- أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية  
الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة،  
الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ -
- ٤٢- الرد على القائلين بوحدة الوجود، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين  
الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي  
رضا، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ،
- ٤٣- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق: الإمام  
الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٤٤- السنة ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، تحقيق : سالم أحمد السلفي  
، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ .
- ٤٥- السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق  
: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف : شعيب الأرنؤوط ، قدم له : عبد الله بن عبد  
المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٤٦- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو  
بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،  
الطبعة الثالثة ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- ٤٧- السياسة الشرعية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد  
الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، وزارة الشؤون  
الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ،  
١٤١٨هـ .
- ٤٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله  
الشوكاني اليمني ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى .
- ٤٩- الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجريُّ البغدادي ، الدكتور عبد الله  
بن عمر بن سليمان الدميحي ، دار الوطن - الرياض ، السعودية ، الطبعة الثانية،  
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٥٠- الشيعة هم العدو فاحذرهم ، لشحاتة محمد صقر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)،

**المرجع**

**م**

- ٥١- الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ ، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) ، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان ، الطبعة: العاشرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، (٢٤/١) .
- ٥٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
- ٥٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧
- ٥٤- الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده طارق عبد الحلیم ، الطبعة الرابعة ، (١٠ جمادى الأولى ١٤٢٩) .
- ٥٥- الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ٥٦- العبودية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- ٥٧- العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ،
- ٥٨- العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة
- ٥٩- العلمانية وثمارها الحبيثة ، محمد شاكر ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

**المرجع**

م

- ٦٠- العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، المبحث الثاني : التضييل والحداع
- ٦١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م
- ٦٢- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفكر الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٦هـ ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ
- ٦٣- الغلو ومظاهره في الحياة المعاصرة ، علي بن يحيى الحدادي ، ١٤٢٥هـ
- ٦٤- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ٦٥- الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ، ابن عجيبة الحسيني ، طبعة عالم الفكر ، القاهرة .
- ٦٦- الفتوحات المكية ، ابن عربي ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥هـ .
- ٦٧- الفتوى الحموية الكبرى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م
- ٦٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني ، أبو منصور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م .
- ٦٩- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه : عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان، دمشق

- ، ( ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ) .
- ٧٠- الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ، عالم الكتب
- ٧١- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٧٢- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٧٣- القواعد الحسان لتفسير القرآن ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- ٧٤- القواعد لابن رجب، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية .
- ٧٥- الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .
- ٧٦- الكتاب: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- ٧٧- المجالس الرفاعية ، أحمد الرفاعي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد .
- ٧٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .
- ٧٩- المدرسة الشاذلية الحديثة ، د. عبد الحليم محمود ، طبعة القاهرة .
- ٨٠- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ، غالب بن علي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) .

## المرجع

م

- ٨١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ .
- ٨٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٨٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت،
- ٨٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية .
- ٨٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة
- ٨٦- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٨٧- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٢هـ
- ٨٨- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي .
- ٨٩- المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهدى للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،
- ٩٠- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب .
- ٩١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ .
- ٩٢- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق:

م

### المرجع

- أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ /  
١٩٩٧م
- ٩٣- المواهب السرمدية ، نقلاً عن النقشبندية ، عبد الرحمن دمشقية ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٤هـ . .
- ٩٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري - ناصر العقل، الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ - دار الصميعي - الرياض
- ٩٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ -
- ٩٦- الموطأ ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٩٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي .
- ٩٨- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مراجعة وتقديم: صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ،

### حرف الباء والتاء

- ٩٩- بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية ، الشيخ محمد حامد الناصر
- ١٠٠- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
- ١٠١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- ١٠٢- تاريخ الثقات ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، دار الباز

م

**المرجع**

- الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م
- ١٠٣- تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) .
- ١٠٤- تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- ١٠٥- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٠٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة
- ١٠٧- تذكرة الأولياء ، فريد الدين العطار النيابوري ، ترجمة وتحقيق: منال اليميني عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ .
- ١٠٨- تذكرة الحفاظ ، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- ١٠٩- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإِماز الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- ١١٠- تعظيم قدر الصلاة ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرَوَزي ، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي : مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ .
- ١١١- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ
- ١١٢- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

م

المرجع

- ١١٣- تكملة معجم المؤلفين ، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١١٤- تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- ١١٥- تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م
- ١١٦- تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ
- ١١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي ، تحقيق: د.بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- ١١٨- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م .

حرف الجيم

- ١١٩- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)
- ١٢٠- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، باب منازل العلماء
- ١٢١- جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النهائي ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض ، مركز أهل سنة بركات رضا ، الهند ، ٢٠٠١

حرف الحاء

- ١٢٢- حريه الفكر و ابطالها في التاريخ ، لسلامه موسي ، طبعه مصر سنة ١٩٢٧
- ١٢٣- حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ، أبو الحسن القفطي ، ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة

م

### المرجع

الأولى، ١٤٠٥

- ١٢٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ، الطبعة الأولى (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) .
- ١٢٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
- ١٢٦- حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ
- ١٢٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
- ١٢٨- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب ، عماد الدين الأموي ، وبها مسند قوت القلوب لأبي طالب ، طبعة دار صادر، بيروت .

### حرف الدال

- ١٢٩- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، د.ناصرين عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- ١٣٠- دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني ، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ١٣١- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

### حرف الذال

- ١٣٢- ذخائر الأعلام، لابن عربي، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة
- ١٣٣- ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى:

م

### المرجع

- ٤٨١هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ١٣٤- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، محمد بن أحمد بن علي، تقى الدين، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

### حرف الراء

- ١٣٥- رسائل في الأديان والفرق والمذاهب ، محمد الحمد
- ١٣٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت ، دمشق ، عمان ، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ١٣٧- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

### حرف السين

- ١٣٨- سنن ابن ماجة ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
- ١٣٩- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر : المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت
- ١٤٠- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي(ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ١٤١- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

حرف الشين

- ١٤٢- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- ١٤٣- شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعى الصالحى دمشقى ، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ١٤٤- شرح العقيدة الطحاوية ، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعى الصالحى دمشقى ، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ،
- ١٤٥- شرح حديث التزول، لتقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي دمشقى (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
- ١٤٦- شرح صحيح البخارى لابن بطلال ، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، الطبعة الثانية، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .
- ١٤٧- شرح صحيح البخارى لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
- ١٤٨- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- ١٤٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

م

## المرجع

### حرف الصاد

- ١٥٠ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤١٤ - ١٩٩٣).
- ١٥١ - صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .
- ١٥٢ - صحيح الجامع الصغير وزياداته ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، المكتب الإسلامي .

### حرف الطاء

- ١٥٣ - طبقات الأولياء ، ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق: نور الدين شرييه من علماء الأزهر ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ١٥٤ - طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، ٥١٤١٣ .
- ١٥٥ - طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) .
- ١٥٦ - طبقات الصوفية، لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

### حرف العين والغين

- ١٥٧ - عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- ١٥٨ - علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

م

المرجع

- ١٥٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- ١٦٠- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية: النفزي الرندي، ٢٦٢/١، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م

حرف الفاء

- ١٦١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ١٦٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي
- ١٦٣- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
- ١٦٤- فضائح الباطنية ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
- ١٦٥- فقه الإسلام ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، لعبدالقادر بن شيبه الحمد ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
- ١٦٦- فوات الوفيات ، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى
- ١٦٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ .

حرف القاف والكاف

- ١٦٨- قاعدة في المحبة ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر .

م

المرجع

- ١٦٩- قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ،
- ١٧٠- كتاب الأيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته" ، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي ، تحقيق : محمد نصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .
- ١٧١- كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

حرف اللام

- ١٧٢- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، (١٤١٤ هـ)
- ١٧٣- لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية ، الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .
- ١٧٤- لطائف المنن ، ابن عطاء الله الاسكندري ، تحقيق: عبد الحلیم محمود شيخ الجامع الأزهر، مطبعة حسان ، القاهرة .
- ١٧٥- لماذا نرفض العلمانية ، لمحمد محمد بدري ، مؤسسة الرواد لشئون المجتمع المسلم القادم ، ١٤٢٦-٢٠٠٥ ،

حرف الميم

- ١٧٦- مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي ، أعداد رقم ٦، ٥. د/ معن عبد القادر .
- ١٧٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ١٧٨- مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة

م

**المرجع**

- النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م .
- ١٧٩- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، نشر : المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
- ١٨٠- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، ل محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعلبي، تحقيق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية
- ١٨١- مختصر حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة بين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، د.عصام بن عبد الله السناني، ١٤٢٦هـ.
- ١٨٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ،
- ١٨٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ،
- ١٩٨٤ م
- ١٨٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، لناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ،
- ١٨٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٨٦- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
- ١٨٧- مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير النخعي الشامي، أبو القاسم

م

المرجع

- الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ( ١٤٠٥ - ١٩٨٤ ) .
- ١٨٨- مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ، الطبعة لأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م .
- ١٨٩- مصرع التصوف ، لبرهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٥-٢٠٠٤ ،
- ١٩٠- معالم التزويل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠هـ، (٣/٢٩٩) وذكر الشنقيطي أن ذلك باجتهاد من النبيين
- ١٩١- معالم تاريخ الإنسانية ، لهربرت جورج ويلز، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة المصرية للكتاب
- ١٩٢- معجم الشعراء العرب ، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية ، المكتبة الشاملة
- ١٩٣- معرفة الصحابة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٩٤- مفاتيح الفقه في الدين ، مصطفى العدوي، مكتبة ماجد عسيري، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
- ١٩٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت
- ١٩٦- مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، محمود الشوبكي ( مجلة الجامعة الإسلامية - المجلد العاشر
- ١٩٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، عني بتصحيحه: هلموت ريتز ، دار فرانز شتايز، مدينة فيسبادن ، ألمانيا ، الطبعة الثالثة ،

م

المرجع

- (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .
- ١٩٨ - مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، محمد العبد ، طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٩٩ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٢٠٠ - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، لتامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- ٢٠١ - مواقع النجوم ، ابن عربي ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر .
- ٢٠٢ - موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلمه ، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٠٣ - موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت [dorar.net](http://dorar.net) ، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ .
- ٢٠٤ - موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت [dorar.net](http://dorar.net)
- ٢٠٥ - موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش ، المغرب ، الطبعة: الأولى .
- ٢٠٦ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

حرف النون

- ٢٠٧ - نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي ، محمد زين الهادي ، دار العاصمة ١٩٨٧
- ٢٠٨ - نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله عز وجل من التوحيد، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الأولى

## المرجع

م

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٢٠٩- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

### حرف الهاء والواو

٢١٠- هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤م

٢١١- هل يكذب التاريخ؟ مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة ، عبد الله بن محمد الداود ، دار الداود للنشر ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م

٢١٢- جامع الرسائل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٢١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

## سادساً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة
٩	أهمية الموضوع وسبب اختياره
١٥	خطة البحث
١٩	: الفصل الأول : عوامل انضباط المنهج
٢٠	المبحث الأول : العلم وشرفه
٢٢	بعض فضائل العلم
٢٧	المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلامية
٢٨	أولاً : القرآن الكريم
٢٨	ثانياً : السنة النبوية المطهرة
٣٠	ثالثاً : الإجماع
٣٢	المبحث الثالث : فهم النص الشرعي وضوابطه
٣٣	المطلب الأول : معنى الفهم وعلاقته بالعلم والفقه والتفسير
٣٨	المطلب الثاني : أسباب الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية
٥٤	المطلب الثالث : ضوابط الفهم الصحيح للنصوص الشرعية
٥٤	أولاً : اتباع منهج السلف في النظر والاستدلال
٥٥	١- اتباع المحكم ورد المتشابه إليه
٥٧	٢- الجمع بين أطراف الأدلة
٥٩	٣- عدم الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية
٦٠	٤- رد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية
٦١	ثانياً : اعتبار المتغيرات الواقعية
٦٣	ثالثاً : التقوى والإخلاص
٦٥	المطلب الرابع : أهمية فهم السلف الصالح للنصوص
٨٠	المطلب الخامس : ثمرات الالتزام بفهم السلف الصالح
٨٧	الفصل الثاني : ظهور الفرق الضالة وبعض النماذج لها
٨٨	المبحث الأول : ظهور الخوارج
٨٩	المطلب الأول : تعريف الخوارج ونشأتهم

الصفحة	الموضوع	الرقم
٨٩	أولاً : تعريف الخوارج	٧
٩٠	ثانياً : نشأة الخوارج	٨
٩٤	المطلب الثاني : بعض أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة	٩
٩٦	المطلب الثالث : مناظرة ابن عباس للخوارج	١٠
٩٨	الدروس المستفادة من الأثر ( مناظرة ابن عباس للخوارج )	١١
١٠٠	المبحث الثاني : ظهور الشيعة	١٢
٤		
١٠	المطلب الأول : تعريف الشيعة وبداية ظهورهم	١٣
٥		
١٠	المطلب الثاني : مصادر التلقي عند الشيعة	١٤
٧		
١١	المطلب الثالث : موقف الشيعة من الصحابة	١٥
١		
١١	المطلب الرابع : بعض عقائد الشيعة	١٦
٤		
١٢	المطلب الخامس : نماذج من الفهم الخاطئ عند الشيعة	١٧
٢		
١٢	المبحث الثالث : ظهور الصوفية	١٨
٨		
١٢	المطلب الأول : تعريف الصوفية ونشأة التصوف	١٩
٩		
١٣	المطلب الثاني : موقف بعض الأئمة من التصوف	٢٠
٥		
١٣	المطلب الثالث : بعض الانحرافات العقدية عند الصوفية	٢١
٨		
١٥	المطلب الرابع : التشابه الكبير بين الصوفية والشيعة في الأفكار والمعتقدات	٢٢
٠		

الصفحة	الموضوع	الرقم
١٥	الفصل الثالث : بعض مظاهر الانحراف الفكري عن المنهج النبوي	٣
٩		
١٦	المبحث الأول : التبديع والتكفير	٤
٠		
١٦	المطلب الأول : تعريف البدعة وضوابطها .	٥
١		
١٦	المطلب الثاني : ظاهرة التكفير التبديع والتفسيق والغلو فيها	٦
٩		
١٧	المطلب الثالث : التكفير والفهم الخاطئ للنصوص	٧
٥		
١٩	المبحث الثاني : الخلط في مفهوم الولاء والبراء	٨
٠		
١٩	المطلب الأول : تعريف الولاء والبراء	٩
١		
١٩	المطلب الثاني : أدلة وجوب عقيدة الولاء والبراء ومكانتها في الشريعة	٠
٤		
٢٠	المطلب الثالث : أسباب الانحراف في فهم عقيدة الولاء والبراء	١
٠		
٢٠	المبحث الثالث : الدعوة لفصل الدين عن الحياة ( العلمانية )	٢
٦		
٢٠	المطلب الأول : تعريف العلمانية وحقيقة تسميتها بهذا الاسم	٣
٧		
٢٠	المطلب الثاني : أسباب قيام العلمانية	٤
٩		
٢١	المطلب الثالث : أسباب رفض العلمانية	٥
٤		
٢١	نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي	٦

الصفحة	الموضوع
٦	
٢١	المطلب الرابع : العلمانية والفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية
٩	
٢٣	الخ
٧	اتمة
٢٣	أولاً : نتائج البحث
٨	
٢٣	ثانياً : التوصيات
٩	
٢٤	الفه
٠	
٢٤	أولاً : فهارس الآيات القرآنية
١	
٢٤	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٧	
٢٥	ثالثاً : فهرس الأعلام
٢	
٢٥	رابعاً : فهرس الغرائب
٦	
٢٥	خامساً : فهرس المصادر والمراجع
٧	
٢٧	سادساً : فهرس الموضوعات
٨	

